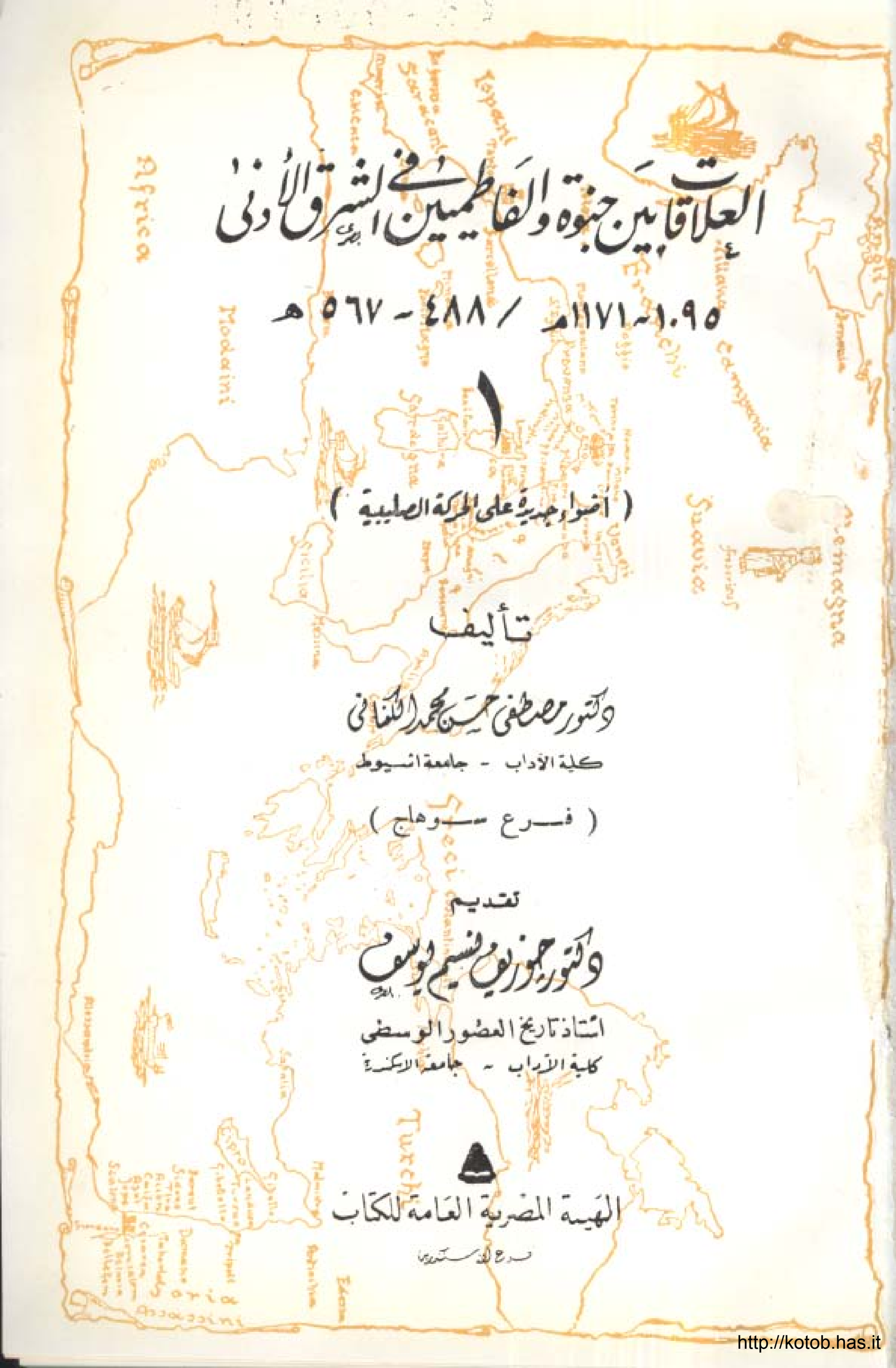


العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى

١٠٩٥-١١٧١م / ٤٨٨-٥٦٧ هـ

١

(أضواء جديدة على الحركة الصليبية)

تأليف

دكتور مصطفى حسن محمد الكناني

كلية الآداب - جامعة أسيوط

(فرع سوهاج)

تقديم

دكتور جوزيف نسيم يوسف

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الاسكندرية



العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى

١٠٩٥-١١٧١م / ٤٨٨-٥٦٧ هـ

١

(أضواء جديدة على الحركة الصليبية)

تأليف

دكتور مصطفى حسن محمد الكناني

كلية الآداب - جامعة أسيوط

(فرع سوهاج)

تقديم

دكتور جوزيف نسيم يوسف

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

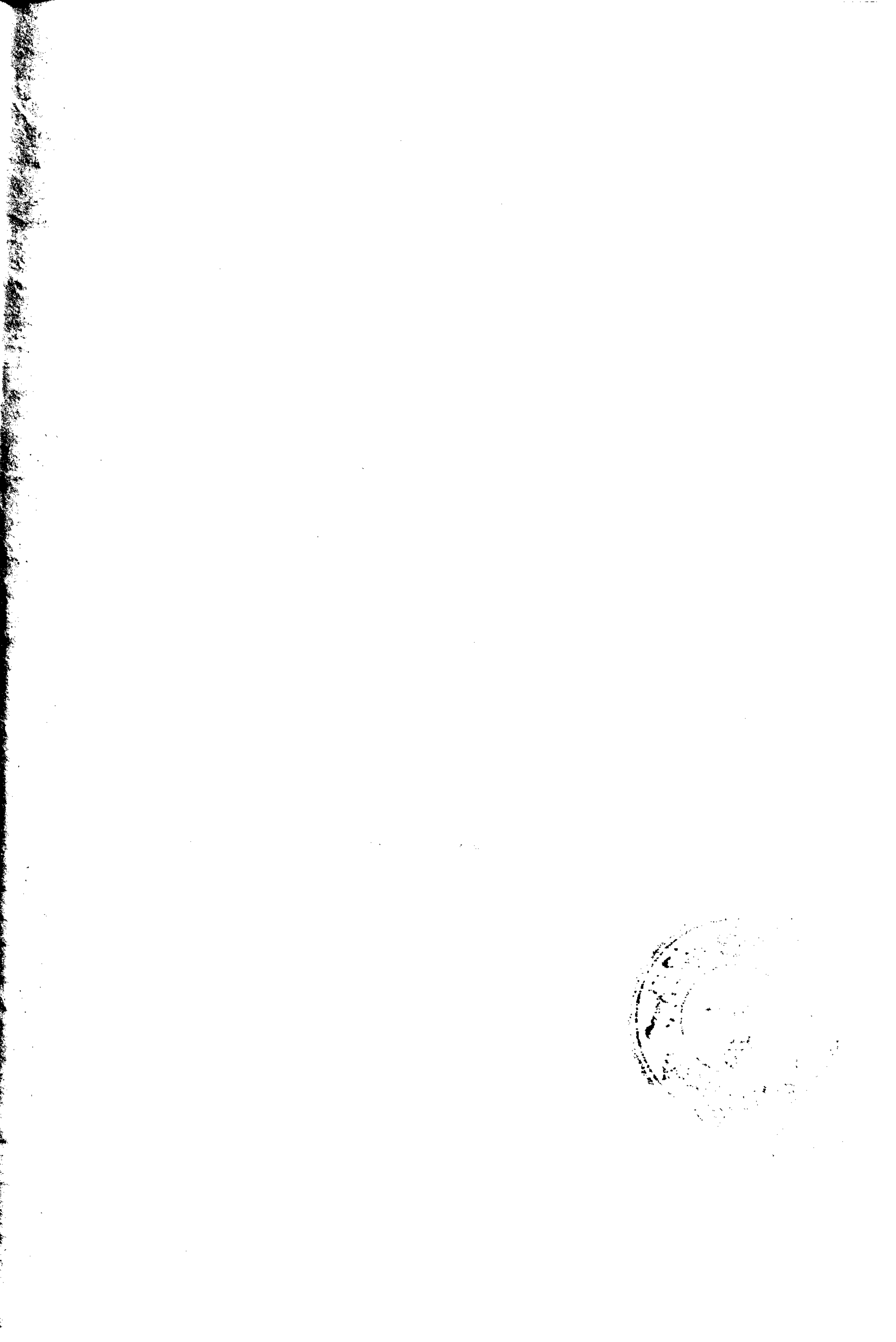
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨١



الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الإسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

« لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ، وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ »

« الأنعام : ٦٧ »

إلى روح من ربيانى صغيراً ،
وأحاطانى بفضلها كبيراً ؛ إلى روح
أمى وأبى : أهدى كتابى هذا .

مصطفى حسن محمد الكنانى

تقـــديم

الدكتور مصطفى حسن محمد الكنانى مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب بسوهاج ، من أبناء كلية الآداب بجامعة الاسكندرية . تخرج فى قسم التاريخ بها فى يونيو ١٩٦٧ . وفى أكتوبر عام ١٩٦٩ قيد لدرجة الماجستير فى تاريخ العصور الوسطى تحت إشرافى فى موضوع « العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى (١٠٩٥ - ١١٧١م / ٤٨٨ - ٥٦٧ هـ) » . وفى أغسطس عام ١٩٧٦ حصل على درجة الماجستير بتقدير ممتاز . وواصل دراسته العليا بهمة وحماسة ، فسجل لدرجة الدكتوراه فى التاريخ الوسيط تحت إشرافى فى موضوع « العلاقات بين جنوه والشرق الأدنى الإسلامى (١١٧١ - ١٢٩٢ م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ) » ، اعتباراً من نوفمبر ٩٧٦ . وفى عام ١٩٨٠ حصل على درجة الدكتوراه بمرتبة « الشرف الأولى » .

ويسعدنى أن أقدم للقارىء العربى الكريم الدكتور مصطفى الكنانى وكتابه المعنون « العلاقات بين جنوه والفاطميين فى الشرق الأدنى » ، وهو الذى تقدم به للحصول على درجة الماجستير . والدكتور مصطفى الكنانى مثال رائع للباحث الممتاز علماً وخلقاً . آثر ، منذ البداية ، طريق العلم ، فنهل منه فى صبر وأناة ودون كلل أو ملل . أما الموضوع الذى تصدى له فهو - فى الحقيقة - موضوع صعب معقد ، متشابك الخيوط ، متنوع المصادر والأصول . ثم إنه يمثل حلقة هامة من حلقات الصراع بين الشرق والغرب فى عصر الحروب الصليبية . إذ يتناول العلاقات السياسية والاقتصادية بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى منذ بداية الحركة الصليبية فى عام ١٠٩٥ م (٤٨٨ هـ) زمن الخليفة الفاطمى

المستعلي بالله ، وحتى نهاية الخلافة الفاطمية فى مصر والشام عام ١١٧١ م (٥٦٧ هـ) أيام العاضد لدين الله .

وغنى عن القول إن هذه الفترة الهامة فى تاريخ العلاقات الصليبية الإسلامية لا يزال يشوبها الغموض ، خاصة وأنها بدأت بصراع سياسى عسكرى بين الغرب اللاتينى والشرق الإسلامى ، فى وقت كان فيه الغرب قد نهض من كبوته بعد قرون طويلة من الفوضى والظلام ، بينما كان الشرق يعانى من الضعف والتفكك والانقسام السياسى والمذهبى . وقد هيأ هذا لأهل الغرب بصفة عامة ، وللجنوية على وجه الخصوص ، فرصة تحقيق مطامعها فى المنطقة .

وجدير بالذكر أنه لم تظهر فى هذا الموضوع سواء فى الشرق أو الغرب دراسة مستقلة قائمة بذاتها تلم بكل جوانبه ، من مختلف المنابع والأصول ، من عربية وأجنبية ، خطية ومطبوعة . ويعتبر الكتاب الذى بين أيدينا ، أول دراسة علمية موضوعية متكاملة تعالج هذا الموضوع فى حيدة ودقة وأمانة ، بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية التى وفق الباحث فى الكشف عنها .

لقد عالج الدكتور مصطفى الكنانى العديد من القضايا الهامة والمشاكل العويصة ، وتوصل إلى آراء واستنتاجات قيمة تدل على تذوق تاريخى سليم ففى الفصل الأول وعنوانه « أحوال الشرق والغرب حتى قيام الحرب الصليبية » ، أشار إلى أهمية الصلات الاقتصادية المتينة التى كانت قائمة بين جنوه والفاطميين قبيل اندلاع نيران تلك الحرب . واستعرض الآثار المترتبة على هجمات الفواطم على مدينة جنوه خلال النصف الأول من القرن العاشر الميلادى (النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) ، وانعكاس ذلك على العلاقات بين الطرفين فيما بعد . واختتم الفصل بمسألة هجوم الجنوية على الفاطميين بالشام الذى يعتبره بعض المؤرخين الحديثين مقدمة للحركة الصليبية نفسها .

وبعد هذه الخلفية الضرورية التى تساعد على تفهم العديد من القضايا التى عالجها الباحث فى بقية الفصول ، والتى تبرز مختلف المواقف والسياسات التى اتخذها كل طرف من طرفى الصراع حيال الطرف الآخر، تناول فى الفصل الثانى وعنوانه «الحملة الصليبية الأولى وموقف جنوه منها حتى سقوط أنطاكية فى ٢٨ يونيو ١٠٩٨ م ٢٥ رجب ٤٩١ هـ » ، عدة قضايا هامة . من بينها دور جنوة فى الإعداد للحملة الأولى ، ومساهمتها الفعالة فيها ، وأسباب ذلك ونتائجه التى تتلخص فى تصاعد العداء بين الجنوية والفاطميين منذ ذلك التاريخ فصاعدا ، وأثره على العلاقات بين الطرفين على الصعيدين السياسى والاقتصادى . وفى الفصل الثالث وعنوانه «العلاقات السياسية بين جنوه والفواطم منذ سقوط أنطاكية فى ٢٨ يونيو ١٠٩٨ حتى موقعة عسقلان فى ١٢ أغسطس ١٠٩٩ م (٢٥ رجب ٤٩١ - ٢٢ رمضان ٤٩٢ هـ) » ، واصل الباحث الحديث عن دور جنوة واسطولها البحرى فى مساندة الزحف الصليبى على الأراضى المقدسة تحقيقا لمصالحها الخاصة ، الأمر الذى أدى إلى وقوع البلاد التى بأيدى الفاطميين فريسة سهلة فى قبضة اللاتين ، مع بيان الآثار المترتبة على ذلك وأهمها قيام أول مواجهة عسكرية بين الفاطميين والجنوية كانت لها مضاعفاتها الخطيرة فيما بعد .

وفى الفصل الرابع وعنوانه « العلاقات السياسية بين جنوة والفواطم فيما بين عامى ١٠٩٩ و ١١١٠ م (٤٩٢ - ٥٠٤ هـ) » ، أشار الدكتور مصطفى الكنانى إلى دور جنوة فى إثارة الروح الصليبية فى الغرب ضد الفاطميين فى الشرق ، تحقيقا لمصالحها التجارية فى المنطقة ، مما يكشف بوضوح عن تشابك المصالح الاقتصادية بالجانب السياسى العسكرى . أما الفصل الخامس والأخير وعنوانه « تقييم العلاقات الجنوية الفاطمية فيما بين عامى ١٠٩٥ و ١١٧١ م (٤٨٨ - ٥٦٧ هـ) » ، فقد تناول فيه الباحث عدة قضايا هامة . من بينها ماهية العلاقات

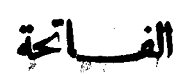
الجنوية الفاطمية إبان الفترة الزمنية موضوع البحث ، مع إبراز سماتها ومميزاتها وخصائصها العامة. كذلك ناقش مواقف كل من الجنوية والفاطميين حيال الطرف الآخر، والأسباب الداعية لاتخاذ هذه المواقف ، والنتائج المترتبة عليها . وألقى نظرة موضوعية شاملة على دور جنوه فى الصراع الصليبى الإسلامى ، وأثر ذلك على جاليتهم بمصر وعلى مصالحهم التجارية فيها بخاصة ، وفى رقعة شرق البحر المتوسط بوجه عام .

وقد صدر الدكتور مصطفى الكنانى كتابه بمقدمة تمهيدية ، أعقبها بعرض تحليلى دقيق لأهم المصادر والأصول التى اعتمد عليها، مبينا قيمتها التاريخية ومدى ما أفاده منها . كما ذيله بعدة ملاحق قيمة تتصل بالموضوع اتصالا مباشرا وتلقى الضوء على بعض غوامضه .

والخلاصة أن هذا الكتاب القيم ملىء بالمسائل والقضايا الحيوية التى أدلى فيها الباحث بدلوه ،فى حيدة وموضوعية ، وبتحليل علمى دقيق، ومنهج تاريخى سليم، وفهم راجح لمجريات الأمور والأحوال خلال تلك الحقبة من الزمن. وقد خلص من بحوثه وتحليلاته إلى آراء وأفكار ونتائج تتميز بعمقها وجدتها وأصالتها . وكانت الحصيلة تلك الدراسة الجادة التى تعتبر إضافة لها وزنها إلى مكتبة التاريخ الوسيط بعامة ، ومكتبة الحروب الصليبية على وجه الخصوص .

الاسكندرية فى ١٥ أغسطس ١٩٨١ .

دكتور / جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية


الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منطق الألسنة بتحميد صفاته وملهم الجنان إلى تقديس ذاته ، نحمده ونشكره ، ونستعينه ونتوب إليه ونستغفره ، اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ؛ ونعوذ بك أن نقول زورا ، أو نغشى فجورا ، أو نكون من المغرورين . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ؛ اللهم لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله .

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحابته ، ومن دعا بدعوته ، واهتدى بهديه إلى يوم الدين وبعد .

فإن المتصدى لدراسة تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب يجب أن يفهم بداءة عمق جذور تلك العلاقات التى امتدت إلى ماقبل الحروب الصليبية بقرون عديدة ولعل ذلك يفسر نظرة بعض المؤرخين إلى الحروب التى قام بها الأباطرة البيزنطيون ضد الشرق - قبل الحركة الصليبية - على أنها مقدمات للصراع الصليبي الإسلامى ؛ أو ما اتفق المؤرخون على تسميته باسم الحركة الصليبية .

ولقد إختلف المؤرخون فى تعريف الحركة الصليبية وأسبابها ومسبباتها . فلقد اعتبرها مفكرو العصور الوسطى الغربيون حرباً مقدسة قام بها البابا الرومانى « خليفة الله فى الأرض » على حد قولهم ؛ وقالوا بأنها « رحلة حج إلى الأماكن المقدسة فى الشرق » قام بها الصليبيون غفرانا لخطاياهم . وعرفت رحلات هؤلاء الحجيج باسم « الحجيج الفقراء » . أما الحملات الصليبية المسلحة فعرفت باسم « الحج الجماعى » . وفى عصر النهضة ، وإبان القرن الثامن عشر

الميلادى، ظهر تعريف مخالف للحركة الصليبية ، حيث عرفها الفلاسفة العقلانيون بأنها انفجار للتعبير عن روح التعصب الدينى الذى ساد أوربا فى العصور الوسطى ، وقد وجدت تلك الروح المتنفس المناسب فى عدوانها على المسلمين فى المشرق والمغرب ، بحجة استعادة الأراضى المقدسة بزعامة البابوية(١) .أما غالبية مؤرخى الحروب الصليبية من السياسيين والاقتصاديين ، فإنهم يؤثرون تعريفها بأنها حركة هجرة مسيحية قام بها صليبيو أوربا فى الشرق الإسلامى بحثا عن مستعمرات أكثر ثراء من أوربا . لذا ، فهى فى نظرهم مرحلة من أهم وأخطر مراحل التوسع الأوربى الاستعمارى فى العصور الوسطى(٢) .وآية ذلك ماحدث فى فرنسا وغيرها من دول أوربا من مجاعة فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) ؛ بسبب الزيادة المضطردة فى عدد السكان ، وعدم كفاية الموارد الاقتصادية لإشباع حاجاتهم . وكانت المحصلة الطبيعية لذلك أن حدثت مجاعة دفعت شعوب تلك الدول إلى الزحف نحو الشرق الإسلامى لاستيطانه وإقامة مستعمراتهم الصليبية هناك ، حيث الوفرة والثروة . هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى ، نجد دليلا آخر على صدق هذا الرأى فيما ذكره البابا أوربان الثانى فى خطابه المشهور الذى ألقاه فى حشود الصليبيين فى كليرمونت (١٠٩٥ م / ٤٨٨ هـ) داعيا إياهم إلى حمل الصلبان والزحف إلى الشرق والاستيلاء عليه قهراً بحد السيف ؛ وإقامة إماراتهم اللاتينية هناك حيث «تجرى أنهار اللبن والعسل بلاحساب ولاثمن» . وبعد أن سمع الحاضرون خطابه ، صاحوا صيحتهم المشهورة «تلك إرادة الله Deus Le Volt» ، وحملوا

---

(١) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب (صليبية، تجارية ،ثقافية) ، ترجمة د./ فيليب صابر يوسف ، ط١ ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٧ .

(٢) عزيز سوريال عطية : المرجع السابق ، ص ٨

الصلبان ، ومن هنا عرفت الحركة باسم الحركة الصليبية .

وهكذا ، يتبين لنا اختلاف بواعث الحركة الصليبية باختـــلاف المشارب والأهواء . فهناك العـوامل السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية ، والدينية ، والشخصية التى انصهرت معاً وتبلورت فيما عرف باسم الحركة الصليبية التى قام بها الغرب اللاتينى ضـــد الشرق الإسلامى ، متخذاً من الصليب شعاراً يخفى وراءه حقيقة أهدافه الرامية إلى انتزاع أولى القبلتين وثالث الحرمين من أيدى المسلمين ولقد اكتوى الشرق الأدنى الإسلامى بنيرانها طوال قرون ثلاثة هى القـرون الثانى عشر والثالث عشر والرابع عشر الميـــلادية (القرون السادس والسابع والثامن الهجـرية) ، وقد تلاحمت فيهـا القوى الصليبية والإسلاميـة فى صراع دام مرير لاتزال آثاره ماثلة حتى يومنا هذا .

ومن ثم ، يمكننا تعريف الحركة الصليبية بأنها ، حركة استعمارية استيطانية تعصبية ، قام بها الغرب اللاتينى ضد الشرق الأدنى الإسلامى ؛ تحقيقاً لأهداف البابوية فى السيطرة عليه سياسياً واقتصاديا ، وكثلكته واخضاعه لنفوذها قهـراً بحد السيف .

وموضوع هـذا الكتاب ، يعالج واحـدة من أهم حلقات الصـراع الصليبى الإسلامى . وقد وقع اختيارنا عليه لخلو المكتبة التاريخية من دراسـة مستقلة قائمة بذاتها تتناول أحـداثه ووقائعه بالتحليل . والحقيقة أن موضـوع العلاقات الجنوية الفاطمية لم يلق العناية الكافية من المؤرخين القدامى والحديثين . أضف إلى ذلك أنه لم تخرج إلى حيز الوجود حتى الآن أى بحـــوث علمية تتناول تلك العلاقات المتشابكة المعقدة المتداخـلة فى بعضها ، تعبر عنها من وجهة نظر محايدة منزهة اعتماداً على ماجاء فى مختلف المصادر والأصول من عربية وأجنبية على السواء . إن ما كتب عن تلك العلاقات فى شتى المراجع

الأجنبيـة والعربية لاتتعدى بضع صفحـات ، أو شذرات وتتف مبعثرة هنا وهناك مما لا يشفى غليل الباحث . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لاتصلح أساسا لدراسة تاريخية موضـــوعية علمية ، باستثناء ما كتبه وليام هايد فى كتابه « تاريخ التجارة فى حوض البحر المتوسط فى العصر الوسيط » . وكذلك ما جاء من إشارات وسطور فى كتاب ج . بنت المعروف باسم « كيف قامت جمهورية جنوة وسقطت » . وفيما عدا ذلك فان تاريخ العلاقات الجنوية الفاطمية ضائع وسط زحام الصراعات السياسية والحضارية التى قامت بين الشرق والغرب . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن المؤرخين المسلمين لم يهتموا كثيراً بتدوين تاريخ الجنوية وعلاقاتهم مع القوى الإسلامية بالشرق الأدنى آنذاك . واكتفوا بالاهتمام بتدوين الأحداث التاريخية بصفة عامة سنة بعد أخرى طبقا للنظام الحولى . ولعل هذا النظام الذى درج عليه الكتاب العرب فى الحقبة الوسيطة من التاريخ هو الذى حال بينهم وبين الاهتمام بموضوعات متخصصة مستقلة .هذا من ناحية المؤرخين العرب وموقفهم من سرد تاريخ العلاقات الجنوية الإسلامية بصفة عامة والعلاقات الجنوية الفاطمية على وجه الخصوص . أضف إلى ذلك تداخل وتشابك تاريخ تلك العلاقات مع تاريخ العلاقات بين الجاليات الايطالية التجارية والشرق الأدنى الإسلامى بوجه عام قبيل وأثناء الصراع الصليبى الإسلامى من جانب . ومن جانب آخر فإننا نجد أن تاريخ العلاقات الجنوية الفاطمية فى الفترة موضوع البحث قد اختلط كثيراً وبقوة مع تاريخ الصراع بين الصليبيين والفواطم وغيرهم من المسلمين بالشرق بصفة عامة ، لدرجة أنه لا يمكن معها الفصل بين هذه القوى الثلاث وهى : الجنوية ،واللاتين ، والفواطم عند تناول عـــلاقات جنوة بالفواطم . ولقد اتضح أن ما قدمته جنوة من مساعدات فعالة للفرنجة وما قام به رعاياها من مذابح دامية أبادوا فيها سكان

مدن إسلامية بكاملها كانت تخضع للنفوذ الفاطمى ، قد أدى إلى اشتهار اللاتين بالعنف والوحشية ، حتى أن القوى الإسلامية الموجودة على مسرح الأحداث كانت تسارع إلى كسب ودهم وإعـــلان الولاء والطاعة لهم ومن هنا أضحى الجنوية فى نظر اللاتين قوة يعتد بها ، ويحسب المسلمون أنفسهم حسابها كقوة سياسية واقتصادية لا يستهان بها .

والحقيقة أن أهالى مدينة جنوة التجارية الإيطالية . قد اتبعوا فى علاقاتهم مع الفاطميين والمسلمين من ناحية ، وفى صلاتهم باللاتين من ناحية أخرى ، سياسة ذات وجهين متباينين تمام التباين . فقد كانت سياستهم تقوم على أساس « نحن جنويون أولا ، وجنويون آخراً » إن جاز ذلك التعبير . على أساس أنهم كانوا يضعون نصب أعينهم مصالحهم الاقتصادية الخاصة أولا وقبل كل اعتبار ، مع الاستفادة قدر المستطاع من الصراع الصليبى الإسلامى ، على حساب كل من المعسكرين المتناحرين . فكانوا يتقلبون فى خدمة اللاتين تارة ، والفواطم تارة أخرى ، حسبما كانت تمليه الظروف والمصــــالح الذاتية بغض النظر عن عاملى الجنس والعقيدة ، وقد يقفون فى صف اللاتين ضد الفاطميين أو العكس وفقا لمقتضيات الظروف والأحوال وما تمليه عليهم مصالحهم التجارية التى كانت أسمى من كل شىء وكان لزاما علينا عند تناول موضوع البحث تتبع أصوله وجذوره وكذلك تطور العلاقات بين جنوة والفاطميين ، من خلال دراسة الأصــــول الأجنبية والعربية على السواء ، مع مناقشة مختلف الآراء والنصوص والروايات التاريخية المتضاربة المتناقضة ، وعقد المقارنات التاريخية بينها وصــــولا إلى الحقائق التاريخية السليمة . وغير خاف أن موضوع العلاقات الجنوية الفاطمية فيما بين بداية الحــــركة الصليبية ونهاية الدولة الفاطمية بمصر يحتاج إلى جرأة وإقدام بسبب صعوبته وقلة المادة التاريخية ، وندرة ما كتب فيه . فكان علينا

أن نتتبع أحداثه ووقائعه لهثا وراء المصادر والأصول علنا نعثر فيها على معلومة أو رواية أو واقعة تسد فجوة أو تضيف شيئاً جديداً . ومن حسن الحظ أننا وفقنا بعون الله تعالى إلى الكثير ، وأمكننا التصدى للمسائل والقضايا التى واجهتنا والتعرف على أسبابها ومسبباتها ، وبيان النتائج والآثار التى ترتبت عليها .

حقيقة أن المصادر العربية لم تسعفنا بفيض من المعلومات يساعد على إماطة اللثام عن الغموض الذى اكتنف بعض جوانب تلك العلاقات . كما أن بعضها التزم الصمت المطبق حيال الكثير من الأحداث الهامة ، دون إبداء الأسباب مع تعميم إطلاق اسم « الفرنج » على اللاتين والجنوية وغيرهم من الصليبيين، مما أدى إلى خلق عدة صعاب أمامنا أثناء جمع مادة البحث وكتابته . لذا كان علينا أن نلجأ إلى المصادر اللاتينية التى كانت تعبر عن هذه العلاقات من وجهة النظر الغربية البحتة لعلها تزودنا ببعض الحقائق والمعلومات . التى يمكن الإفادة منها بعد موازنتها ومقارنتها بما جاء من شذرات فى المصادر العربية . وغنى عن القول أيضا أن المؤرخ الجنوى المعروف « كفارو » قد أمدنا بالعديد من الحقائق التاريخية التى أغفلتها الأصول العربية ، فكان خير سند لنا فى بحثنا هذا . وفى نفس الوقت كان لابد أن نتناول الروايات الواردة بالمصادر اللاتينية بصفة عامة بشىء من الحيطة والحذر مع مقارنتها بمثيلاتها من الروايات اللاتينية والإسلامية الأخرى بهدف الوصول إلى لب الحقائق التاريخية والتوصل إلى أسلم النتائج والأفكار .

ولعل إغفال المصادر العربية للعديد من الحقائق عن طبيعة العلاقات الجنوية الفاطمية إبان الفترة موضوع البحث يرجع إلى السياسة ذات الوجهين التى اتبعها الجنوية فى علاقاتهم مع الفواطم من ناحية ، ومع اللاتين من ناحية أخرى . والمقصود بذلك ظهورهم بمظهر التاجر المسالم الذى يسعى إلى الربح الشريف

بالتجارة مع الفواطم بصفة خاصة والمسلمين بعامة . ومن جانب آخر اشتراكهم مع اللاتين تحت راية الصليب كتجار مقاتلين بحجة الدفاع عن العقيدة الكاثوليكية. ولاشك أن اللاتين قد تفهموا حقيقة الأهـــداف المادية للجنوية ، وهم الذين وضعوا مصالحهم الخاصة ومصالح مدينتهم جنوة فى المرتبة الأولى ، بينما استغلوا الوازع الدينى كستار وقناع يخفون وراءه حقيقة وجه التاجر الجنوى. ولعل هذه السياسة المزدوجة التى اتبعها الجنوية مع تفهم اللاتين لحقيقـــة أهدافهم وشدة حاجاتهم إليهم قد تفسر لنا عدم إشارة المصادر العربية وبعض المصادر اللاتينية إلى تفاصيل تلك العـلاقات . ومن هنا كانت قيمة كتاب « كفارو » الذى يعتبر من أهم المصادر اللاتينية المعـاصرة للفترة موضوع البحث إن لم يكن أهمها على الإطلاق . إذ تناول أحداث فترة كبيرة من تاريخ العلاقات السياسية بين جنوة والفواطم ، وأورد أحداثا مفصلة عن جهود الجنوية فى الحملة الصليبية الأولى . والصراع الصليبي الفاطمى الإسلامى منذ بداية الحملة وحتى سقوط مدينة طرابلس عام ١١٠٩م (٥٠٣هـ) . وتعزو أهمية رواياته إلى توافقها بوجه عام مع التواريخ الكبيرة للحروب الصليبية التى كتبت فى القرن الثانى عشر الميلادى . هذا فضلا عن صدقه ومحاولته الحـد من ميوله للمبالغة فى إظهار أهمية الدور الذى قام به أهالى مدينة جنوة (١) ، مما كان له كبير الأثر فى سد عديد من الثغرات التى واجهتنا . ومع ذلك ، فإن المادة التى حصلنا عليها من « كفارو » ، رغم أهميتها ، لم تكن بالقدر الكافى ، ولم تساعد على تكوين فكرة متكاملة تماما عن حقيقة العـلاقات بين جنوة والفواطم . ومن هنا كان علينا أن نملأ فجوات البحث فيما يتعلق بتاريخ تلك العلاقات بالاستعانة بما جاء من إشارات عنها فى الأصول

---

(١) انظر : R.H.C. V, perface, pp. 21 f.

والمصادر اللاتينية والعربية المختلفة ، المعاصرة والمتأخرة زمنيا ، كى نستطيع بعد مقارنتها بكتابات « كفارو » أن نصل إلى لب تلك العلاقات .

هذا ، ونظراً للتشابك والتداخل الشديدين فى طبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية بين الجنوية والفواطم ، فقد راعينا أن نتناول على امتداد فصول الكتاب تلك العلاقات بشقيها السياسى والاقتصادى فى ضوء المادة التى أسعفتنا بها المصادر المختلفة . ولقد توقفت العلاقات السياسية بين الجنوية والفواطم بعد سقوط مدينة صيدا عام ١١١١م / ٥٠٤هـ فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (١١٠١ - ١١٣٠م / ٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) . وظلت علاقاتها الاقتصادية مستمرة قوية وبصورة أمتن عن ذى قبل حتى سقوط الدولة الفاطمية عام ١١٧١م/٥٦٧هـ. ولعلنا نجد فى إسهام الجنوية فى مؤامرة الإطاحة بصلاح الدين الأيوبى دليلا دامغا على مدى قوة العلاقات الاقتصادية بينهم وبين الفواطم .

ولا ريب أن أهمية العلاقات الجنوية الفاطمية ترجع إلى كونها قد ألقت الضوء على فترة من أهم فترات الصراع الصليبى الإسلامى بصفة عامة ، وعلى مرحلة هامة من مراحل تاريخ الشرق الأدنى الإسلامى ومصر بصفة خاصة . كما ساعدت على توضيح الآثار الخطيرة التى ترتبت على تفكك وحدة الصف الإسلامى مما أدى إلى نجاح الزحف الصليبى فى تحقيق أهدافه بتعضيد القوى التجارية الإيطالية وعلى رأسها مدينة جنوة التى انتهزت فرصة ما حل بالعالم الإسلامى من صراع سياسى ومذهبى وألقت بكامل ثقلها فى خضم الصراع الصليبى الإسلامى بحجة حماية الضريح المقدس فى الظاهر ، بينما هى تسعى فى حقيقة أمرها إلى العمل على تأمين طريق التجارة أمام جاليتها، وتوطيد دعائم وجودها التجارى بالشرق تمهيداً لاحراز قصب السبق فى مضمار الزعامة فى التجارة العالمية على منافسيها من البنادقة والبيازنة . وكانت النتيجة أن نجح اللاتين فى اكتساح القوى

الإسلامية المتنازعة وإقامة إماراتهم في الشرق على أنقاض أملاك السلاجقة والفواطم . ولاشك أن الدور الذى قام به الجند الجنوية وأسطولهم كان له أكبر الأثر فيما أحرزه اللاتين الغربيين من نجاح .

وفى ضوء ما تقدم قسمنا الموضوع إلى خمسة فصول . مهدنا له بهذه المقدمة وبتحليل على لمختلف المصادر والمراجع من عربية وأجنبية وذيلناه بخاتمة ضمناها أهم الآراء والأفكار التى أمكن التوصل إليها . والفصل الأول وعنوانه «أحوال الشرق والغرب حتى قيام الحرب الصليبية الأولى » تناولنا فيه فى دراسة مركزة أحوال كل من الشرق والغرب كخلفية لموضوع البحث ، خاصة وأن إلقاء نظرة عامة على الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية السائدة فى كل من شقى العالم آنذاك تساعد على تفهم طبيعة المناخ العام الذى مهد إلى نهضة جنوة ونموها سياسيا واقتصاديا وبالتالى قيامها بهذا الدور الفعال فى الحركة الصليبية وما انتج عنه من احتكاك مسلح فى البر والبحر بينهم وبين الفواطم .ولقد بينا فيه قوة الروح الصليبية لدى الجنوية وشهرتهم كصليبيين عتاة ، جند للمسيح وأعداء للإسلام قبيل الحركة الصليبية بزمن طويل. وتناولنا فى هذا الفصل أيضاً قوة العلاقات الاقتصادية والسياسية بين الفواطم والجنوية قبيل الحركةالصليبية، والآثار المترتبة على هجمات الفواطم على جنوة وتدميرها فى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى ، الأمر الذى كانت له نتائجه وانعكاساته الخطيرة على العلاقات الجنوية الفاطمية فيما بعد وقيام جنوة بحملة صليبية حقيقية فى أواخر القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) على الشام . كما أن دراسة أحوال الشرق والغرب بهذا التركيز قد ساعدت على تفهم وتفسير مختلف التيارات والمشارب والأهواء التى طفت فوق سطح الأحداث ، وموقف كافة القوى والأطراف المتصارعة المختلفة حيال بعضها البعض . كما أشرنا إلى وجود معاهدات وسفارات

متبادلة بين جنوة والفواطم فى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجرى) تدل على قوة العلاقات الاقتصادية بينهما قبيل الحركة الصليبية ، وتؤكد حقيقة قوة الوجود الجنوى فى مصر والشام فى وقت كان فيه الفواطم هم سادة مصر والشام . واختتمنا الفصل الأول بسرد أحوال الإمبراطورية البيزنطية وانهيارها أمام غزوات الأتراك السلاجقة ، وما نتج عن ذلك من استنجاد الإمبراطور البيزنطى ألكسيس كومنين بالغرب الأوروبى الذى أرسل النجدات فى صورة الحملة الصليبية الأولى التى أدلى فيها الجنوية بدلوهم تحقيقاً لأهدافهم الخاصة .

أما الفصل الثانى وعنوانه « الحملة الصليبية الأولى وموقف جنوة منها حتى سقوط أنطاكية فى ٢٨ يونيو ١٠٩٨ م/٢٥رجب ٤٩١هـ» فقد احتوى على دور جنوة فى الصراع الصليبى الاسلامى قبيل الحملة وأسباب إسهامها فيها منذ عقد مؤتمر كليرمونت.وقدأشرنا فيه إلى دورجنوة الفعال فى الإعداد للحملة والاسهام فيها منذ البداية ، وأوضحنا كيف اتخذ الجنوية من اللاتين ستارا يتحركون خلفه لتحقيق أهدافهم الخاصة . كما استلزم الأمر الإشارة إلى موقف الفواطم من الحملة بعد وصولها إلى شمالى الشام ، ونتائج السفارة الفاطمية التى أرسلها الأفضل للتحالف مع اللاتين ضد السلاجقة . وختمنا الفصل بدور الجنوية فى سقوط أنطاكية وماحصلوا عليه من امتيازات نتيجة لمساعداتهم للفرنج فيماعرف باسم اتفاقية يوليو ١٠٩٨م وآثارها فى إلقائهم بكامل ثقلهم إلى جانب اللاتين ضد الفواطم كما سيتضح فيما بعد .

أما الفصل الثالث وعنوانه : « العلاقات السياسية بين جنوة والفواطم منذ سقوط أنطاكية فى ٢٨ يونيو ١٠٩٨م حتى موقعة عسقلان فى ١٢ أغسطس ١٠٩٩م / ٢٥ رجب ٤٩١ — ٢٣ رمضان ٤٩٢ هـ » ، فقد أشرنا فيه إلى دور جنـــوة وأسطولها فى تعضيد الزحف الصليبى

براً وبحراً وإمداد اللاتين بما يحتاجونه أثناء الزحف من مدد وعتاد وتأمين جانبهم الشرقى من ناحية البحر ، مع الإشارة إلى موقف الفواطم من الزحف اللاتينى الجنوى فى البر والبحر ومحاولاتهم التحالف مع اللاتين ضد السلاجقة وحماية البيت المقدس بعد سيطرتهم عليه وأثر ذلك فى حدوث أول مواجهة عسكرية بينهم وبين الجنوية واللاتين، وماترتب على ذلك من سقوط بيت المقدس فى أيدى اللاتين والجنوية بعد مذبحة مروعة كان للجنوية فيها اليد الطولى . وختمنا الفصل بانتصار الجنوية واللاتين على الفواطم فى موقعة عسقلان وعودة القادة والجند الجنوية إلى جنوة محملين بالأسلاب والمغانم .

وفى الفصل الرابع وعنوانه : « العلاقات السياسية بين جنوة والفواطم (١٠٩٩ — ١١١١م / ٤٩٢ — ٥٠٤هـ) » ، فقد انتقلنا فيه إلى توضيح دور جنوة الخطير فى إثارة الروح الصليبية من جديد فى الغرب تحقيقاً لمصالحها الخاصة ، وما نتج عن ذلك من توجه الجنوية ثانية إلى الشرق للإسهام فى قتال الفواطم والمسلمين إلى جانب بنى جنسهم من اللاتين ، مع التركيز على إظهار دورهم الفعال فى تقطيع أوصال الوجود الفاطمى فى الشام وانتزاع مدنه الساحلية من أيديهم مثل : يافا وحيفا وأرسوف وقيسارية وعكا وجبيل وطرابلس وجبلة وبيروت وصيدا . كما تعرضنا فى الفصل لموقف الأفضل الفاطمى من هذه الأحداث وجهوده ضد الجنوية واللاتين لدرء خطرهم عن تلك المدن ونتائج ذلك . وأشرنا إلى موقفه من الجاليات الجنوية التى كانت تقيم فى مصر وأثر ذلك فى اتهامه بالتقاعس والقصور فى محاربة اللاتين والجنوية رغم مقدرته العسكرية وإمكانياته المادية والبشرية .

أما الفصل الخامس والأخير وعنوانه : « تقييم العلاقات الجنوية الفاطمية فيما بين عامى ١٠٩٥ — ١١٧١م / ٤٨٨ — ٥٦٧هـ » فقد تناولنا فيه العديد

من القضايا والأمور الهامة . من ذلك محاولة تقييم علاقات كل طرف بالآخر من وجهتى النظر الغربية والعربية ، وقوة تلاحم نهضة جنوة بتاريخ الفواطم فى المغرب والمشرق وآثار ذلك على علاقات جنوة بالفواطم خلال الفترة موضوع البحث من خلال إسهامها فى الصراع الصليبى الإسلامى الفاطمى ، مع الإشارة إلى أهم الامتيازات التجارية التى حصل عليها الجنوية من جراء إسهامهم فى قتال الفواطم والمسلمين إلى جانب اللاتين ، وبيان نتائج ذلك على الوجود الجنوى فى مصر . وأوضحنا أيضـــا ما إذا كان لدورهم هذا آثاراً ضارة على جالياتهم بمصر ومصالحهم التجارية بها . وخلصنا إلى أن علاقاتهم الاقتصادية مع مصر الفاطمية كانت قوية رغم دورهم العدائى ضد الوجود الفاطمى بالشام لحاجة الأفضل إلى المال لإعداد القوة العسكرية والأسطول اللازمين لمواجهة اللاتين . ورغم ذلك ظلت علاقاتهم بمصر قوية اقتصاديا حتى سقـــوط الدولة الفاطمية على الرغم من توقف الصراع السياسى بينهما كما سبق ذكره . وختمنا الفصل بدور الجنوية فى المؤامرة الفاطمية للقضاء على على حكم صـــلاح الدين الأيوبى ومحاولة إعادة حكم الفواطم الذين تمتعوا فى عصرهم بالأمان وحققوا من ورائهم الثروات الطائلة . وقمنا بتحليل وتعليل مختلف المواقف والسياسات التى اتخذها اللاتين والجنوية والفواطم حيال بعضهم البعض آنذاك .

وأنهينا البحث بخاتمة تعرضنا فيها لاستمرار العلاقات بين الجاليات الجنوية التجارية وبين الفواطم بمصر رغم فترات العداء السابقة ، مع بيان أهم النتائج والاستنتاجات وأهم الآراء والأفكار التى أمكن التوصل إليها . ولقد فرض علينا البحث تزويده بعدد من الخرائط والرسوم التوضيحية واللوحات . وإحدى هذه الخرائط عن الحـــلة الصليبية الاولى ودور جنوة فيها ، وأخرى عن أهم مراكز الجاليات الجنوية بمصر والشام قبل وبعد الحملة الصليبية الأولى (قبل

عام ١٢٦٠م)، وخريطة ثالثة توضح دور جنوة فى احتلال مدن الساحل الشامى وأهم المواقع التى خاضتها مع اللاتين ضد الفواطم والمسلمين . كما زودنا البحث برسم تخطيطى لمدينة أنطاكية وآخر لمدينة بيت المقدس ومواقع الجنوية أثناء الحصار الجنوى اللاتينى لها . وأخيراً لوحة مصورة توضح شكل أحد الأبراج التى صنعها الجنويه وهاجموا به مدينة القدس بقيادة جودفرى دى بويون . وقد استعنا فى إعداد تلك اللوحات والخرائط والرسوم بعدد من مؤلفات المؤرخين الحديثين وفى مقدمتهم جروسيه وسومبسون وماكسيم بتيت Maxime Petit ، وأخيراً فقد زيلنا البحث بعدة ملاحق ترتبط به ارتباطا وثيقا أولها نقلا عن مخطوطة عربية ، وباقيها عن مصدر لاتينى معاصر وهو « كفارو » الجنوى وكلها تتعرض لمسائل وقضايا هامه عالجناها وتناولناها فى صلب الموضوع ، ورأينا أن نثبت النصوص المتعلقه بها فى الملاحق بكل دقائقها وتفاصيلها ، لما تضمنته من معلومات قيمه تعرضنا لها فى البحث الذى ختمناه بقائمة بأسماء المصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها من أجنبيه وعربية ، خطية ومطبوعة ، وهي التي وفقنا الله سبحانه جل وعلا إليها .

وفى النهاية لايسعنى إلا أن أتقدم بوافر الشكر والعرفان بالجميل لأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور جوزيف نسيم يوسف الذى كان ولا يزال كدأبى به خير سندوعون . كما أقدم عظيم شكرى إلى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور عمر كمال توفيق ، فضلا عن الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور الذي أفادتني كتبه ومؤلفاته التى أثرت المكتبة العربية .

والله نسأل أن يكون فى كتابنا هذا ما يعين على كشف حقيقة الصراع الصليبي الإسلامى فى العصور الوسطى ، وإزاحة ضباب التشكيك والتشويه

عنه ، ويعرضها صافية بلا تعصب أو تحامل .

كما نسأله عز وجل أن يجزى عنا خير الجزاء كل من ساهم فى إخراج هذا الكتاب إلى حيز النور .

« وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ » (١).

الإسكندرية فى رمضان المبارك ١٤٠١ هـ
يوليــــو ١٩٨١م .

مصطفى حسن محمد الكنانى

---

(١) هود : ٨٨ .

دراسة تحليلية نقدية

لأهم مصادر البحث ومنابعه

إن تاريخ العلاقات بين جنوة والفواطم أثناء الحروب الصليبية على الشرق الأدنى الاسلامى بصفة عامة ، وإبان الفترة الممتدة منذ بداية تحرك الحملة الصليبيه الأولى وحتى سقوط الدولة الفاطمية بخاصة ، يكتنفه كثير من اللبس والغموض . ولم يصدر فيه للآن سواء فى الشرق أو الغرب كتاب علمى مستقل قائم بذاته يلم بكل جوانبه . يضاف إلى ذلك وجود عديد من الثغرات التى لم تذكرها المصادر التاريخية من عربية وغير عربية . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى ما اعترى الكتابات التاريخية الخاصة بتاريخ مدينة جنوة فى هذا المجال من قصور ، ربما لاعتماد الكتاب الغربيين الحديثين على شق واحد من أصول البحث دون الشق الآخر منه . وقد يكون السبب إما لعدم إلمامهم به تمام الإلمام، وإما لتعمدهم إهمال هذا الجانب لتصوير الأحداث من وجهة نظر غربية بحتة .

ولاشك أن تاريخ الحملة الصليبية الأولى كفصل من فصول الحركة الصليبية بمفهومها العام، قد تعددت الكتابات فيها بمختلف اللغات. ورغم ذلك يمكن القول أن دور جنوة الصليبى وجهودها فى الحملة اللاتينية الأولى على الشرق الأدنى الإسلامى، وبالتالى علاقاتها مع الدولة الفاطمية من خلال موقفها من الصراع الصليبى الفاطمى لم يدرس بعد دراسة وافية، ولازال بحاجة إلى أبحاث مستفيضة تجمع بين العلم بمصادره وأصوله سواء أكانت تلك المصادر والأصول لاتينية غربية أم عربية شرقية أم بيزنطية ، وذلك بقدر مساو ، سعيا وراء الحقيقة التاريخية المطلقة والموضوعية العلمية البحته .

والحقيقة أن كل مادون من تاريخ جنوة وعلاقتها بالشرق بصفة عامة والفواطم بصفة خاصة خلال الفترة موضوع البحث لايشفى من غل . ومما زاد الأمور تعقيدا أن ما اشتملت عليه المصادر والمراجع المختلفة ، من عربية وأجنبية ، خطية ومطبوعة ، عبارة عن نتف أو شذرات مبعثرة فى بعض الأصول

والمراجع . أضف إلى ذلك أن تلك المعلومات المتناثرة هنا وهناك يشوبها التناقض والإبهام . هذا ، بالإضافة إلى ما بها من ثغرات وفجوات عديدة مما لا يساعد الباحث على سرد تاريخ العلاقات بين جنوة والدولة الفاطمية خلال الفترة موضوع البحث بطريقة موضوعية مسلسلة ، وسرد منظم للأحداث. وتلك بلا شك معضلة أخرى واجهتنا . ومع ذلك فليس هناك شك فى أن ما اطلعنا عليه من مصادر لاتينية وبيزنطية وعربية ، ومن مراجع عربية واجنبية ، سواء منها ماهو مكتوب بالفرنسية والإنجليزية والإيطالية الحديثة،أو باللاتينية والفرنسية القديمة ، قد أفادنا بعون الله فائدة كبرى . واستطعنا بما جمعناه من مادة علمية أن نسد تلك الثغرات التى كانت فى المصادر العربية والأجنبية ، بحيث أمكن ربط الموضوع فى وحدة واحدة متكاملة متناسقة .

والحقيقة أن المصادر الأصلية المعاصرة التى رجعنا إليها ضربان : الأولى لاتينية بيزنطية والثانية عربية . هذا فضلا عن المصادر المتأخرة زمنيا عن تلك الحقبة والتى استطعنا أن نحصل منها على بعض المعلومات الهامة .

وأهم هذه المصادر على الإطلاق التى أعتمدنا عليها وأفدنا منها كتاب المؤرخ الجنوى المعاصر لفترتنا كفارو الكاسكيفلونى (١) Cafari De Caschifelone

(١) ولد كفارو عام ١٠٨٠ أو ١٠٨١ ،وكان والده حاكما لكاسكيفلونى المعروفة اليوم باسم كاسترو فينو Castrofino التى لاتبعد كثيرا عن جنوة ، وبموت والده عام ١١١١ م أو قبل ذلك بقليل ورثه ابنه الأكبر كفارو مؤرخنا هذا الذى سمى نفسه باسم كفارو الكاسكيفلونى فى إحدى مذكراته . ولقد زار كفارو الشام عام ١١٠٠ م وزار بيت المقدس (٢١ أبريل ١١٠٠م) حيث شاهد معجزة النار المقدسة فى ذلك اليوم بكنيسة الضريح المقدس ،وشاهد حصار وسقوط أرسوف وقيسارية عام ١١٠١م . وبعودته إلى جنوة (يوليو - أكتوبر ١١٠١ م) بدأ يكتب مذكراته ،وبدأت تتعدد زياراته للأراضى المقدسة ، حيث عادأوائل عام ١١٠٢ وظل هناك حتى عام ١١٠٩م أو ١١١٠م. =

المعروف باسم «كتاب تحرير مدن الشرق» وقد وضعه كفارو أصلا باللغة اللاتينية تحت اسم «De liberatione Civitatum Orientis Liber» وامتاز هذا المصدر بأهميته الفائقة بالنسبة للموضوع الذى نحن بصدده . وترجع أهمية كتابات «كفارو» إلى أنها كتابات مؤرخ معاصر للأحداث، فضلا عن صدق ما كتبه كشاهد عيان . ولقد أمدنا بعديد من الوقائع والمعلومات عن دور أهالى مدينة جنوة فى الحرب الصليبية الأولى، وبخاصة أثناء الصراع الصليبى الفاطمى الذى كان صراعا جنويا فاطميا لأهمية دور جنوة فى حسم المعارك سواء فى البر أم فى البحر . ومن المعلومات الهامة التى ذكرها كفارو ولم ترد فى المصادر الأخرى سواء أكانت لاتينية أم عربية، دور جنوة منذ مؤتمر كليرمونت واستعداداتها

= وظل منذ ذلك الحين يتردد على الشام وجنوة وفى عام ١١١٢م تقريبا عين قنصلا للمرة الأولى وكلف بالعدل والاشراف على الكوميون وهى وظائف لم تتضح صورتها إلا مع عام ١١٣٠م وفى عام ١١٢٥ عين قنصلا للمرة الثانية حيث قاد عملية غزو واحتلال مدينة المرية وقاد أهلها أسرى إلى جنوة . وعين عام ١١٢٧م قنصلا للمرة الثالثة حيث سافر إلى برشلونة لعقد اتفاق مع حاكمها ريموند برنجيير السابع . وتعدد انتخابه قنصلا لجنوة وفى عام ١١٤٦م هاجم المرية ثم هاجمها عام ١١٤٩م واحتلها بعد مذبحة مروعة، وفى نفس العام (١١٤٩م) عين قنصلا للمرة الأخيرة (الخامسة) كما عين سفيرا لجنوة مرتين (١١٥٤ و١١٥٨م) حيث عقد مع فريدريك بربروسا اتفاقا ذكره فى حولياته . وفى عام ١١٦٦م مات كفارو، وعمره ٨٦ عاما تاركا ولدين هما أوتودى كفارو Otton ed Caffaro وجوليام بيزولو Guilloume Pezzulo وبنتين هما أديلا Aidela وإميلينا Aimelina ولقد ترك لنا كفارو كتابين هما «حوليات جنوة» الذى يشغل الفترة (١١٠٠ — ١١٦٣م) و(كتاب تحرير مدن الشرق) الذى وضعه عام ١١٥٥م . وهو الكتاب الذى اعتمدنا عليه فى بحثنا هذا (طبعة بول ريان) فى جـ٥ ، مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية، المؤرخون الغربيون R.H C.-H. Occ., V, Perface, VXI-XXIII.

أنظر أيضا : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحروب الصليبية، ط٢ ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ص ١٩ والحواشى .

للإسهام الفعلى فى الحملة الصليبية منذ بدايتها . ثم إنه أورد ثبتا فريدا فى نوعه بأسماء بعض القادة والقباطنة الجنوية الذين ساهموا فى الحملة وحملوا الصليب منذ البداية ، مما ترك أكبر الأثر على مسار الأحداث والصراع الصليبى الفاطمى الإسلامى على امتداد الفترة موضوع البحث واتسمت كتاباته بالصدق والاتزان رغم تغلب الروح القومية والتعصب والحماس لوطنه فيها .

وهناك مصادر أخرى ساعدتنا فى تفهم طبيعه العلاقات الجنوية الفاطمية ، منها كتاب وليام الصورى (١) المؤرخ اللاتينى المشهور ويعرف باسم «الأعمال التى تم انجازها فيما وراء البحر » وقد وضعه المؤرخ أصلا باللغه اللاتينيه تحت عنوان : « Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum»

---

(١) يعتبر وليام الصورى من أعظم المؤرخين اللاتين ، ولد عام ١١٣٠م وعمل فى صور كمساعد لرئيس الأساقفة بها ، كما عمل فى خدمة عمورى الأول (١١٦٣ - ١١٧٣م) ملك بيت المقدس الذى قربه إليه وعينه رئيسا لشمامسة كنيسة صور، وأخيرا كلفه بكتابة تاريخه . ولقد اشتهر وليام الصورى باتقانه عديدا من اللغات مثل اللاتينية والفرنسية والعربية ، فضلا عن معرفته باللغات الفارسية والعبرية واليونانية . والجدير بالذكر أن هناك دراسة تحليلية موضوعية عن وليام الصورى وكتابه المشهور قام بها الأستاذ الدكتور عمر كمال توفيق استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الاسكندرية سابقا .

أرجع الى .

William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea, trans. and annot. by Emily Atwater Babcock and A.C. Krey, New York, Vol. I, pp. 4 ff. cf. also. Runciman, A History of the Crusades, Vol. 1, pp 331 f.

عمر كمال توفيق : المؤرخ وليام الصورى ، مقاله بمجله كلية الآداب — جامعة الاسكندرية — المجلد ٢١ - الاسكندرية ١٩٦٧ ص ١٨١ — ٢٠٠ .

ولقد اعتمدنا على الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب المعروف باسم « A Hstory of Deeds done beyond the Sea » ترجمة بابكوك وكراى « Babcock and Krey » وصدرت فى جزأين . ويتميز هذا المصدر بالأهمية ، إذ يعتبر معاصرا إلى حد ما لأحداث الفترة موضوع البحث ، وخاصة النصف الثانى منها . وقد أمدنا بقدر واف من المعلومات عن دور جنوة والجنويين فى الحملة الصليبية بصفة عامة وسقوط مدن الساحل الفاطمية بالشام بخاصة . كما أشار وحده دون بقية المصادر الأخرى إلى السفارة اللاتينية التى قدمت لعقد معاهدة تعاون مع العاضد الفاطمى . وأورد صورة حية لمظاهر الفخفخه والأبهة التى كان يعيش فيها الفواطم فى أواخر عهدهم كنتيجة حتمية للثروة المتحصلة من الرسوم الجمركية المفروضة على التجار الجنوية وغيرهم من التجار الإيطاليين .

كذلك تعتبر الإشارات التى أوردها بعض المؤرخين اللاتين كشهود عيان عن دور الجنوية فى الحملة الصليبية الأولى وسقوط مدن الساحل ذات أهمية عظيمة مثل المؤرخ المجهول ، وريموند أجيل ، وفوشيه دى شارتر وغيرهم ممن أشاروا إلى هذا الدور ، نقلا عما سمعوه وحفظوه من أخبار حصلوا عليها من أفواه الحجاج والتجار والجند الجنويين واللاتين وغيرهم ممن شاهدوا تلك الأحداث ، ودونوها فى كتب لازالت موجوده إلى يومنا هذا .

ومن المصادر التى أفادتنا فى هذا الصدد كتاب المؤرخ المجهول (١) الذى يعتبر

---

(١) مؤرخ حملة بوهمند النورمانى عرف كتابه باللاتينية تحت اسم :

«Gesta Francorum et aliorm Hierosolymitanorum»

ولقد اعتمدنا فى هذا البحث على الترجمة العربية لهذا الكتاب التى قام باعدادها الأستاذ =

من أهم مصادر الحملة الصليبية الأولى . ومن خلاله استطعنا أن نصل إلى بعض الحقائق عن أهمية دور الجنوية فى الحملة حتى سقوط بيت المقدس وموقعة عسقلان (١٠٩٥ - ١٢ أغسطس ١٠٩٩م) وكتاباته صادقة كشاهد عيان أوضح بشاعة المذبحة التى قام بها اللاتين وحلفائهم الجنوية فى بيت المقدس . ويحتمل أنه كان من الفرسان النورمان الإيطاليين ، يؤيد ذلك كتاباته عن المعارك التى قاتل فيها وبطولات سيده بوهمند النورمانى الذى أسس إمارة أنطاكية وأحد كبار قادة الحملة اللاتينية . وكان يختص بوهمند دون بقية الأمراء اللاتين بكلمة « السيد » « Dominus » مما يؤكد أنه كان من أتباعه وضمن مقاتليه (١) .

كذلك يعتبر مؤلف ريموند أجيل Raimond d'Agiles من المصادر الهامة التى تناولت تاريخ الحملة الصليبية . اذ سرد تفاصيلها كشاهد عيان لها كما حصلنا منه على إشارات عديدة عن دور الأساطيل الإيطالية بما فيها الجنوية أثناء الحملة وعلى امتدادها . وقد سجلها فى مؤلفه المشهور باسم « تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس » ويعرف باللاتينية تحت عنوان : Historia Francorum qui Ceprunt Iherusalem » . وقد اهتم بسرد الأحداث المتعلقة بشخصية كونت تولوز والأسقف أدهيمار ممثل البابا الرومانى فى الحملة

= الدكتور حسن حبشى . وللاستزادة عن شخصية المؤرخ المجهول إرجع إلى ترجمته العربية بعنوان : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس » ترجمة وتقديم وتعليق دكتور حسن حبشى ، القاهرة ١٩٥٨ .

(١) أعمال الفرنجة ، المصدر السابق ، ص ١١ . وللاستزادة ، شرحه ، ص ٩-١٥ . وأيضا انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ط ١ ، الاسكندرية ، ١٩٦٣ ، ص ٢ - ٤ .

ومن معهم من الجنوية بالتالى (١) .

وهناك مصدر لاتينى آخر ينبغى الإشارة إليه لأهميته ولاستعانته بغيره من المصادر الصليبية، ونقله عن مصادر أخرى اندثرت فضلاعن نقل أسمعه عن ساهموا فى الحملة . كما اطلع على بعض الوثائق المتصلة بالحملة ودور الجنوية والإيطاليين فى إمداد اللاتين بالمؤن والعتاد واحتلال مدن الساحل منذ بداية تحرك اللاتين من الغرب حتى أوائل عام ١١٢٠م . وعرف هذا المصدر باللاتينية باسم Historia Hierosolymitana ومؤلفه المؤرخ اللاتينى ألبرت دى اكس Albert d'Aix ، مؤرخ حملة جودفرى دى بويون دوق اللورين السفلى (٢) .

ومن المؤرخين المعاصرين لأحداث تلك الفترة ممن أشاروا إلى دور المدن الإيطالية بما فيهم الجنوية المؤرخ فوشيه دى شارتر Foucher de Chartres وكان بصحبة جيش روبرت النورماندى وأيتن كونت بلوا . وقد أشار إلى جهود بلدوين حتى وفاته عام ١١١٨م فى احتلال مدن الساحل لتأمين وجود

---

(١) للاستزادة عن ريموند أجيل وشخصيته انظر :
Runciman, AHistory of the Crusades, I, Appendix I, p. 328.
جوزيف نسيم يوسف ، العرب والروم ، ص ٤ — ٦ .

(٢) لايعرف أسمه بالكامل وقد عمل كاهنا وأمينا لخزانه مدينة أكس Aix الألمانية ، ويروى قصة الحملة الصليبية الأولى وتاريخ مملكة بيت المقدس منذ عام ١١٠٣م حتى أبريل ١١٢٠م . ويتضمن كتابه تفاصيل لم يصل غيره من مؤرخى الحملة إليها . ولتاريخه قيمة خاصة فيما يتصل بالحملات الشعبية التى سبقت الحملة النظامية إلى الشرق . وعرف ألبرت بعدم تحيزه الى جانب اللاتين ضد البيزنطيين بعكس زملائه اللاتين . وكتاباته سهلة الأسلوب وموضوعية وأمينة بلاتنسيق أو زخرفة . ومما يؤخذ عليه إهماله تدوين تواريخ الأحداث التى ذكرها انظر جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ط ١ ، ص ١٠ — ١١ والحواشى .

اللاتين فى الشرق (١) . وبالإضافة إلى المصادر السالفة الذكر يوجد مصدر آخر باسم « زبدة التاريخ » أو « Flowers of History » للمؤرخ الإنجليزى روجر أوف ويندوفور « Roger of Wendover » . ورغم أن كتابه يتناول أحداث الفترة منذ عام ٤٧٧م إلى عام ١٢٤٥م ، ورغم أنه متأخر زمنيا عن الفترة موضوع البحث ، إلا أن ماذكره عن دور الجنويين فى الصراع الصليبى الفاطمى وعلاقتهم مع الفواطم يتميز بأهميته على الرغم من أنه لايتعدى عدة أسطر ولذلك كانت المعلومات التى زودنا بهـا على قلتها ذات أثر فى سد بعض الفجوات التى واجهتنا (٢) .

---

(١) ولد فوشية بمدينة شارتر الفرنسية عام ١٠٥٩م وعمل كاهنا ، ومن كتاباته عن مؤتمر كليرمونت وتطور أحداثه نستشف حضوره المؤتمر ١٠٩٥م . إذ أورد خطبة أوربان ودعوته للحركة الصليبية لتحرير الضريح المقدس . ولقد ترك لنا فوشيه كتابه المعروف باسم « أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس »

«Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium»

وينقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول كتبه حوالى عام ١١٠٠م وينتهى بموت جودفرى دى بويون ، والثانى ينتهى بموت بلدوين عام ١١١٨م ، أما القسم الثالث فينتهى عام ١١٢٧م . وترجع أهمية كتاباته إلى أنه كتبها كما رآها أو سمعها من شهود عيان أو نقلها عن مصادر ووثائق موثوق بها. وهو يعتبر موضع ثقة لدى المؤرخين المعاصرين له ومن جاءوا بعده أو نقلوا عنه وللاستزادة ارجع إلى « جوزيف نسيم يوسف العرب والروم » ، ص ٦ - ٩ والحواشى .

(٢) اشتغل روجر بالكنيسة فى وظيفة كاهن مرتل (شماس) وتنقل فى السلك الكهنوتى حتى وصل إلى وظيفة رئيس دير بالفدار الملحق بدير سانت ألبينى St. Albeney وذلك فى عهد الملك الانجليزى حنا Jhon (١١٩٩ - ١٢١٦م)ولقد عرف روجر باسم ويندوفور نسبة إلى ويندوفور إحدى مدان مقاطعة بكنجهام البريطانية ومات عام ١٢٣٧م وكتابه ينقسم إلى ثلاثة أقسام تبدأ منذ بداية الخليقة وتاريخ البشرية =

بالإضافة إلى ماتقدم ماتقدم يوجد مصـدر آخر بنفس اسم كتاب روجر أوف ويندوفر وهو « زبدة التاريخ » The Flowers of History للمؤرخ الإنجليزى متى أوف ويستيمنيستر « Matthew of Westminister » من كبار مؤرخى القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى . وتنتهى أحداث ذلك المصدر بحوادث عام ١٣٠٧م . ولقد ساعدتنا المادة التى حصلنا عليها منه فى ملء الفجوات التى قابلتنا مما سهل ربط الأحداث وتسلسلها (١) .

هذا عن الأصول اللاتينية من معاصرة وغير معاصرة، وهنا ينبغى الإشارة إلى مصدر بيزنطى هام كانت للمادة التى حصلنا عليها منه أثرها فى سد الثغرات الموجودة بالبحث وهو كتاب الألكسياد Alexiad ومؤلفته الأميرة البيزنطية أنا كومنين Anne Comnene . ويشمل تاريخ حياة والدها الإمبراطور ألكسيس الأول كومنين . ولا يمكن إغفال أهمية هذا المصدر للباحث فى تاريخ العلاقات اللاتينية البيزنطية الفاطمية فى الفترة قبيل الحملة اللاتينية وأثناء تقدمها وبعد قيام الممالك الصليبية بالشرق منذ عام ١٠٦٩م وحتى عام ١١١٨م؛ حيث مات

= حتى عام ٤٤٧م والثانى منذ ذلك الحين وحتى عام ١٢٠٠م وهو مارجعنا إليه، والثالث حتى عام ١٢٣٥م أى قبل وفاته بعامين . انظر :

Roger of Wendover, Flowers of History, Vol. I, V-VII.

(١) كان متى أوف ويستيمنيستر واحدا من الرهبان البندكتيين ، وفى مطلع القرن الرابع عشر الميلادى ذاعت شهرته وعرف باسمه هذا نسبة إلى مقاطعة ويستيمنيستر المشهورة فى انجلترا، وكتابه له أهميته حيث اعتمد فيه على مادونه المؤرخان المشهوران متى البارزى وروجر أوف ويندوفور (القرن الثالث عشر الميلادى) ، ارجع إلى :

Matthew of Westiminister, The Flowers of History, Vol. I, I - III.

والدها (١) .

من استعراضنا للمصادر السابقة نستنتج أن الحملة الصليبية الأولى كانت غنية بالمؤلفات التي كتبها اللاتين والبيزنطيون وهناك أيضا مؤلفات لكتاب أرمينيين مثال متى الرهاوى وميخائيل السورى . ولقد كانت تلك المؤلفات باستثناء (كتاب تحرير مدن الشرق) المؤرخ الجنوى كفارو غير دسمة فى مادتها التى هى فى صلب موضوع البحث إذ أن كل ماذكرته تلك المصادر عن دور مدينة جنوة فى الحرب الصليبية الأولى وعلاقاتها بالسلطات الفاطمية ؛ لم يتعد أسطر أو إشارات خاطفة . وإن كان هذا لايعنى أن بعض المصادر اللاتينية قد أشارت بإسهاب مشوب بالحذر إلى دور الجنويين فى احتلال مدن أنطاكية وبيت المقدس

---

(١) ولدت الأميرة أنا كومنين فى ديسمبر ١٠٨٣م وتزوجت من نيقفور برنيوس وهى ابنة الامبراطور ألكسيس من زوجته الامبراطورة إيرين دوكاس . وعرفت باتساع معرفتها بالعلوم والآداب واللغة اليونانية وكانت واسعة الثقافة لها معرفة بكتب اللاهوت ووضعت كتابها باليونانية السائدة آنذاك وهو يعد سجلا حافلا لتاريخ حياة والدها حتى وفاته ١١١٨م . وبدأت تدوينه ١١٣٧م وأتمته قبل وفاتها حوالى عام ١١٤٨م . والجدير بالذكر أن أخاها حنا كومنين قد أمر بحبسها فى أحد الأديرة بعد وفاة والدها . ويعتقد بيقائها فيه إلى أن ماتت عام ١١٤٨م حيث كتبت مؤلفها هذا . ولقد اعتمدنا على النسخة الانجليزية لهذا الكتاب التى ترجمتها اليزابث داوس Elizabeth Dawes عام ١٩٢٨ . عن الألكسياد وتاريخ أنا كومنين انظر :

جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص ١٩ – ٢١ والحواشى وأيضا .

Runciman, A History of the Crusades, Vol. I, Appendix I, p. 327 f.; Cf. also: Du Sommerad, L., Deux Princesses d'Orient au XII Siécles, Anna Comnéne Temoin des Croisades, Agnés de France, Paris, 1907.

وغيرها من مدن الساحل الشامى الخاضعة للفواطم . و بالتالى حصلنا منها على قدر لا بأس به من المعلومات وبالاستعانة بالمصادر العربية وكتاب كفارو الجنوى استطعنا أن نربط بين الاحداث ونسلسلها . وهناك حقيقة جديرة بالإشارة إليها هى أن المؤرخين الارمن وغيرهم من مؤرخى الغرب والشرق الاوربيين، كانت لديهم معلومات لا بأس بها عن الأحوال السيئة التى كانت تسود العالم الإسلامى فى الشرق الادنى آنذاك ؛ والتى كان لها دورها فى تشجيع الجنويين على الإلقاء بكامل ثقلهم إلى جانب اللاتين فى صراعهم مع العالم الإسلامى بصفة عامة والفواطم بصفة خاصة . بل إن هناك من انفرد بذكر أحداث نسيت المصادر الإسلامية ذكرها رغم مالها من آثار على العلاقات الفاطمية الجنوية . وقد استطعنا من بين سطورها أن نصل إلى حقيقة قوة أو ضعف تلك العلاقات ، مثال ذلك : اسم كبير السفارة اللاتينية يوحنا الخادم الجنوى الذى رأس تلك السفارة وصحب البعثة الفاطمية فى رحلة العودة من أنطاكية إلى مصر على سفينة جنوية . كذلك الحملة التى قام بها الجنوية على الشام فى أوائل القرن الحادى عشر للثأر من الفواطم، وغير هذه وتلك من المعلومات التى كانت خير سند وعون لنا فى الكشف عن بعض الجوانب الغامضة التى صادفتنا أثناء البحث .

ورغم ما تقدم لا يمكن بحال أن نغمط قدر المعلومات التى حصلنا عليها من المصادر العربية المعاصرة . فمن الاهمية بمكان القول بأن هذه المصادر بما فيها من مادة وفيرة ممتازة قد أستفدنا منها فائدة كبيرة فى وصف أحوال الشرق الأدنى الإسلامى آنذاك ، وفى الوصول إلى حقائق موضوعية عن طبيعة العلاقات وتطورها بين الفواطم والجنوية قبيل الحركة الصليبية وفى أثنائها . وأن كانت تلك المصادر لم تشر إلى الجنوية فى أغلب الأحايين بالإسم ، ولكن بالمقارنة بما حصلنا عليه من المصادر والمراجع الاجنبية استطعنا أن نتعرف على الجنوية وأن نصل إلى طبيعة

تلك العلاقات التي كانت قائمة بينهم وبين الفواطم بمصر والشام .

وقد ساعدنا في الوصول إلى هذه المعلومات ما اطلعنا عليه من مخطوطات عربية لم تر النور حتى اليوم ولازالت حبيسة دور الكتب والمكتبات المختلفة . أضف إلى ذلك المصادر الأخرى المطبوعة ، التي كانت ذات فائدة في هذا الخصوص .

ويلاحظ أن المعلومات والحقائق التي أوردتها المصادر والمراجع العربية من خطية ومطبوعة لم تكن كافية بالقدر الذي يتناسب مع أهمية هذا البحث . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن المعلومات التي حصلت عليها كانت عبارة عن عمليات نقل حرفية عن السابقين تشير إلى السياسة التي اتبعها الجنوية ودورهم المزدوج في علاقاتهم مع اللاتين من جانب ، والمسلمين من جانب آخر . ذلك الدور الذي كان دوما يستتر خلف قناع الصليبيين حرصا على مصالحهم الاقتصادية الخاصة،وحفاظا على مراكزهم التجارية وجالياتهم المقيمه بمصر والشام ، ومحاولة منهم للإبقاء على علاقات طيبة مع الفاطميين من ناحية،وعدم إغضاب اللاتين من بني جنسهم من ناحية أخرى ، وانطلاقا من سياستهم ذات الوجهين المتناقضين التي اتبعوها مع كل من الفواطم واللاتين .كل هذا موه حقيقة الأمور وطبيعة أهداف الجنويين على المسلمين بعامه والفواطم بخاصة،بدليل أن الفواطم أنفسهم قد انطلت عليهم عملية التمويه تلك وأرسلوا سفارة فاطمية للفرنجة للتحالف معهم ضد السلاجقه بعدما أعماهم الجنوية وأبعدوا عن ناظرهم حقيقة الأهداف اللاتينية التوسعية .

وإلى جانب هذا،ورغم تعدد المصادر العربية التي استعنا بها ، ورغم الصعاب التي واجهتنا ، فإن هذه المصادر في كثير من الأحيان لم نخرج منها إلا بصورة تكاد تكون متشابهة ومماثلة تماما للمصدر الأصلي التي نقلت عنه . وقد يكون

سبب ذلك ماجبل عليه هؤلاء المؤرخون من النقـــل عمن سبقهم بصورة تكاد تكون حرفية . ورغم أن ذلك يعد عيبا يؤخذ على تلك المصادر، إلا أن مازودتنا به من معلومات ، ســـواء مباشرة واضحة أم بالمقارنة بغيرها ، كان ذا فائدة عظيمة بالنسبة لنا . وفى كثير من الأحيان كنا نعثر على معلومات قد تكون فى صورة نتف أو أسطر قليلة متناثرة هنا وهناك ، إلا انها تمتاز بأهميتها بسبب إغفال المصادر الأصلية لها . أو ربما تكون المصادر التى تحت أيدينا قد نقلتها عن أصول فقدت فحفظتها لنا من العبث والضياع .

هذا ، ومن أهم المصـــادر العربية التى رجعنا إليها من خطيه أو مطبوعة ما كتبه سبط بن الجوزى (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م) (١) صاحب كتاب مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ورغم أنه نقل عمن سبقوه من مؤرخين ، ورغم سعة اطلاعه ، إلا أنه لم يشر بتوسع إلى العـــلاقات الجنوية الفاطمية وإن كان قد توسع فى ذكر أحداث سقوط مدن الساحل وموقف الفواطم منها ، كما أشار صراحة إلى دور الجنوية الفعال فى سقوط بيروت وكذلك دورهم فى سقوط طرابلس الشام .

---

(١) هو سبط شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلى ، ولد عام ٥٧٨هـ / ١١٨٦م بمدينة بغداد حيث تعلم هناك ثم سافر إلى دمشق حيث عمل مدرسا وكاتبا . وكان والده من العبيد الأتراك . وكتابه هذا يبدأ بسرد تاريخ الخليقة حتى عام ١٢٥٦ م عن تاريخ حياته ومؤلفاته انظر :

ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، جـ ٥ ، مخطوط رقم ٢٣٥٥ - دار الكتب المصرية — ورقه ٥٩١ ؛ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، ص ٢٨ وحاشية رقم ١ ؛ جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على الشام ، الاسكندرية ١٩٧١ ، ص ٣٤ وحاشية رقم ١ .

وإذا استعرضنا أهم المصادر العربية الخطية والمطبوعة التى اعتمدنا عليها وأفدنا منها فى بحثنا هذا نجد أن منها ماهو معاصر للفترة موضوع البحث وماهو متأخر زمنيا عنها . ومن أهم مصادر القرن الثانى عشر الميلادى (القرن السادس الهجرى) التى رجعنا إليها كتاب « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ويعتبر من أهم المصادر الأصلية فى تاريخ الشرق الأدنى الإسلامى بصفة عامة ، ويتناول أحداث المنطقة منذ بداية القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) حتى عام ٥٥٥ هـ (١١٦٠م) . وهو بذلك يشمل أغلب الفترة التى نحن بصدد دراستها . وقد جعل ابن القلانسى دمشق الفيحاء محورا تدور حوله الأحداث التاريخية . ولقد أنار ابن القلانسى الطريق أمامنا وبخاصة فيما يتصل بأحداث الصراع اللاتينى الإسلامى الفاطمى بصفة عامة . كما أشار عدة مرات إلى أدوار الصراع الصليبى الفاطمى ، وكذلك الصراع الجنوى الفاطمى من خلاله ، من أجل الاستحواذ على مدن الساحل؛ وإن لم يسهب فى سرد الدور الذى قام به الجنوية ، الا أننا من خلال ماذكره ومقارنته بما ذكره مؤرخ الحوليات الجنوى كفارو وغيره من المؤرخين اللاتين والغربيين القدامى والحديثين، استطعنا بعون الله أن نسد الثغرات التى واجهتنا فى موضوع البحث.

وهناك أيضا كتاب عمارة اليمنى[١] (أعدم عام ٥٦٩هـ / ١١٧٤م) المعروف

---

(١) هو عمارة بن على بن زيدان الفقيه أبو محمد ولد عام ٥١٥ هـ ، سيره صاحب مكة قاسم بن هاشم رسولا إلى الفائز خليفة مصر فامتدحه بقصيدة ما حب فيه الفواطم . وبعد عودته إلى مكة وأداء فريضة الحج عاد لمصر فاستوطن بها الى أن اشترك فى المؤامرة مع أعوان الفواطم ، بالتآمر والاتفاق مع الجنوية واللاتين ضد صلاح الدين . وكان أن اكتشف أمره فقبض عليه صلاح الدين وشنقه عام (٥٦٩هـ / ١١٧٤م) . والجدير بالذكر أن هناك روايات عديدة متناقضة عن حقيقة عقيدة عمارة ، هل هو سنى أم شيعى؟ فمن قائل أنه كان « شافعيا شديد التعصب للسنة » ، ومن قائل أنه كان شيعيا « وفيا للفواطم =

باسم (النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية) ويعتبر من المصادر الهامة التى تتناول بأصالة تاريخ الحقبة الأخيرة من حكم الفواطم لمصر . وأهم ما يعنينا من كتابه ما جاء بخصوص المؤامرة الشهيرة التى شارك فيها عمارة وساهم فيها الجنويون بالتعاون مع أعوان وبقايا الفواطم . والكتاب له ثقله لكون صاحبه شاهد عيان لأحداث سقوط الدولة الفاطمية ودور الجنوية فى المؤامرة .

كذلك هناك كتاب أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) المعروف باسم « الاعتبار » . ورغم إلمامه الشديد واتصالاته القوية بالقوى المتصارعة فى الشرق الأدنى إبان الثلاثة أرباع الأولى من القرن الثانى عشر ، إلا أنه لم يذكر شيئا له قيمته عن علاقات الفواطم بالجنويين ، وذلك رغم إقامته فى البلاط الفاطمى واشتراكه فى تسيير دفة الأمور بمصر أيام وزارة ابن عباس . وقد أفاض فى سرد أحداث بعض مظاهر الحياة الاجتماعية بالمنطقة والاتصالات السلمية بين اللاتين والمسلمين ؛ وإن كنا نستشف منها وجود علاقات سلمية تجارية بين الطرفين بوجه عام وبين الجنوية والفواطم على وجه الخصوص .

ومن بين كتب المؤرخين المسلمين التى أفدنا منها فى القرن الثالث عشر الميلادى

= وذهب عنهم بالسبات ورثاهم بالشعر ، وحزن لزوال ملكهم وتأسف عليهم والهجاء على من كان سببا فى هلاكهم . ولذلك ساهم فى تلك المؤامرة من أجل إقامة رجل من أولاد العاضد ، وفشلت وأعدم .

فى هذا الشأن ولمزيد من التفاصيل عن عمارة وتآمره ضد صلاح الدين ومصيره انظر عمارة اليمنى : النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية ، مدينة شالون ١٨٩٧م ، تصحيح هرتويج درنبرغ ، جـ٢ ، ص ٤٩١-٤٩٩ ، ٥٤٤ — ٥٥٧ ، ٦١١ — ٦٥١ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق د محمد حلمى أحمد ، القاهرة ١٩٧٣م ، جـ٣ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

(السابع الهجرى) فيما كتبناه عن العـــلاقات بين الفواطم والجنوية من خلال علاقات كل منهما مع اللاتين : مخطوطة « البستان الجامع لتواريخ أهل زمان » وكتاب « الفتح القسى فى الفتح القدسى » الأصفهانى (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) ، وكتاب الرحلة لابن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، و« الكامل فى التاريخ » و « التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل » لابن الأثير (ت ٦٢٠ هـ / ١٢٢٤ م) (١). ولقد أفادنا ابن الأثير عند تناوله لتاريخ الدولة الفاطمية والعالم الإسلامى بصفة عامة فى الشرق الأدنى . ومن خلال سرده لأحداث العلاقات بين الفواطم واللاتين، وجهود الأفضل الفاطمى للـــذب عن مدن الساحل ودرء خطر اللاتين وحلفائهم الجنوية ؛ استطعنا أن نصل إلى العديد من أسس العلاقات بين الفواطم والجنوية بعد مقارنة ماذكره ابن الأثير بما جاء فى المصادر اللاتينية الأخرى . وإن كان يؤخذ عليه قلة المعلومات التى زودنا بها فيما يتعلق بموضوع البحث التى لو كان قد أمدنا بها لساعدت فى الكشف عن كثير من خباياه .

---

(١) هو ابو الحسن على بن ابى الكرم محمد بن عبدالكريم الملقب عز الدين والمعروف بابن الاثير الجزرى ، ولد عام ٥٥٥هـ(١١٦٠م) فى جزيرة ابن عمر من أعمال الموصل ، واستقر بها حيث درس القرآن الكريم وعلوم اللغة والفقه والحديث وكان إماما فيها ، وكان من المقربين إليه صديقه المؤرخ ابن خلكان الذى وصفه بقوله "كان إماما فى حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به ، وحافظا للتواريخ المتقدمة والمتأخرة وخبيرا بأنساب العرب وأيامهم ووقائعهم وأخبارهم ". وتوفى ابن الاثير عام ٦٢٠هـ(١٢٢٤م) وعمره ٧٥ سنة وكان من شهود العيان لسقوط الدولة الفاطمية وقيام دولة بنى أيوب. انظر : ابن الاثير : التاريخ الباهر : تحقيق عبد القادر طليمات ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٧ ، ١٠ ، ١٢ - ١٢ . وأيضا انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، تحقيق محمد محيى الدين ، القاهرة ١٩٤٨ ، جـ٢ ، ص ٢٣ - ٢٥ ؛ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ٢٨ .

وهناك أيضا كتاب ابن شداد (١) (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٨م) المعروف باسم « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » ، وهو من الكتب الهامة التى أكملت الحقائق التى تتصل بالمؤامرة الجنوية الفاطمية اللاتينية ضد صلاح الدين لإعادة حكم الفواطم . وقد استطعنا التقاط تفاصيلها من بين صفحاته وذلك رغم عدم خوضه فى تفاصيل المؤامرة أو ذكر ما إذا كان الجنويون لهم يد فيها أم لا؟. بينما نجده قد خصص كتابه لبيان صفات السلطان صلاح الدين وشخصيته وجهاده ضد الفرنج حتى وفاته . وكذلك أفدنا من كتاب العماد الحنبلى (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) والمعروف باسم « شذرات من الذهب فى أخبار من ذهب » ، وبالمثل كتاب « تاريخ مختصر الدول » للمؤرخ السريانى ابى الفرج الملطى(٢)(ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨ م) ، وكتاب « الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية » لأبى شامة (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) . ولاتفوتنا الإشارة إلى مصدر هام من مصادر القرن الثالث عشر الميلادى (السابع الهجرى) وهو كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان (٣) (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م) . وأهميته ترجع إلى مايحتويه من

---

(١) هو ابو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد المعروف بابن شداد والملقب بهاء الدين الفقيه الشافعى، ولد عام ٥٣٩هـ /١١٤٠م، نشأ فى مسقط رأسه مدينة الموصل نشأة دينية، وعرف بالتقوى والصلاح، قربه إليه صلاح الدين وعينه فى عام ٥٩١هـ / ١١٩٥م قاضيا على الموصل وظل بها حتى وفاته (٦٣٢هـ / ١٢٣٨م) . انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٦ ، ص٨١ ومابعدها ؛ خير الدين الزركلى : الأعلام (قاموس تراجم) ، القاهرة ١٩٥٧ ، ج٥ ، ص ٣٠٦ .

(٢) وكتابه يعد ترجمة موجزة بالعربية لكتابه الأصلى المدون بالسريانية والخاص بالتاريخ العام . الجزء الأول منه يبحث فى التاريخ الاسلامى منذ ظهور الاسلام حتى أيامه . والجزء العربى هو الذى أخذنا منه . انظر جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبى على مصر . هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور ، لاسكندرية ١٩٦٩م ، ص ١٣ .

(٣) هو ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان، درس الفقه =

تراجم وسير خاصة بأهم شخصيات القرن الثانى عشر الميلادى (السادس الهجرى)، وهى تتصل مباشرة بالفترة موضوع البحث ، معتمدا على النقل عمن سبقوه من مؤرخين وشعراء وغيرهم ، وإن كان فى كتاباته لا يسترسل فى سرد الأحداث بل كان يمر عليها مرور الكرام .

هذا ، ومن أهم المصادر العربية التى ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى (السابع الهجرى) التى أفادتنا فى البحث كتابا ابن أيبك (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) وهما : « كنز الدرر وجامع الغرر » و « درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان » وامتاز كتابة الأول بسرد الأحداث التاريخية على طريقة نظام الحوليات المشهور، ودون تاريخه الثانى منذ بداية خلق العالم إلى عام ٧١٠هـ . ومن الملاحظ اهتمام المؤرخ بالنواحى الخاصة بتاريخ الفواطم فى مصر وكذلك الدولة الأيوبية كما واهتم على امتداد كتابيه ذكر مقاييس النيل مما يفيد الباحث فى الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وكان فى كتاباته يكتفى بسرد الحادثة دون التفاصيل.

أما كتاب النويرى (٧٣٢هـ/١٣٣٢م) المشهور باسم « نهاية الأرب فى فنون الأدب » فيعتبر من الموسوعات التى ظهرت فى العصر المملوكى حيث شملت كل نواحى الحياة من علمية وأدبية وفنية.. وبدأ النويرى سرد الأحداث بالطريقة التقليدية المعروفة، أى سرد الأحداث منذ بدء تاريخ الخليقة حتى عصره، وأشار إلى بعض علاقات الفواطم فى القرن الثانى عشر بالصليبيين وتصارع

[illegible] الموصل وكان صديقا لابن الأثير، وولى القضاء فى دمشق بالشام لمدة سبع سنوات ثم عزل ثم تولى المنصب ثانية . وبلاد توليه بالقاهرة عام ٦٢٤هـ / ١٢٢٦م وانقطع من الكتابة ثم [illegible] عام ٦٧٣هـ / ١٢٧٤م ، وكتابه من أهم مصادر التراجم . انظر : الكتبى : فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص ١٠٠ - ١٠٢ ؛ وفيات الأعيان ، جـ١ ، المقدمة ص ٤ - ٢٦ ؛ وأيضا دائرة المعارف الاسلامية (الترجمة العربية مادة «ابن خلكان») .

القوى بالمنطقة . ومن مصادر هذا القرن تاريخ أبى الفدا (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) المعروف باسم « المختصر فى أخبار البشر » . وقد استفدنا منه فى سرد أحداث الحروب الصليبية بصفة عامة وبطريقة مختصرة ، وكذلك الحال بالنسبة لكتاب « دول الإسلام » الذهبى (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) ، وكتابى « عيون التواريخ » و « فوات الوفيات » للكتبى (ت حوالى ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) ، وقد أفادنا الكتاب الأول بخاصة لسرده العام لتاريخ أحداث الحروب الصليبية وموقف القوى الإسلامية وبخاصة الفواطم منها : وهو لايزال مخطوطاً بجامعة الدول العربية ، ويوجد منه الجزء الثانى عشر فقط ويشمل أحداث الأعوام فى الفترة من سنة ٤٨٨هـ إلى سنة ٥٢٣هـ (١٠٩٥ - ١١٢٨م) . وبالمثل كتاب « نزهة الجنان فى تاريخ الأعيان » للفيومى (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) ، وهناك مؤلف آخر أفدنا فى بيان أهمية مدينة الاسكندرية التجارية وشهرتها فى هذا المجال وهو كتاب ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) المعروف باسم « مهذب رحلة ابن بطوطة » .

أما بالنسبة لمؤلفات القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجرى) ، وبالرغم من كونها بعيدة زمنياً عن الفترة التى نحن بصددها ، إلا أنها أفادتنا فى عدة نواح . من تلك المصادر على سبيل المثال لا الحصر ، كتاب ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م) المعروف باسم « الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » والكتاب لايزال مخطوطاً ، وكذلك ابن خلدون (١) (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) وهما : « المقدمة » و « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، وكتاب « صبح الأعشى » للقلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) الذى أورد فيه سجلات عديدة للفواطم بعد أن يكون قد نقلها عن أصولها وتعتبر وثائق هامة للغاية . وكان بعضها ذا أهمية قصوى فى تبيان طبيعة العلاقات السلمية بين الجنوية والفواطم رغم سنوات العداء لزمان

(١) هو ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون ، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م .

الحرب الصليبية . مثال ذلك التذكرة التى أرسلها صلاح الدين إلى المستضيء العباسى، التى توضح دور الجنوية وتآمرهم مع بقايا الفواطم للاطاحة به وإعادة حكم الفواطم بمصر . هذا بالإضافة إلى ماذكره عن الجنويين وبلادهم وأوصافها . والجدير بالذكر أنه أطلق عليها وعلى الجمهوريات الإيطالية الكبرى الأخرى وخاصة البندقية وبيزا لفظ « الممالك » ولم يسمها « الجمهوريات » (١) . وهناك أيضا مؤلفات المؤرخ المشهور المقريزى (٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) وهى « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » و « السلوك لمعرفة دول الملوك » و « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » و « إغاثة الأمة بكشف الغمة » وقد غدا أول تلك المصادر من أهم ما كتبه المقريزى وغيره عن عصر الفواطم بعامة، وفى مصر بصفة خاصة . إذ ذكر العديد من الحقائق التى أفادتنا فى البحث على امتداده ، كما أشار إلى الجنوية ودورهم فى احتلال مدن الساحل ، وموقف الفواطم منهم . وأمدنا بكثير من الصور الصادقة عن أحوال الدولة الفاطمية منذ بدايتها حتى سقوطها عام ١١٧١م (٥٦٧هـ) ؛ فى سرد جميل كما لو كان يكتب تقريرا يوميا عن الدولة . ولقد نقل عن عدة أصول اندثرت وحفظها هو فى كتبه . وكتابه الثانى رغم أنه يشير إلى دولتى الأيوبيين والمماليك إلا أنه أفادنا فى بعض جوانب البحث ، وكذلك الكتابان الثالث والرابع فقد استفدنا منهما فى الحصول على معلومات وافية عن أحوال مصر الاقتصادية والاجتماعية ومظاهر الأبهة التى كان يحياها الفواطم فى مصر . وكذلك سنوات الشدة والمجاعات والأوبئة التى أصابت البلاد أيام حكمهم . أضف إلى ذلك كتاب « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » . وهو لا يزال مخطوطا وقد كتبه المؤرخ ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) وهو أيضا صاحب الكتاب المشهور « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر

---

(١) انظر الفصل الأول .

والقاهرة » . والأول عبارة عن تراجم للشخصيات الهامة ، أما الأخير فهو تأريخ لأحوال مصر منذ الفتح الإسلامي لها حتى منتصف القـــرن التاسع الهجرى (اواسط القرن ١٥ الميلادى). ولقد اشار المؤرخ فى تحليل موضوعى إلى عوامل تتابع سقوط مدن الساحل الشامى واندحار المسلمين؛ ونسب ذلك إلى تقاعس الفواطم رغم مقدرتهم العسكرية والمـــالية . كما عرض لكل خليفة منهم وأهم أعماله، فضلا عما ذكره عن أحوال مصر الاقتصادية وأحوال الفيضان فى عهدهم(١).

وهناك ملاحظة ينبغى الإشارة إليها لأهميتها، ربما تعمد المؤرخ ابن تغرى بردى عدم ذكرها ، رغم أنه يؤرخ لملوك مصر والقاهرة ، وأعنى بها تلك المؤامرة التى قام بتدبيرها أعوان الفواطم بالتعاون مع الجنويين واللاتين والروم للإطاحة بحكم صلاح الدين . وهنا نتساءل هل أغفل ابن تغرى بردى ذكرها عن عمد ؟ أم أنه لم يطلع عليها أثناء النقل عن المصادر السابقة له ؟ والأرجح أن ابن تغرى بردى تعمد عدم ذكرها . إذ يستبعد عدم اطلاعه عليها فى المصادر التى نقل عنها، والتى أفاضت فى سرد تلك المؤامرة مثل مؤلفات ابن الاثير ، وأبى شامة (٢) .

يضاف إلى ماتقدم عدة مؤلفات أخرى كتبها عديد من المؤرخين على فترات متفاوته مثل « قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر » للمؤرخ باعخرمه (عاش فى القرن العاشر هـ / ١٦ م) الذى كتب عن أحوال مصر الفاطمية، والأزمات التى أصابت مصر وخاصة بعد وفاة المستنصر الفاطمى؛ ومانتج عن ذلك من سيطرة الأفضل على الحكم، وانقسام الشيعة الفواطم مذهبيا بعد تنصيب المستعلى خليفة ومصرع نزار والآثار المترتبة عليه وانعكاساتها على موضوع البحث وهناك.

---

(١) عبد المنعم ماجد : ظهور دولة الفاطميين وسقوطها ، ص ٣٠ .

(٢) ارجع إلى الفصل الخامس . وللاستزاده عن ابن تغرى بردى ومؤلفاته انظر . محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ المصرى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١١٤ - ١٢٦ .

أيضاً كتابا «حسن المحاضرة» و «تاريخ الخلفاء» للسيوطى (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) وفى كتابه الأول خصص السيوطى فصلاً عن الفواطم. ومن الملاحظ أنه عرفهم بالعبيديين. وهناك أيضاً عدة مخطوطات رجعنا إليها منها كتاب «أخبار الدول وآثار الأول» للقرمانى (ت ١٠١٩هـ/١٦١١م)، وكتاب «نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين» لمرعى المقدسى (ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م)، و «عيون أخبار الأعيان فيمن مضى من سالف العصر والأزمان» للبغدادى (ت ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م)، و «تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب» ليوسف الملوانى (عاش فى القرن الثانى عشر هـ/١٨م) و «العسجد المسبوك فى سيرة الخلفاء والملوك» للخزرجى (تاريخ الوفاة غير معروف)، وقد أمدتنا تلك المخطوطات بمعلومات طيبة عن أحوال الدولة الفاطمية والشرق الأدنى الإسلامى أثناء الحملة الصليبية الأولى. ومنها استطعنا ان نستشف علاقاتهم بالجنويين، أضف إلى ذلك كتاب ابن القطان (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م) وهو من المؤرخين المعاصرين لأواخر الدولة الفاطمية وسقوط دولتهم، وهو المصدر الوحيد الذى أشار صراحة إلى أن الآمر الفاطمى ذاته هو الذى أزهق روح وزيره الأفضل، بأن كتم أنفاسه بمخدة بعدما نقل إلى داره وهو مصاب من جراء المؤامرة التى دبرها للتخلص منه. وهناك كتاب ابن الخطيب المعروف باسم «أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام»، وكتاب الكندى الذى أفاض فيه عن وصف مصر وأهميتها التجارية والاقتصادية، مما أعاننا على توضيح أهمية الدافع التجارى فى التحكم فى سياسة جنوة تجاه مصر. وكتابه يعرف باسم «فضائل مصر»، وبالمثل كتاب «الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة» لابن ظهيرة.

هذا بخصوص المصادر الأصلية العربية واللاتينية والبيزنطية المعاصرة للفترة

موضوع البحث والمتأخرة عنها زمنيا ، سواء منها الخطية أو المطبوعة . أما عن المراجع الثانوية فهى تنقسم بدورها إلى قسمين : أجنبية غربية ، وعربية شرقية؛ ولامراء أن تلك المراجع لها أهميتها فى سد عديد من الفجوات التى اعترضتنا أثناء دراسة تاريخ الصراع الصليبى الإسلامى الفاطمى بصفة عامة، والصراع الجنوى الفاطمى والعلاقات بين الجنوية والفاطميين بصفة خاصة .

هذا عرض تحليلى نقدى لمصادر البحث من غربية لاتينية وشرقية بيزنطية، وإسلامية، خطية ومطبوعة . بها استطعنا بمشيئة وعون الرحمن أن نوضح حقيقة العلاقات الجنوية الفاطمية فى الشرق الأدنى (١٠٩٥ — ١١٧١م / ٤٨٨ — ٥٦٧هـ). وخلصنا من ذلك أن مصالح الجنويين الخاصة هى التى كانت تتحكم فى تلك العلاقات سواء مع الفواطم أو مع اللاتين، بغض النظر عن مصالح الفواطم أو اللاتين . ومن هنا كانت سياستهم ذات الوجهين مع كل من الفواطم والصليبيين ، واضعين نصب أعينهم مصالح مدينتهم الخاصة وتحقيق السيادة فى عالم التجارة الشرقية وإقامة مراكز تجارية لهم فى مصر والشام بصفة خاصة .

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

« آل عمران : ٢٠٠ »

الفصل الأول

أحوال الشرق والغرب حتى قيام الحرب الصليبية الأولى

- القوى الإسلامية بالشرق الأدنى :

الفواطم فى مصر، العباسيون فى بغداد ، السلاجقة فى آسيا الصغرى وبلاد الشام .

- أحوال الغرب الأوربى :

الكنيسة الغربية والإمبراطورية ونظرتها تجاه المسلمين - أحوال إيطاليا - النورمان والإمبراطورية .

- ظهور جنوة كقوة بحرية فى غربى البحر المتوسط :

أهمية موقع جنوة - موقف جنوة - كقوة بحرية - من الفواطم (أ - فى الشمال الافريقى . ب - فى مصر والشام) - العلاقات الجنوية الفاطمية قبيل عام ١٠٩٥م/ ٤٨٨ هـ . جنوة والروح الصليبية .

- أحوال انجلترا - فرنسا والحرب الصليبية - أسبانيا وحروبها الصليبية ضد المسلمين فى شبه الجـــزيرة الأيبرية - الإمبراطورية البيزنطية .

يعتبر موضوع بحثنا هذا حلقة هامة من حلقات الصراع المرير الذى نشب بين الشرق الأدنى الإسلامى والغرب المسيحى على امتداد العصور الوسطى . وقد جعلنا عنوانه : «العلاقات بين جنوة والفاطميين فى الشرق الأدنى ١٠٩٥-١١٧١م/ ٤٨٨ - ٥٦٧ ﻫ» . ففى نهاية العقد الأخير من القرن الحادى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) نجح اللاتين فى توجيه حملتهم الصليبية الأولى ضد الشرق الإسلامى وأقاموا إماراتهم الأربع بالمنطقة .

وثمة تساؤل يطرح نفسه هو : ما هي أسباب عوامل نجاح تلك الحملة ؟ ، وستلقى دراستنا الضوء على ذلك . فقد كان للمساعدات التى قدمتها المدن الإيطالية التجارية بعامة وجنوة بوجه خاص للصليبيين أهمية واضحة ؛ إذ قامت أساطيلها بدور فعال فى الإعداد للحملة الصليبية ، ومد اللاتين بالمعدات والسلاح والرجال والمؤن. والحقيقة أن مدينة جنوة وغيرها من المدن الغربية البحرية لم تقم بهذا الدور إرضاء للكنيسة اللاتينية أو ابتغاء لمرضاة الله تعالى ، بل نظير امتيازات اقتصادية هامة، حصلت عليها نتيجة معاهدات وقعتها مع القوى الصليبيه بالشام . تمتعت بمقتضاها بإعفاءات عديدة فى معظم موانى الشام ومدنه الكبرى التى أستولى عليها اللاتين (١) . وعلى هذا الأساس ساهمت كل من جنوة والبندقيه وبيزا فى الحملات الصليبيه بروح التاجر وليس بروح رجل الدين (٢) . وهكذا اصطبغت الحركة الصليبيه منذ بدايتها بصبغه اقتصاديه واضحة . (٣)

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، ط٢ ، القاهرة ١٩٧١ ، جـ١ ، ص ٣٦ .

(٢) Bertolini, F., Storia d'Italia Nel Medio Evo, Milano, 1892, p. 560.

(٣) عاشور : المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٣٦ .

ولا جدال فى أن نجاح اللاتين فى الاستيطان بالشرق وإقامة إماراتهم تلك لم يكن من السهل تحقيقه لولا الخلاف السياسى والمذهبى الذى فتت القوى الإسلاميه فى المنطقه ، والمقصود بذلك تصارع الشيعة الفواطم ضد العباسيين السنيين ومؤيديهم من السلاجقة ، وكان من الطبيعى حدوث احتكاكات ، وقيام علاقات متشابكة بين تلك القوى من ناحية وبين القوى الصليبية والمدن الإيطاليه التجارية المساندة لها من ناحيه أخرى ، وبالتالى بين كل من الفراطم وجنوة .

ولكى نتفهم طبيعة تلك العلاقات وما هيتها وخصائصها ، ونتائجها البعيدة القريبه ، يحسن التمهيد لها بدراسه عامة نستعرض فيها أحوال كل من الشرق الأدنى والغرب الأوروبى آنذاك . ثم نختتمها بذكر أحوال الدولة البزنطية ، وصراعها مع السلاجقة ، وما ترتب عليه من استنجادها بالغرب اللاتينى ، مما أدى إلى إشعال فتيل الدعوة للحركة الصليبية . فكان هذا إيذانا لكى يدلى الجنويه بدلوهم فى الصراع الصليبى الإسلامى الذى التهب سعيره ووجد فيه الجنوية فرصة ذهبية لتحقيق أطماعهم التى تبدت بوضوح فى علاقاتهم بالدولة الفاطمية فى مصر منذ بداية الحركة الصليبية فى أخريات القرن الحادى عشر ، وحتى نهاية الخلافة الفاطمية فى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى .

إذا عدنا قليلا إلى الوراء لنلقى نظرة سريعة شاملة على مسرح الأحداث نجد الصورة كالآتى : منذ أن فتح عمرو بن العاص (رضى الله عنه) مصر فى أواسط القرن الأول من الهجرة (أواسط القرن السابع الميلادى) دخل الإسلام البلاد ، وسرعان ما دخلت الجمهرة من المصريين فى دين الله أفواجا ، وانتشر فى كل النواحى ، من أقصى الصعيد جنوبا إلى دمياط ورشيد والاسكندرية شمالا ، وأصبحت مصر بعمالها ، وحضارتها ، ووفرة مواردها من أهم الأقطار الإسلامية التى حملت لواء الزعامة فى كثير من عصورها التاريخية المتعاقبة (١) . ومصر

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، تحقيق د. محمد حلمى ، جـ٢ ، القاهرة ١٩٧١ ، ص٥ .

تتمتع بسمات خاصة جعلت لها أهمية سياسية واقتصادية ، وكانت ولايتها جامعة تعدل الخلافة . « [و] لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا لغنى أهلها بما فيها عن سائر بلاد الدنيا » (١) ولقد انتقل حكم مصر ، كما هو معروف ، من الولاة إلى الطولونيين فالإخشيديين فالفواطم الشيعة .

ومما لا شك فيه أن سوء أحوال مصر السياسية والاقتصادية وعجز الدولة العباسية عن الدفاع عنها عقب وفاة كافور الإخشيدى قد ساعد الفواطم على احتلالها (٢) ، حيث أرسل المعز لدين الله الفاطمى قائده الروى جوهر الصقلى إلى مصر (٣) ، وبعد أن أعطى المصريين الأمان تسلمها يوم الثلاثاء الثامن عشر

---

(١) الكندى : فضائل مصر ، تحقيق د إبراهيم العدوى ، ص ٤٥ وانظر أيضا . ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، تحقيق مصطفى السقا والمهندس ، ص ٨١ ، ١٨٥ وما بعدها .

(٢) عن أحوال مصر آنذاك وفسادها انظر : المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ١٣ ؛ والخطط ، مطبعة النيل ، ج١ ، ص ١٦٠ ، ج٢ ، ص ١٢٩ ، ١٦٦ ، ج٣ ، ص٤٢ ؛ السيوطى : تاريخ الخلفا ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ ؛ حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص ١١ ؛ القرمانى : أخبار الدول ، لوحة ١٥٥ ب ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٢٣٢ ؛ الملوانى : تحفة الأحباب ، لوحة ٢٧ ب ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ص ٣٤٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص ٣٠ ، ٧٢ ؛ ابو الفدا : تاريخ الملك المؤيد ، ج٢ ، المجلد الأول ، ص١١٥ ، وأيضا انظر : زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، القاهرة عام ١٩٣٧م ، ص ٧ .

(٣) البغدادى : عيون أخبار الأعيان ، لوحة ٢٦٧ ؛ ابن أيبك : كنز الدرر ، ج ٦ ، لوحة ، ٩ ؛ درر التيجان ، ورقة ٣٦٤ ؛ القرمانى : أخبار الدول ، لوحة ١٥٥ أ ، ١٥٥ ب ؛ الملوانى : تحفة الأحباب ، لوحة ٢٧ ب ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، لوحة ٨٧ ؛ الشطيبى : الجمان ، لوحة ١٤١ ب ؛ الخزرجي : العسجد المسبوك ، ورقة ٥ ب ؛ مرعي المقدسي : نزهة =

من شعبـــان عام ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) بلا طعنة ولا ضربة (١) . وبنى جوهر القاهرة حاضرة الدولة الجديدة لمنافسة كل من خلافة بغداد وخلافة قرطبة(٢). وتأمينا لحدود مصر الشرقية احتل الفواطم الشـــام التى طالما هوجمت منها عبر تاريخها الطويل .

هكذا ، وبفضل جهود المعز لدين الله ملك الفواطم بلاد المغرب بأسرها إلى البحر المحيط وبرقة والاسكندرية ومصر والشام والحجاز إلى سوس الأقصى(٣).

ولقد بدأ حكم الفواطم بمصر بداية طيبة ، وغدت القاهرة أبهى مراكز الحضارة الإسلامية ، وتمتعت البلاد باستقرار سياسى ، ورخاء اقتصادى لم تألفها من قبل استمر عبر عهود الخلفاء المعز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥ هـ / ٩٥٢ - ٩٧٥ م) والعزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٩هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) والحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ/٩٩٦ — ١٠٢٠ م) وحتى النصف الأول من عهد المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) ، وكانت مصر حينذاك مرهوبة الجانب كإحدى القوتين الرئيسيتين فى منطقة شرقى حـــوض

= الناظرين ، لوحة ١٩٧ ، ١٩٨ ؛ الأصفهانى : البستان الجامع ، لوحة ٧٨ أ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٣ ، ص ٩٨ .

(١) الموانى : تحفة الأحباب ، لوحة ٧٢ ب ؛ مرعى المقدسى : نزهة الناظرين ، لوحة ١٩٧ .

(٢) زكى محمد حسن : المرجع السابق ، ص ٧ .

Mas Latrie, L., Traites de Paix et de Commerce Et Documents Divers Concernant Les Relations de Chretiens avec les Arabes de L'Afrique Septentionales au Moyen Age, p. 6.

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، تحقيق د أحمد مختار العبادى . ومحمد إبراهيم الكتانى . القسم الثالث الدار البيضاء ، ١٩٦١ ، ص ٥٨ .

البحر الأبيض المتوسط فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (النصف الأول من الحادى عشر الميلادى) (١) ، خاصة بعد أن تحسنت علاقتها مع البلاد المسيحية عقب وفاة الحاكم بأمر الله ، وبعد فتح الفواطم موانيهم للتجار القادمين من الإمبراطورية البيزنطية ومن إيطاليا . تمتع الحجاج والتجار المسيحيون على حد سواء بترحيب الفواطم وحسن نواياهم حيالهم (٢) ، فلقد أكرموا وفادتهم وأحسنوا معاملتهم مما كان له أكبر الأثر فى تزايد عدد الحجاج والتجار من الغرب إلى الشام ومصر (٣) . يؤيد ذلك ما ذكره ميشو Michaud من أن اللاتين

---

(١) Runciman, A History of the Crusades, I, P. 51.

وعن قوة الفواطم البحرية وثروتهم آنذاك انظر : ابن خلدون : المقدمة ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤ . وأيضا السيد عبد العزيز سالم : البحرية المصرية فى العصر الفاطمى (كتاب تاريخ البحرية المصرية) القاهرة ١٩٧٤ . ص ٤٦٠ وبعدها ؛ إبراهيم طرخان : المسلمون فى أوروبا فى العصور الوسطى (الألف كتاب ٥٩٦) - القاهرة ١٩٦٦ ص ٧٤ ـ ٧٥ ؛ زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين . ص ١٠ وبعدها ؛ درويش النخيلى : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٣٩ ـ ٤٠ ، ٧٠ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٩٧ ـ ١٠٠ ، ١٢٤ ، ١٤١ ـ ١٤٢ ، ١٥٢ ؛ أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد عيسى ، ص ٣٢٤ ؛ على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ، ط ٥ ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٢٤ ـ ١٥١ .

(٢) Runciman, op. cit., 1, P. 46, 51.

للاستزادة انظر : محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ط ٤ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٨ .

(٣) Conder, C., The City of Jerusalem, London, 1909, p. 273; Michaud, J. F., The History of the Crusades, trans by W. Robson, New York 1881, Vol. 1, pp. 21, 23.

والتجار الإيطاليين المستوطنين بمدينة القدس كانوا عند علمهم بقدوم الحجاج من بنى جلدتهم وعقيدتهم يسارعون بالخروج لاستقبالهم والترحيب بهم . كما كانوا يستقبلونهم فى المستشفيات والنزل ، وكانت بعض هذه الأماكن مخصصة للنساء القادمات للزيارة وتحت إشراف ورعاية راهبات دينات كرّسن حياتهن للخدمات الخيرية . وترجع تلك المنشآت إلى ما تبرع به أثرياء الحجاج والتجار القادمين من جنوة وأمالفى والبندقية،مما هيأ سبل الراحة للنزلاء والنزيلات من الحجاج الفقراء (١).وإن إقامة تلك المنشآت لدليل قاطع على تسامح الفواطم وحسن سياستهم تجاه المسيحيين بعامة والتجار الإيطاليين كالأمالفيين والبنادقة والجنوية بصفة خاصة قبيل الحركة الصليبية ، وهم الذين شاركوا فى الحروب الصليبية طمعا فى الثروة العائدة عليهم من وراء تجارتهم فى السلع الشرقية التى كانوا قد تذوقوا حلاوتها من قبيل (٢) . ولقد كان لسياسة الفواطم انعكاساتها

---

(١) Michaud, The History of the Crusades, Vol. 1, pp. 21, 23.

(٢) Pirenne, H., Economic & Social History of Medieval Europe, New York, 1937, p. 31 cf. also. Cons, H., Presis d'Histoire du Commerce, Paris 1896, T. 1, pp. 108 ff; Heyd, W., Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, Leipzig, 1885, t. 1, pp. 388 ff; Daru, P., Histoire de la Republique de Venice, Paris (S D.), t.1, p. 55.

وللاستزادة انظر : جمال سرور: مصرفى عصر الدولة الفاطمية (الألف كتاب ٢٧٤)، القاهرة ١٩٦٠، ص ١٧٢ وبعدها؛ عمر كمال توفيق : الجاليات الأوروبية فى الاسكندرية فى العصور الوسطى ، ص ٢٨٠ ؛ عاشور : أضواء جديدة على الحروب الصليبية (المكتبة الثقافية ١١٨)، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٢؛ والناصر صلاح الدين الأيوبى، (أعلام العرب ٤١)، القاهرة ١٩٦٥، ص ١٩ .

على أحوال مصر الاقتصادية ورقى التجارة فيها وازدياد الرخاء بين ربوعها . إذ سعوا لتوفير السلع كما احتكروا بعضها منعا لاستغلال واحتكار التجار لها (١)،وعقدوا عدة اتفاقيات تجارية مع المدن الإيطالية،مثل المعاهدة التى عقدها مندوب جنوى مع الفاطميين عام ١٠٦٣م (٤٥٥ - ٤٥٦هـ).وأخذ التجار الجنوية يتوافدون على موانى مصر والشام لاستيراد السلع التى كان الغرب فى حاجة إليها، مثل التوابل والبهارات والسكر والشب والنطرون والعطر والبخور والعاج والأحجار الكريمة والمواد الخام اللازمة لصناعة النسيج كالقطن(٢) وكانوا يجلبون معهم بعض الخامات الغربية التى كان الشرق فى حاجة إليها، كالأخشاب والمعادن كالنحاس والحديد . وحققت جنوة مثلها مثل غيرها من المدن الإيطالية الأخرى، أرباحا طائلة من تلك التجارة (٣) ، وترتب على ذلك أن شاهدت مصر عصراً تجاريا ذهبياً نعمت فيه بالهدوء والاستقرار وتوافد التجار على القاهرة المحروسة من كل آسيا ، ومن ميناء الاسكندرية أبحرت السفن إلى كل البحار وعمرت خزائن

---

(١) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩ ، ٣٤٨ ، ٣٦٩ .

(٢) جوزيف نسيم : علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية فى ضوء وثائق صبح الاعشى، ص ٦٣ ، ٨١ ؛ جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٥٠ – ٢٥١ ؛ ومصر فى عصر الدولة الفاطمية، ص ٧٤ ؛ السيد عبد العزيز سالم : البحرية المصرية فى العصر الفاطمى ، ص ٥١٧ . وانظر أيضا :

Heyd, Histoire du Commerce, 1, pp. 390 f.

(٣) شارل ديل : البندقية جمهورية ارستوقراطية ، ترجمة د . احمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٠ ، ٣٥ وما بعدها ؛ توفيق اسكندر : بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، مقاله لوبيز « التأثيرات الشرقية والنهضة الاقتصادية فى الغرب» القاهرة ١٩٦١ ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

البلاد بثروة لا حصر لها (١) . وهكذا خلق الفواطم النهضة التجارية بمصر ، ووضعوا أساساً لما سوف يستجد فى المستقبل (٢)؛ساعدهم على ذلك ما أحدثوه من تعديلات فى نظام البلاد النقدى مما أدى إلى تحطيم سيادة النقـــد الذهبى فى المعاملات التجارية ، ومنافسة الدرهم الفضى له ، فانقذوا بسياستهم البلاد من الهزات الاقتصادية ، ونشطت التجارة وزادت ثروة البلاد (٣) . وزادعددالتجار اللاتين الوافدين إلى الديار المصرية والمقيمين فيها لدرجة أن المستنصر أمر فى عام ١٠٦٣ م (٤٥٥ - ٥٦ هـ) بإلزامهم بالإقامة فى حى خاص بهم (٤) . ويرجح

---

(١) Lamb, H., The Crusades : The Flame of Islam, London, 1931, P. 33 .

ومن أهمية مدينة الاسكندرية انظر : ابن بطوطة ، مهذب رحلة ابن بطوطة المسمى تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، القاهرة ١٩٣٣ ، جا ، ص ١٢ ومابعدها .

(٢) البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين، ص ٣٦٩ .

(٣) البراوى ، شرحه ، ص ٣٦٦، ٣٦٩ .

(٤) Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 105; Heyd, G., Le' Colonie Commerciali delgi Italiani nel medio Evo, Dissertazioni, recete in Italiano dal prof, Giuseppe Muller, Venezia E Torino, 1866, 1. pp. 147 ff.

أشار « كوندر » إلى تعدد جنسيات التجار بمدينة القدس قبيل الحركة الصليبية حيث كانت تقام معارض سنوية فى شهر سبتمبر من كل عام ، ليشترى منها التجار الجنوية والبنادقة والبيازنة وتجار مارسليا القرنفل وجوز الطيب والتوابل الواردة من الهند، والفلفل والزنجبيل والبذور الواردة من عدن، والحرير الوارد من الصين .
انظر :

Conder, The City of Jerusalem P. 268 f.

أن أغلبهم كان من تجار جنوة والبندقية وأمالفى الذين قدموا للاتجار فى سلع الشرق لما وراء الثروة والقوة . ولا شك أن ذلك الحى كان بجوار المنشآت التى أقامها الجنوية والأمالفيون والبنادقة وغيرهم من تبرعات التجار والحجاج من بنى جلدتهم ، وقد شيدوها على الأرض التى سبق أن منحها لهم الخليفة الفاطمى(٦). وهذا يؤكد حقيقة الوجود الجنوى وقوة علاقة الجنوية بمصر الفاطمية قبيل الحركة الصليبية عندما كانت الدولة فى ذروة قوتها ، كما يوضح تفهم الجنوية مدى انهيار أحوال مصرفيما بعد مما شجعهم على الإسهام فى الحركة الصليبية للحفاظ على مكاسبهم ومكانتهم فى المنطقة .

الثابت أن الأحوال الاقتصادية لأى بلد لا بد وأن تتأثر هبوطا أو صعودا بأحوالها السياسية ، أى قوة أو ضعف السلطة الحاكمة فيه ، وبتطبيق ذلك على مصر الفاطمية ، نجد أنها قد تمتعت بالثروة والرخاء إبان النصف الأول من حكم الفواطم ، حيث القوة والسلطان بأيدى الخلفاء . ولكن فى النصف الثانى من عهد الفواطم ، وعلى وجه التحديد ابتداء من النصف الثانى لعهد المستنصر بالله بدأت الأعاصير تطيح بالكيان الفاطمى لأسباب عديدة، كان من نتائجها أن

---

(١) Heyd, Histoire du Commerce, 1, P. 105; Heyd, G., Le Colonie Commerciali, 1, pp. 147 ff.

أشار « ميشو » صراحة إلى امتلاك التجار الجنوية والبيازنة والبنادقة والأمالفيين وتجار مارسيليا عدة وكالات ومخازن سلع تجارية بالاسكندرية وموانى الشام ومدينة بيت المقدس . وذلك قبيل الحركة الصليبية مما يؤكد قوة علاقة جنوة ومصر الفاطمية اقتصاديا آنذاك .

انظر :

Michaud, History of the Crusades, 1, pp. 21, 23.

انهارت مصر اقتصاديا وساءت أحوالها الاجتماعية ؛ كنتيجة حتمية لضعف السلطة الحاكمة سياسيا وقوة الوزراء . ومنذ ذلك الحين لم يعد للفواطم من الخلافة إلا الاسم فقط واستولى الوزراء على السلطة (١) ، وأصبح الخلفاء بجانبهم مجرد صور باهتة لا حول لهم ولا قوة .

وزاد الطين بلة ما شاهدته البلاد من أيام سود عرفت باسم الشدة العظمى ، استمرت سبع سنوات (٤٥٧ - ٤٦٣ هـ / ١٠٦٦ - ١٠٧١ م) ، وكانت محصلة طبيعية لما أصاب الخلافة من ضعف ، وتحكم الأمراء فى السلطة ، وتصارع طوائف الجند ، أضف إلى ذلك قصور النيل وما نتج عنه من مجاعات وأوبئة وغلاء (٢).وتفاقمت الأحوال بسبب تدخل أم المستنصر السودانية الأصل وتقويها إلى جانب العبيد وإمدادهم بالسلاح والأموال لقتال الأتراك (٣) . ولقد أورد المقريزى نصا هاما لخص فيه أسباب سوء أحوال مصر وقتذاك جاء فيه : « ولم يكن هذا الغلاء عن قصور مد النيل فقط ، وإنما كان من اختلاف الكلمة ، ومحاربة الأجناد بعضهم مع بعض ، وكان الجند عدة طوائف مختلفة الأجناس ، فتغلبت لواتة والمغاربة على الوجه البحرى ، وتغلب العبيد السودان

---

(١) سعى الدسى : نزهة الناظرين ، لوحة ٢٠٤ وأيضا انظر : زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ٨ .

(٢) المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٢٤ . للاستزادة عن الشدة وأحداث تلك الفترة ونتائجها انظر : المقريزى : شرحه ، ص ٢٤ وبعدها ؛ واتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ — ٣٠٠ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٥ — ١٧ ؛ القلقشندى ، جـ٣ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ، ٤٢٧ . وأيضا انظر : زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ٢٦ وبعدها.

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ١٣٨ .

على أرض الصعيد ، وتغلب الملثمة والأتراك بمصر والقاهرة » (١) .

ونتيجة لتلك الأحوال السيئة بدأت الدولة الفاطمية تعـــانى من الحركات الانفصالية، فانسلخت عنها كثير من الأملاك التابعة لها ، وتهددتها جحـــافل القوات السلجوقيه الطامعة فيها ، وقطعت الخطبـه عن المستنصر وجعلت باسم الخليفة العباسى فى حلب واليمن ومكة والمدينة (٢) ، واستقـل روجر النورمانى بصقلية (٣) منتهزا فرصة انشغال الفواطم بالصراعات الداخلية ، واحتل أتسز التركمانى الرملة والقدس ودمشق بل تشجع وهاجم مصر ذاتهـا وتوغل فيها (٤) (٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م) . وبهذا بدأت المصائب تحـل بالفواطم من كل ناحية ،

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص ٢٩٩ — ٣٠٠ وأيضا : ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٧ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٤ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ٢٠ .

راجع أيضا : على إبراهيم حسن : تاريخ جـوهر الصقلى ، ط٢ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ١٣١ .

(٣) البغدادى : عيون أخبار الأعيان ، لوحة ٣٢١ ؛ وأيضا : على إبراهيم : تاريخ جوهر الصقلى ، ص ١٣١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٤٢ — ٤٣ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٩٨ — ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٢ ؛ راجع أيضا : عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١٠٣ — ١٠٥ ؛ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ٢٩٦ — ٣٩٧ ؛ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٨٢ — ٢٨٣ وأيضا انظر :

Setton K., A History of The Crusades, Philadelphia, 1958, Vol. 1, P. 94.

وتوالى ضياع المدن والأقاليم والقلاع التابعة لهم؛ لدرجة أن أمير الجيوش بدر الجمالى لم يستطع أن يعيد للدولة كل ما فقدته رغم سيطرته على أمور الحكم منذ قدومه مصر عام ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م) ، وبموت بدر عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) خلفه فى الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه الذى واصل سياسة والده ، وزاد تحكمه فى المستنصر الذى كان يقضى الأيام الأخيرة من عمـــره . وبوفاته عام ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) ولى الأفضل الخلافة للمستعلى أصغر أبناء المستنصر سنـا بدلا من أخيه الأكبر نزار (١)، مما أدى إلى حدوث انقسام مذهبى خطير داخل الدولة وبين صفوف الفواطم أنفسهم، فشلت الدولة تماما ، وأصبح الخليفة ألعوبة فى يد الأفضل الذى سيطر على أمور البلاد ولم يعد للمستعلى مع الأفضل حكم (٢) . وهكذا ساءت أحوال الفواطم ، وضعف أمرهم وانقطع من أغلب بلاد الشام حكمهم وتغلبت الفرنج على أكثر بلاد الشام ، (٣) ، حتى انتهى الأمر بنجاح الغزو

---

(١) الأصفهانى: البستان الجامع لوحة ٩٩؛ ابن أيبك :درر التيجان، ورقة ٤٠٩؛ النويرى: نهاية الأرب، ج٢٦، لوحة ١٠٤؛ ابن الجوزى: مرآة الزمان، ج١٢، القسم الثالث، لوحة ٢٤٦ أ ب؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٥ ، ص ١٤٢ – ١٤٥؛ مجموعة الوثائق الفاطمية، نشر الشيال، ط٢، القاهرة ١٩٦٥، ص ٢١ وبعدها؛ ابن الصيرفى: الاشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق عبدالله مخلص، القاهرة ١٩٢٥، ص٥٥ - ٦٠ .

(٢) باخرمة: قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر، لوحة ٦٣٩؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين، لوحة ٨٢؛ القرمانى: أخبار الدول، لوحة ١٥٨ أ؛ سبط المقدسى: نزهة الناظرين، لوحة ٢٠٦؛ ابن ايبك: كنز الدرر، ج٦، لوحة ٣١٦، ٣٢٠. راجع أيضـا: اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار، بولاق ١٣١٢ هـ، ج٢، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٣) القرمانى: أخبار الدول، لوحة ١٥٨ أ؛ وأيضا انظر: ابو اليمن العليمى: كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج١، القاهرة ١٢٨٣ هـ، ص ٢٧٣ .

الصليبي باحتلال بيت المقدس قهرا بالسيف (١) .

وخلاصة القول أن الخلافة الفاطمية كانت قد وصلت قبيل الحركة الصليبية إلى درجة كبيرة من الضعف والانهيار، نتيجة لما ألم بها من محن وكوارث تمثلت فى المجاعات وثورات الجند واستبداد الوزراء بالسلطة دون الخلفاء، وحدوث الانقسام المذهبي بين الفواطم أنفسهم، هذا بالاضافه إلى خطر السلاجقة الداهم. وكانت النتيجه الحتميه لذلك كله أن انشغلت الخلافه فى الداخل عما يحيط بها من أخطار خارجية لم تستطع معها الصمود أمام التدخل الخارجى المتربص بها ، والمتحفز للانقضاض عليها ، والذى تمثل فى الحملة الصليبية الأولى ، التى قامت فيها جنوة بدور فعال ليس فقط للاستيلاء على الأراضى المقدسة، بل حفاظا على مصالحها الاقتصاديه بمصر والشام، ضاربه عرض الحائط بعواطفها الدينية (٢) . وقد أدى هذا الدور إلى نجاح الصليبيين فى إقامه إماراتهم اللاتينية بالشام ؛ كما عجل بسقوط الخلافة الفاطمية وبداية عصر جديد (٣) .

هذا بالنسبة لمصر وعلاقاتها بجنوة قبيل الحركه الصليبية ، أما عن الدولة العباسية، فلا جدال أنها كانت قد بلغت مرحلة كبيرة من الضعف والاعلال وقتذاك بعد أن كانت مرهوبة الجانب مسموعة الكلمه فى العصر العباسى الأول. وابتداء من عصر الخليفه المعتصم أبى إسحق محمد بن الرشيد (٤) (٢١٨ -

---

(١) السلامى: مختصر التواريخ ، لوحة ٥٣ ب .

(٢) Bertolini, Storia d'Italia, pp. 542, 560.

وأيضا انظر عاشور: أضواء جديدة على الحروب الصليبية، ص ١٢ .

(٣) عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

(٤) الأربلى: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تحقيق مكى السيد جاسم ، بغداد ١٩٦٤، ص ٢٢١ - ٢٢٢؛ وأيضا انظر عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٥٦ .

٢١٧هـ / ٨٢٣ - ٨٤٣ م) أصبح الخلفاء ألعوبة فى أيدى أمراء الأتراك (١) الذين سيطروا على البلاد (٢) . وبلغ من قوة الأتراك حينذاك أنهم سلبوا الخلفاء سلطانهم ، وتحكموا فى عزلهم وتوليتهم أو قتلهم وسمل أعينهم . كما تدخلت النساء فى السياسة ، وتعددت الوزارات وتولى العهد أكثر من شخص مما أثار نار الفتنه بين أمراء البيت الواحد (٣).

وكانت النتيجة أن تعددت الحركات الانفصالية والثورات المضادة (٤) ، وكان الروم قد زادوا من هجماتهم مستغلين فرصة الضعف التى آلت إليها الخلافة

---

(١) عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٥٦؛ عن سيطرة البويهيين على الخلفاء العباسيين والبلاد وسمل أعين الخلفاء وعزل وتولية من يرغبون، وتفكيرهم فى جعل الخطبة للفواطم، انظر: ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص ١٧٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم، ج٣، ص ٢٢٦ — ٢٢٧، ٤٠٨ — ٤٠٩ .

(٢) أحسن أحد شعراء العصر تصوير مدى الانهيار الذى أصاب الخلافة العباسية حينذاك فقال :

خليفة فى قفص　　بين وصيف وبغا
يقول ماقالا له　　كما تقول الببغا

انظر ابن خلدون: المقدمة، ط ٤، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ص ٢٥.

(٣) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ط ٢، القاهرة ١٩٧٠، ص ٥-٦.

(٤) من نتائجها قيام وحدات سياسية مستقلة مثل: الدولة السامانية (٢٦١ — ٣٢٨هـ/ ٩٧١ — ٩٩٨م) والدولة الزيارية (٣١٦ — ٤٣٤ هـ/ ٩٢٨ - ١٠٤٧م) والدولة الغزنوية (٣٥١ - ٥٨٢هـ/ ٩٦٢ - ١١٨٦م) والدولة الحمدانية (٣١٧ — ٣٩٤هـ/ ٩٢٩ — ١٠٠٣م) والدولة الفاطمية بالمغرب والاخشيديين بمصر والشام ، ثم ما حدث بعد ذلك من احتلال الفواطم مصر والشام، وقيام الصراع بين الشيعة والسنة . انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٥٦؛ وأوربا العصور الوسطى ، ج١ ، ص ٤٢٩ .

العباسية واستقطعوا بعض أملاكهـــا وعاثوا فى البلاد فسادا (١) ومن مظاهر الضعف حينذاك نجاح ثورة أبى الحارث أرسلان البساسيرى الذى دخل بغداد بالرايات المستنصرية وخطب باسم المستنصر الفـــاطمى لمدة عام ببغداد (٢). ولعجز القـائم العباسى عن مواجهة البساسيرى؛ سارع واستنجد بطغرل بك السلجوقى الذى دخل بغـداد سنة ٤٤٧هـ (١٠٥٥م) وقضى على دولة بنى بويه. كما استطاع القضاء على حركة البساسيرى وأعاد الخطبة للقائم العباسى وذكر إسمه بجـانب اسم الخليفة فى الخطبة، ولقب باسم «ملك المشرق والمغرب» وأصبح الخليفة مجرد رمز دينى وساد السلاجقة البلاد (٣) ومنذ ذلك الحين بدأ أفول

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٤ ، ص ٦٥ .

(٢) كان البساسيرى من القواد الأتراك البويهيين المؤيدين للشيعة؛ أقام الدعوة للمستنصر فى الموصل وبغداد والبصرة وواسط (٤٥٠ - ٤٥١هـ/١٠٥٨ - ١٠٥٩م) بعد خلعه القائم العباسى وأرسل إليه المستنصر المال والسلاح والخلع والعطايا ، وقاتله طغرل بك وهزمه وقطع رأسه وأعاد القائم للحكم بعد أن قطعت عنه الخطبة لمدة عام . والبساسيرى نسبة إلى (بسا) بالباء المفتوحة وهى بلدة بفارس وبالعربية (فسا) والنسبة إليها بالعربية (فسوى) وأهل فارس يقولون فى النسبة إليه البساسيرى ، وهى نسبة شاذة على خلاف الأصل . عن البساسيرى وحركته ونتائجها انظر : المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٢٣٢ وهامش ٣ ، ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٥٢ - ٢٥٧؛ ابن تغرى بردى: النجوم ، جـ٥ ، ص٢ وهامش ١ ، ص ٤ - ١٢ ؛ وللاستزادة انظر : موسى المقدسى : نزهة الناظرين ، لوحة ٢٠٥ ؛ باخرمه : قلادة النحر ، لوحة ٦٨٥ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٨٧ - ٩٠؛ الأربلى: خلاصة الذهب المسبوك، ص ٢٦٥-٢٦٦؛ ابن أيبك : درر التيجان ، ورقة ٣٧٣ ، ٤١٩ راجع أيضا :

Lane-poole, S, History of Egypt in the Middle Ages, London, 1914, P. 138 & n. 3.

(٣) عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ص ٤٠ ؛

نجم الدولة العباسية ، وصعــــود نجم السلاجقة الذين اكتسحت قواتهم أملاك الفواطم بالشام والدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى . ووصل السلاجقة إلى أوج مجدهم بالنصر الساحق الذى أحرزه ألب أرسلان (١) على الجيش البيزنطى بقيادة الإمبراطور رومانوس ديوجينيس(١٠٦٧م - ١٠٧١م)فى موقعة ملاذ كرد عام ٤٦٣هـ(١٠٧١م)التى خسرت فيها الإمبراطورية البيزنطية زهرة جيوشها(٢)،

=Rumciman, A History of the Crusades, I, p. 60.

عن السلاجقة وأصلهم ، ودولتهم وتوسعهم على حساب الفواطم والبيزنطيين انظر : المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ج ، القسم الأول ، ص ٣٠ - ٣١ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٥ ، ص ٣ وبعدها ؛

William of Tyre, A History of Deeds done beyond the Sea, trans. & annot. by Emily Atwater Babcock & A C.Krey, Vol. I, p.p. 71 ff. cf. also : Camb. Med. Hist., Vol. IV 302 ff., V, pp 259 ff; Smail, R., The Crusaders in Syria & the Holy Land, London 1973, p. 13 f.

وأيضا راجع : عاشور: الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٧٨ وبعدها ؛ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ١٨١ وبعدها .

(١) عندما اعتنق ألب أرسلان الاسلام تسمى باسم محمد بدلا من « إسرائيل » اسمه السابق و « ألب أرسلان » لقب تركى الأصل معناه « الأسد الشجاع» ولقد أطلق عليه الخليفة القائم العباسى لقب « عز الدين » انظر :

Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 306.

(٢) عن المعركة ونتائجها انظر المصادر الآتية : ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٥ ، ص ٣ - ٤ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ٨٦ ؛ انظر أيضا :

Grand. Dizion Encic., III, p. 862., The Columb. Encyc. p. 449, Vasilieve, Histoire de L'Empire Byzantine, t.I,p. 649; Baynes, N., & Moss, H. Byzantium, An Introduction to East Roman Civilization, Oxford, 1961, p. 321; Diehl, Ch., History of the Byzantine Empire, New York 1945, p. 106, Ostrogorsky.=

وبعدها لم يسترد الجيش البيزنطي قواه أبدا(١) . وتعتبر موقعة ملاذكرد نقطة تحول ليس فقط في مجرى التاريخ البيزنطي (٢)، بل وفي تاريخ أوروبا والشرق الأدنى ، لما ترتب عليها من استنجاد الامبراطورية البيزنطية بالبابوية والغرب الأوربي لوقف الخطر السلجوقي . كذلك وجدت فيها البابوية فرصتها للسيادة على الكنيسه الشرقيه من ناحية ، وتحقيق سيادتها العلمانية على الغرب اللاتيني من ناحية أخرى . فسارعت بإرسال جيوش الغرب اللاتيني إلى الشرق فيما عرف باسم الحركة الصليبية (٣) .

هكذا حقق السلاجقه في آسيا الصغرى انتصارا ساحقا على البيزنطيين في ملاذكرد، ولكن سرعان ما بدأت دولتهم في الانهيار بعد وفاة ملكشاه عام ٤٨٧هـ (١٠٩٤ — ١٠٩٥م)؛ بسبب ما دب من صراع بين

= G., History of the Byzantine State, Oxford 1956, p. 304; LaMonte J., The World of the Middle Ages, New York, 1949, p. 323; Runciman, A History of the Crusades, I, p. 60 ff; Hussey, J., The Byzantine World, London 1970, p. 50; Archer, T., & Kingsford, Ch., The Crusades, London, 1894, p. 19 ff.

(١) رانسمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، ص ١٧٢ وأيضا Baynes, N, The Byzantine Empire, London 1925 p. 57.

(٢) أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٩٨ .

(٣) ارجع إلى : عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران ، ص ١٠٠ — ١٠١ ؛ ديفز : أوربا العصور الوسطى ، ترجمة د عبد الحميد حمدى، ط١ ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

أبنائه (١) الذين تقاتلوا مع بعضهم من ناحية، ومع عمهم تتش الذى ما أن علم بوفاة أخيه ملكشاه حتى أسرع بالاستفادة من حالة الفوضى التى أمست فيها الدولة السلجوقية لتحقيق أطماعه فى التوسع (٢). وقد انتهى الأمر بصرع تتش (٣) عام ٤٨٨هـ (١٠٩٥م)، وبمـــوته لفظت الدولة السلجوقية آخر أنفاسها. وما كادت تحـل سنة ٤٩٠هـ (١٠٩٦م) حتى تفتتت الدولة إلى خمس ممالك متنافسة (٤).

وإذا إنتقلنا إلى بلاد الشام نجد أن سيادة السلاجقه قد أخذت فى الانحسار، ذلك لأن إبنى تتش رضوان صاحب حلب (٤٨٩ - ٥٠٧هـ/ ١٠٩٥ - ١١١٣م)، ودقاق صاحب دمشق (٤٨٩ - ٤٩٨هـ/ ١٠٩٥ - ١١٠٤م)، لم يكن أى منهما

---

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٥، ص ١٤ وبعدها وأيضـا انظر :

Tout, T.F., The Empire & the Papacy, London, 1909, pp. 174, 179; Archer, The Crusades, P. 21f.

(٢) عاشور : الحركة الصليبية، جـ١، ص ١١٠ - ١١١.

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، جـ٥، ص ١٦؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٠؛ ابن تغرى بردى : النجوم : جـ٥، ص ١٥٥؛ عاشور : الحركة الصليبية، جـ١، ص ١١٣.

(٤) عاشور : الحركة الصليبية، جـ١، ص ١١٤. للاستزادة عن تصارع السلاجقة وأثره فى نجاح الزحف الصليبى انظر : عبد المنعم حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص ٨٣ وبعدها؛ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص ٤٥١؛ وأيضـا انظر :

Tout, The Empire & the Papacyy P. 179.

يتمتع بالمقدرة السياسية التى يستطيع بها مواجهة الأوضاع القلقة التى عاشت فيها بلاد الشام آنذاك . ولعل أكبر مظهر لانحلال سلطان السلاجقة بعامة وفى بلاد الشـــام والعراق بصفة خاصة ، هو ظهور عديد من البيوت الحاكمة التى لا تجمعها أية روابط سوى رابطة الاتصال بالبيت السلجوكى ، ومنهـا تولدت الوحدات السياسية المعروفة باسم الأتابكيات ويعرف أصحابها بالأتابكة (١) .

هكذا كانت الصورة العامة لمسرح الأحداث بمنطقة الشرق الأدنى الإسلامى قبيل قدوم الحملة الصليبية الأولى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) . المنطقة كلها غارقة فى بحر لجى من الفوضى والصراع المذهبى والسياسى ، تجتاحها أعاصير الحقد والأطماع الشخصية فقد انقسم الفواطم والسلاجقة إلى شيع وأحزاب متصارعة فيما بينهما . وفى نفس الوقت بدأت خماسين الصليبيين تهب على المنطقة التى كانت بلا قـــوة تستطيع مواجهة الخطر الجديد . ورغم ظهور السلاجقة كقوة رادعة لأعداء الإسلام بعد ملاذكرد ، إلا أنها سرعان ما انفلت وتفككت عراها مع بداية الحركة الصليبية مما كان له أكبر الأثر فى نجاح الحملة الأولى (٢) ، تلك الحملة التى قامت فيها المدن الإيطالية بصفة عامة ومدينة جنوة على وجه الخصوص بدور فعال .

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

انظر أيضا : عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ٤٠١ .

(٢) عن تصارع القوى الاسلامية فى الشرق قبيل الحركة الصليبية وإبانها، وأثر ذلك فى نجاح وتثبيت دعائم اللاتين انظر : ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١١٦ - ١٢١ ؛ William of Tyre, op. cit., I, p. 223 cf. also : Kinder, H. & Hilgemann, W., The Penguin Atlas of World History, London, 1974, Vol. I, p 151.

وقبل سرد أحداث الحملة الصليبية الأولى وعوامل إسهام الجنوية ودورهم فيها، ينبغى استعراض أحوال الغرب الأوربى وقتذاك .

منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية القديمة فى أخريات القرن الخامس وحتى أوائل القرن الحادى عشر الميلاد، كانت أوربا تعيش فى حالة من الفوضى والقلق والاضطراب بسبب الظروف التى صاحبت نهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط . وأصبحت البلاد مرتعاً خصيباً للفوضى والانحلال ليس فى النواحى السياسية فحسب، بل فى الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية أيضاً . وخلال تلك الفوضى الضاربة أطنابها فى أوربا الغربية تحايل الغرب بالنظام الاقطاعى للحصول على قدر من الأمان والحماية، وتنازل الأباطرة والملوك عن كثير من حقوقهم وسلطانهم لأمراء الإقطاع، وإن كان قد استطاع هؤلاء توفير الحماية لرعاياهم من العبيد والأقنان ضد الهجمات الخارجية، إلا أن هؤلاء الرعايا دفعوا الثمن غالياً فى ظل نظام قائم على أساس تحكم القوى فى الضعيف (١) . وزاد الطين بلة أن الكنيسة ذاتها والبابوية على رأسها قد فشلت فى تعديل تلك الأوضاع حيث تعرضت الكنيسة لموجة جارفة من الانحلال والذبول فى القرنين التاسع والعاشر للميلاد، وجرف التيار الإقطاعى رجالها وتصدع سلطان البابوية وانحط مستوى رجال الدين خلقياً (٢) . وبصفة عامة

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية، جـ١، ص ١٧ — ١٨ .

Tout, The Empire & The Papacy, pp. 2ff.

وللاستزادة انظر : محمد الشيخ : الممالك الجرمانية فى أوربا فى العصور الوسطى، الاسكندرية ١٩٧٥، ص ٣ وبعدها، ٣٥ وبعدها، ٥٠ وبعدها .

(٢) **William of Tyre, op. cit., I, p. 75. cf. also:**

عاشور : الحركة الصليبية، جـ١، ص ١٨ وللاستزادة انظر : =

تدهورت الأخلاق والقيم والمثل ، كما انتشرت الأمراض والأوبئة والمجاعات نتيجة لانهيار الزراعة والتجارة والصناعة وساد الجهل وعم اليأس (١) وسيطر على الغرب عاملان أساسيان يعبران عن روح العصر ألا وهما الدين والحرب ، الدين ويرتبط بالمسيحية وكنيستها التى أصبحت لها السيطرة والنفوذ ، والحرب ويرتبط بالجرمان الذين نزلوا فى جوف أوربا وما يرتبط بهم من أنظمة كالفروسية والإقطاع (٢) .

هكذا كانت الأحوال فى الغرب الأوربى فى أخريات القرن العاشر الميلادى يوم أن ظهرت نبوءة تقول: إن نهاية العالم ستكون فى نهاية الألف الأولى بعد ميلاد المسيح (عليه السلام) حيث سيظهرت المسيح للمؤمنين ؛ مما أدى إلى انتشار موجة من الزهد والتقشف ونبذ ملذات الحياة وتقرب الناس إلى

Ullmann, W., A Short History of the Papacy in the Middle Ages, London 1974, pp. 122, 129 ff.; Stephenson, C., Medieval History, New York, 1943, p. 284f.; Jamison, E.M. and others, Italy, Medieval & Modern History, Oxford, 1917, p. 33.

(١) William of tyre, op. cit., vol. 1, p. 75 f., cf. also :

جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ، ص ١٤٧ ؛ محمد كرد على : الاسلام والحضارة العربية ، ط٣ ، القاهرة ١٩٦٨ ، جـ١ ، ص ٢٩٤ .

(٢) Myers. P.; Medieval & Modern History, U.S.A., 1923; p. 112

وللاستزادة عن أطماع رجال الدين لاقطاعية انظر : كرامب (ج) وجاكوب أ): تراث العصور الوسطى ، مجموعة بحوث ترجمة عدد من أساتذة الجامعات ، القاهرة ١٩٦٧ ، جـ٢ ، ص ٦١٣ - ٦١٤ .

الله . ورغم عدم موضوعية تلك الأسطورة إلا أنه ينظر إليها كرمز باعتبارها سببا من أسباب نهضة الغرب الأوربي في القرن الحادي عشر الذي اتسم بعدة سمات ميزته عن القرون السابقة (١). وقد استمرت فيما بعد إلى أن تفجرت ينابيع النهضة الأوربية في القرن الخامس عشر الميلادي (٢) . وإذا كانت الكنيسة قد نجحت في إيجاد حلول لبعض مشاكلها وعيوبها ، إلا أنها أثناء محاولتها إيجاد حلول لمشكلة التقليد العلماني ؛ وقعت في دوامة صراع مرير مع الإمبراطورية ذلك الصراع الذي عرف في العصور الوسطى باسم الصراع العلماني (٣) . وبدأت أولى حلقات ذلك الصراع عام ١٠٧٦م واستمر سنوات عديدة حشد فيها كلا الطرفين قواه ، وسخر كل إمكاناته للتغلب على الطرف الآخر (٤) . وكان لذلك الصراع آثاره المدمرة على الكنيسة وأوربا الغربية بوجه عام ، وعلى ألمانيا وإيطاليا بصفة خاصة .

---

(١) عن تلك النبوءة ونتائجها انظر : جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١٤٨ ؛ كولتون (ج. ج.) : عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة ، ترجمة جوزيف نسيم يوسف ، ط١ ، الاسكندرية ١٩٦٤ ، ص ١٧٣ – ١٧٥ ؛

Pirenne, H., Medieval Cities, their Origins & the Revival of Trade, Trans. by Frank, D. Halsey, Garden City, 1956, P. 56f.; Tout, The Empire & Papacy, P. 5f., 9f; Stephenson, Medieval History, pp. 279, 282f.; Bell, M.I., A Short History of the Papacy, London 1921, P. 99.

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٩ وللاستزادة : شرحه، ص ١٩ – ٢١.

(٣) عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٠ ؛ وأوروبا العصور الوسطى ، ج١ ، ص ٢٤١ وما بعدها .

(٤) عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٠ وللاستزاده انظر :

Tout, The Empire & the Papacy, pp. 128 ff.

لقد بدأ الصراع بين الإمبراطور الألمانى هنرى الرابع (١٠٥٦ - ١١٠٥م) والبابا جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥م) نتيجة إعلان كل منهما احقيته فى تعيين رجال الدين وشغل المناصب الدينية الشاغرة بالأسقفيات (١) . وفى تلك الفترة من التاريخ الأوربى حدث الانقســـام المعروف باسم القطيعة الدينية الكبرى بين الكنيستين الشرقية والغربية (٢) ،وكانت قـــد بذلت عدة جهود للتوفيق بين الكنيستين، لكنها باءت بالفشل . ففى أوائل القرن الحادى عشر كادت محاولات الإمبراطور البيزنطى باسيل الثانى (٩٧٦ - ١٠٢٥م) للتقريب بين الكنيستين أن تنجح على أساس تساويهما فى المكانة العالمية لولا أن عاد البابا الرومانى حنا التاسع (١٠٢٤ - ١٠٣٢م) وأهمل الفكرة بعد موافقته عليها بسبب معارضة أساقفة الغرب . وظلت العلاقة العدائية تفصل بين الكنيستين وبلغت ذروتها عام ١٠٥٣م يوم أن أغلق بطريرك القسطنطينية كيرو لاريوس

---

(١) LaMonte, The World of the *Middle* Ages, p. 257 ff.; Conder, The City of Jerusalem. p. 271; Tout, op. cit., p. 110 ff.; Ullmann, A Short History of the Papacy, pp. 142—161; Stephenson, Medieval History, p. 291f.; Bishop, M. The Penguin Book of the Middle Ages, London, 1971, p. 52f.

(٢) Campbell, G. A., The Crusades, London 1935, pp. 25 f.

وللاستزادة عن القطيعة الدينية انظر :

Ullmann, op. cit., p. 132 ff.; Hussey, The Byzantine world, p. 41 f.; Stephenson, op. cit., p. 287; Vasilieve, Histoire de L'Empire Byzantine, I, p. 447; Baynes, Bayzantium, pp. 26, 113, 119 ff.; Bell, A Short History of the Papacy, p. 109; [illegible]hl, History of the Byzantine Empire p. 107 f.

(١٠٤٣ - ١٠٥٨م) كنائس اللاتين فى القسطنطينية، ومنع المسيحيين الغربيين من العمل فى الإمبراطورية وأصدر كل من زعيمى الكنيستين الشرقية والرومانية قرارا بحرمان الآخر (١) . وهكذا تم الانفصال نهائيا بين الكنيستين ، ذلك الانقسام الذى كانت له أوخم العواقب على العلاقات بين مسيحي الشرق والغرب أثناء الحملة الصليبية الأولى .

وقد ظل العداء مستحكما بين الكنيستين إلى أن تربع هيلد براند أعظم شخصيات العصور الوسطى على العرش البابوى وتسمى باسم جريجورى السابع، وعرف بطموحه الشديد وسعيه الدائب لإعلاء شأن الكنيسة اللاتينية والبابوية بتحقيق هدفه الأسمى ، ألا وهو توحيد الكنيستين البيزنطية والغربية اللاتينية، منتهزا فرصة استنجاد البيزنطيين به لنجدته ضد السلاجقة الذين سحقوا جيوش الإمبراطورية فى ملاذ كرد ، تلك الهزيمة التى جعلت الإمبراطور البيزنطى ميخائيل السابع (١٠٧١ - ١٠٧٩م) - بعد يأسه من الثأر من السلاجقة - يرسل رسله إلى جريجورى السابع يلح عليه مطالبا إياه بالنجدات السريعة لإنقاذ الإمبراطورية من خطر هذا العنصر (٢) . وعندئذ وجد جريجورى أن الاستجابة لنداء النجدة فيه فرصته السانحة لتحقيق هدفه بتوحيد الكنيستين(٣).

---

(١) Ullmann, A short History of the Papacy, pp. 132 ff;
عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، جـ١ ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ وأيضا :
Conder, The City of Jerusalem, P. 271; Stephenson, Medieval History, P. 293.

(٣) Chalandon, F., Histoire de La lere. Croisede Jusqu'a L'Electioud e Godefroi de Bouillon, Paris 1925, p. 11.

وتحقيق أطماع البابوية وسياستها فى التخلص من أمراء الإقطاع فى الغرب من ناحية ،واستغلال فرصة ضعف العالم الإسلامى وتفكك ، وإخضاعه لنفوذها وكثلكته من ناحية أخرى.وبعد ان حصل جريجورى السابع على وعد باعتراف الإمبراطوربزعامة الكنيسة الرومانية نظير مساعدة البيزنطيين (١) ، أسرع يدعو ملوك الغرب الأوربى وأمرائه لنجدة البيزنطيين ضد السلاجقة وفكر فى قيادة الحملة بنفسه ضدهم (٢) . إلا أن انشغاله بالصراع ضد الإمبراطور الألمانى هنرى الرابع حول مشكلة التقليد العلمانى، شغله عن تحقيق هدفه الذى ظل يراوده حتى وافته المنية فجأة عام ١٠٨٥ م (٣) . وبموت جريجورى السابع شغل دذيدريوس أوف مونت كاسينو Desiderius of Monte Cassino الكرسى البابوى باسم فيكتور الثالث (١٠٨٥ - ١٠٨٧م)، وكان ضعيف الشخصية وصديقا للنورمان (٤).وخلفه بعد موته على الكرسى البابوى أوربان

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١٢٩ . وأيضا .

Campbell, The Crusades, p. 27.

(٢) Conder, op. cit., p. 271; Campbell, op. cit. p. 27.

(٣) عن صراع جريجورى وهنرى الرابع انظر : جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ؛

Setton, A History of the Crusades, 1, p. 26f.; Thomposon, J. History of the Middle Ages, London, 1931, pp. 184f.; Myers, Medieval & Modern History, P. 107f.; Bell, A Short History of the Papacy, pp. 102ff.; Archer, The Crusades, pp. 23 ff.

(٤) LaMonte, The World of the Middle Ages, P. 260.

وللاستزادة انظر : جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

الثانى (١٠٨٨-١٠٩٩م) (١) .

وإذا طرحنا ذلك جانبا يمكن القول أنه بعد حادثة كانوسا (يناير ١٠٧٦م)، إنهارت مكانة الامبراطورية بألمانيا وانغمس الإمبراطور فى متاعبه الخاصة، وتمزقت ألمانيا إلى قسمين متباينين نتيجة لما ساد البلاد حينذاك من قلاقل واضطرابات داخلية . وتصارعت القوى وتحفز كل للانقضاض على البلاد، أحياناً بمباركة البابوية وتأييدها، وأحيانا أخرى بدون مباركتها (٢) . وقد أدى ذلك إلى ضعف ألمانيا التام (٣) وعدم استطاعتها المساهمة بطريق مباشر أو غير مباشر فى العلاقات الجنوبية الفاطمية خلال القرن الثانى عشر .

هذا عن ألمانيا ، أما عن شطر الإمبراطورية الثانى وهو إيطاليا ، فيلاحظ أن الجنوب الإيطالى فى القرن العاشر كان مسرحاً لمعارك طاحنة بين قوات الإمبراطورية البيزنطية والمسلمين والدوقات اللومبارديين (٤). وإبان تلك الفوضى ظهر النورمان بغتة عام ١٠١٦م فى صورة جماعة من الحجاج قادمين من بيت

---

(١) Chalandon, Histoire de La lere. Croisade, P. 13; Runciman, A History of the Crusaded, 1, pp. 100 ff; Bell, op. cit., p. 128 ff.; Setton, op. cit., 1, pp. 225 ff.

(٢) Atiya, A., Crusade, Commerce & Culture, Bloomington 1962, P. 49.

(٣) Atiya, Ibid.

(٤) LaMonte, The World of the Middle Ages, P. 275.

المقدس ، وكانوا يؤدون خدماتهم كجند مرتزقة مع أى فرد يدفع أكثر (١) .
وحوالى عام ١٠٣٦م ظهر فى جنوبى إيطاليا أبناء تانكرد أوف هوتفيل Tancard of Hauteville وهم الأخوة النورمان الثلاثة (٢) ، الذين سرعان ماجابت شهرتهم الآفاق كقطاع طرق . ومهما كان الأمر ، فبموت وليام ذى الذراع الحديدية - أحد أبناء تانكرد أوف هوتفيل - خلف وراءه دويلة نورمانية فى أبوليا ، واستولى أخوه المسمى دوروجو عليها واعترف به الامبراطور هنرى الثالث (١٠٣٩ - ١٠٥٦ م) كونتا عليها . وتوالى وصول الأخوة هوتفيل وكان بينهم أخ صغير اسمه روبرت جيسكارد (٣) Robert Guiscard .

وفى عام ١٠٥١م اغتيل دوروجو وخلفه شقيقه همفرى Humphrey بينما حكم روبرت إقليما صغيراً كان قد فتحه فى كالابريا ، وظل النورمان بجرد قطاع طرق أو مرتزقة وذلك رغم اعتراف الإمبراطور هنرى الثالث بهم . ولكن

---

(١) Ullamanny, A Short History of the Papacy, P. 132; LaMonte, The World of the Middle Ages, P. 275.

(٢) عن النورمان وقيام دولتهم انظر : عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٢٢٧ - ٢٣٢ ، وأيضا :

LaMonte, op. cit., pp. 275 ff.; Tout, The Empire and the Papacy, p. 104 ff.; Vasilieve, Histoire de L'Empire Byzantine, 11, pp. 7 ff.; Haskins, Ch., The Normans in European History, New York 1959, pp. 200 ff.

وللاستزادة : محمد الشيخ : الممالك الجرمانية ، ص ٢٥٧ وبعدها ، ص ٣٠٧ وبعدها .

(٣) يعتبر روبرت جيسكارد المؤسس الحقيقى لدولة النورمان . انظر : محمد الشيخ : الممالك الجرمانية ، ص ٣٠٩ وبعدها . وأيضا انظر :

Vasilieve, op. cit., 1, p. 474 f.

سرعان ما ازداد نفوذهم كسادة إقطاعيين (١) . وفى ١٨ يوليو عام ١٠٥٣م ارتفعت مكانة النورمان وذاع صيتهم وخشى بأسهم نتيجة لانتصارهم على البابا ليو التاسع (١٠٤٩ - ١٠٥٤م) الذى كان قد خرج لتأديبهم لمهاجمتهم الممتلكات البابوية والكنائس ونهبها (٢) . وفى عام ١٠٥٧م مات همفرى وخلفه روبرت كونتا على أبوليا وقام بالزحف على أمالفى ، وكلف أخاه الأصغر روجر Roger بغزو كالابريا . وبعد صراع مرير ضد البارونات الحاقدين عليه استطاع روبرت تدعيم مكانته بين النورمان وإخضاعهم ؛ ووطد نفوذه على أملاكه ، وبتحالفه مع البابا نيقولا الثانى (١٠٥٩ - ١٠٦١م) اعترف البابا بما فى حوزته من أملاك (٣) ؛ فشعر روبرت بقوته وهاجم أملاك البيزنطيين وبدأ أخوه روجر غزو صقلية . وفى عام ١٠٦١م سقطت مسينا بأيدى النورمان (٤) ؛ وفى عام ١٠٧١م انتهز روبرت فرصة انشغال البيزنطيين بقتال الأتراك واحتل مدينة بارى آخر المعاقل البيزنطية بإيطاليا. وبسقوطها انتهت السيادة البيزنطية على شبه

---

(١) عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج١ ، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ . وأيضا انظر :
LaMonte, The world of the Middle Ages, p. 276; Tout, The Empire and The Papacy, p. pp. 106f.

(٢) LaMonte, op. cit., p. 276; Tout, 108f; Treece, H., The Crusades, New York 1964, P. 57; Ullmann, A Short History of the Papacy, p. 132; Haskins, op. cit., P. 203.

(٣) LaMonte, op. cit., p. 276. وللاستزادة انظر :
Tout, op. cit., p. 108 ff.; Haskins, op. cit., p. 203f.

(٤) LaMonte, op. cit., P. 276; Tout op. cit., p. 117f.; Haskins, op. cit., P. 208.

الجزيرة الإيطالية (١) . وفى عام ١٠٧٢م توج النورمان انتصاراتهم باحتلال صقلية بعد سقوط بالرمو بأيديهم (٢) .

ونظرا لتعطش النورمان بقيادة روبرت البحث عن ميادين وأرض جديدة للتوسع وإظهار قوتهم (٣) ؛ قاد روبرت قواته من برنديزى إلى أبيروس ، وعبر الإدرياتيكى تعاونه فرقة من مسلمى صقلية الأقوياء بقصد مهاجمة الدولة البيزنطية فى عقر دارها . واحتل النورمان مدينة دورازو البيزنطية عام ١٠٨٢م (٤) . وواصل روبرت زحفه تجاه القسطنطينية . وهنا شعر ألكسيس كومنين بخطورة الموقف ، وبما عرف عنه من مهارة ودبلوماسية ، سارع بالتحالف مع البنادقة وأوقف الزحف النورمانى بينما انسحب روبرت إلى إيطاليا . وأثناء العودة هاجم روما ونهبها فى عام ١٠٨٤م بعد أن أنقذ

(١) LAMonte, op. cit., P. 277; Ostrogorsky, History of the Byzantin State, P. 304f.

يعتبر عام ١٠٧١م من الأعوام الحاسمة فى التاريخ البيزنطى ، فخلقت فيه الامبراطورية نفوذها فى ايطاليا بسقوط بارى بأيدى النورمان ، كما ضاع نفوذها بآسيا الصغرى بعد هزيمتها فى ملاذكرت على أيدى السلاجقة . انظر:

Vasilieve, Histoire de L'Empire Byzantine, 1, P. 475; LaMonte, op. cit., P, 277; Tout, op. cit., p. 114

(٢) LaMonte, op. cit., P. 277; Pirenne, Medieval Cities, p. 57; Tout op. cit., p. 118.

(٣) Atiya, Crusade, Commerce & Culture, P. 49; Treece, The Crusade, P. 57.

(٤) Treece, Ibid.

البابا جريجورى السابع (١) .

وفى عام ١٠٨٥ م، وبينما كان روبرت يستعد لغزو بيزنطة مات تاركا لابنه دولة من أقوى دول أوروبا (٢)، شاءت لها الأقدار لتوسطها بين الشرق والغرب أن تقوم بدور فعال فى تاريخ أوربا الغربية فى الفترة التالية (٣) . وعقب موت روبرت بعشر سنوات فقط دعا أوربان الثانى إلى الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٩ م (٤) .

وفيما يختص بالشمال الإيطالى نلحظ أنه كان خاضعا لسيطرة الإمبراطورية الألمانية ، فاكتوت مدنه بنيران الصراع الناشب بين الإمبراطورية والبابوية (٥) . ومنذ بداية القرن الحادى عشر ظهرت البندقية كجمهورية مستقلة، وخلال ذلك القرن أيضا ظهرت كل من جنوة وبيزا كقوى مستقلة وبدأت تساهم فى الحروب الصليبية

---

(١) LaMonte, The World of the Middle Ages, P. 278ff.

وللاستزادة انظر :

Thompson, History of the Middle Ages, p. 186; Tout, The Empire & the Papacy, pp. 135 f.; Haskins, The Normans in European History, p. 205.

(٢) Treece, The Crusades, p. 57; Tout, op. cit., p. 117

(٣) LaMonte, op. cit., p. 278; Tout, op. cit., p. 118;

ستعرف تلك الدولة بعد تحالفها مع صقلية باسم مملكة الصقليتين وسوف تظل حتى عام ١١٩٤ م . وللاستزادة انظر : عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ — ٣٣٢ ؛ محمد الشيخ : الممالك الصليبية ، ص ٣١٧ — ٣٢٠ ، ٣٢٢ — ٣٢٩ .

(٤) Treece, op. cit., pp. 56 f.

(٥) Atiya, Crusade, Commerce & Culture, p. 49

منذ نهاية القرن الحادى عشر مساهمة فعلية (١). ولقد لعبت جنوة دوراً هاماً تميز عن باقى المدن الإيطالية التى ساهمت فى الحروب الصليبية. ومما لاشك فيه أن جنوة كانت لها علاقات قوية مع مصر قبيل الحركة الصليبية مثلما كان لكل من البندقية وأمالفى وبيزا من علاقات تجارية مع مصر الفاطمية، وحصلت جنوة وغيرها من المدن التجارية على عدة امتيازات تجارية كبيرة من الفواطم إبان القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، وساعدها على ذلك ما كانت تمتاز به من موقع استراتيجى ممتاز جعلها من أهم موانى البحر الابيض المتوسط ، وحلقة اتصال هامـــة بين الشرق الادنى الإسلامى والغرب الأوربى (٢)

وتقع جنوة على ساحل ليجوريا القديم عـــلى البحر التيرانى وتلى البندقية كواحدة من أعظم القوى والمـــدن البحرية التجارية بإيطاليا (٣) . ويعرف

---

(١) عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج١ ، ص ٣٢٧ - ٣٣٣ .

(٢) جوزيف نسيم : علاقة مصر بالممالك التجارية ، ص ٨٠ . وللاستزادة عن بداية نهضة جنوة واتساع مجالات أنشطتها التجارية انظر : هاو (سونيا ؛ ى) ، فى طلب التوابل ، ترجمة محمد رفعت ، (الألف كتاب ٩٨) القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٤٢ - ٤٣ .
وايضا :
Lopez, *R*.S., Market Expansion. The Case of Genoa, J. E. H., Vol. XXIv, p. 160.

(٣) Myers, Medieval & Modern History, P. 160 .
للاستزادة عن أهمية موقع جنوة ونهضتها انظر :
Encyc. Brit, 4th ed., vol. 10, pp. 117 ff.

القلقشندى (جنوة) فى كتابه « صبح الأعشى » باسم « بلاد جنوة »(١) وأحيانا يسميها «مملكة الجنويين»(٢) على أساس كونها واحدة من ممالك الفرنج الكبار(٣) وقاعدتها مدينة جنوة التى تقع « على جون [خليج] عظيم من البحر الرومى »(٤) ويعرف سكانها باسم [الجنويين] و [الجنوية] وهم طائفة مشهورة من الفرنج (٥). ولقد لخص القلقشندى أهمية جنوة وموقعها وأطوالها وأهم منتجاتها وذكر أنها تقع غربى بلاد البيازنة « فى ذيل جبل عظيم وهى على حافة البحر ومیناها علیها سور ، وأنها مدينة كبيرة إلى الغاية ، وفيها أنواع الفواكه ، ودور أهلها عظيمة ، كل دار بمنزلة قلعة ، ولذلك اغتنوا عن عمل سور عليها ، ولها عيون ماء منها شربهم وشرب بساتينهم » (٦)

---

(١) صبح الأعشى ، ج٣ ، ص ٢٣٥ . وأيضا انظر : ابن خلدون : المقدمة ، ص٧٢ .

(٢) صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٠٥ . الملاحظ أن القلقشندى أطلق على الجمهوريات الايطالية لفظة « ممالك » بدلا من « جمهوريات » .

(٣) قسم القلقشندى ممالك الفرنج إلى ممالك كبار وممالك صغار . أما الكبار فهى مملكة القسطنطينية ، ومملكة الألمان ، ومملكة البنادقة ، ومملكة الجنويين ، وبلاد رومية . انظر : صبح الاعشى ، ج٥ ، ص ٣٧٦ — ٤٠٨ .

(٤) صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٠٥ ؛ ابن سعيد المغربى : كتاب الجغرافيا ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٩ .

(٥) صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٠٥ .

وللاستزادة عن جنوة انظر : جوزيف نسيم يوسف ؛ الممالك التجارية ؛ ص ٨٠ — ٨١ .

(٦) صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٤٠٥ — ٤٠٦ انظر ايضا كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١ — ١٢٩١م / ٥٦٧ — ٦٩٠هـ) ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨١ ، ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ والحواشى .

إذا رجعنا قليلا إلى الوراء نجد أن جنوة قبل عام ٦٤٢ م كانت تتمتع بمركز تجارى عظيم على ساحل ليجوريا وبحكم موقعها وسط الإقليم ارتبطت ارتباطا وثيقا ومباشرا بسهل لمبارديا الغنى عبر طريق أنشأه الرومان فى جبال إبنين ، كما ارتبطت بروما فى الجنوب عبر طريق ساحلى ممهد، وبمدينة نيس وإقليم بروفانس فى الغرب عبر طريق رومانى آخر يحاذى الساحل(١). وفى عام ٦٤٢ م وبسقوط جنوة ومعظم إقليم ليجوريا فى أيدى الملوك اللومبارد فقدت أهميتها التجارية ، وساءت أحوالها وضعفت وأصبحت فريسة سهلة لهجمات القراصنة والأعداء(٢) وفى عام ٩٣٤ م / ٣٢٢ هـ افتتح صاحب المغرب محمد أبو القاسم بن عبيد الله القائم بأمر الله الفاطمى (٣٢٢ - ٣٣٤ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٥ م) مـــدينة جنوة بالسيف، حيث أرسل قائده يعقوب بن إسحاق فى أسطول - خرج من المهدية - قوامه ثلاثون مركبا حربيا هاجم مدينة جنوة ودمر وأحرق سردينيا وعاد الأسطول بالعديد من الأسرى والعبيد والغنائم منتصراً إلى قاعدته فى المهدية(٣).

---

(١) لويس : القوى البحرية والتجارية ، ص ١٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

لقد ظلت جنوة حتى عام ٦٤١م مركز الادارة البيزنطية لاقليم ليجوريا . انظر نفس المرجع السابق، ص ١٣٨ .

(٣) عن تلك الوقعة البحرية انظر : المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، تحقيق الشيال، القاهرة ١٩٤٨، ص١٠٨ ؛ الذهبى : دول الاسلام ، ج١ ، تحقيق شلتوت ، ص ١٩٨ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٢٠٩ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٣ ، ص ٢٤٩ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١١٨ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، القسم الثالث ، ص٥٣ ؛

O'Leary de Lacy, A short History of the Fatimid Khalifate, London 1923, P. 38; Lane - Poole, History of Egypt, p. 97.

ولقد كان لتلك الهجمة الفاطمية وغيرها من هجمات القراصنة المسلمين الذين هاجموها عام ٩٣٥ م / ٣٢٤ هـ (١) أثره في إحداث ردود فعل عنيفة وخلق شعور بالرغبة في الثأر مهما طال الزمن على طول سواحل البحر التيراني بعامة وبخاصة في جنوة وبيزا . وهنا قام نبلاء مدن الساحل الليجوري بتقديم رؤوس الأموال اللازمة لبناء السفن الجنوية (٢) . ومن هنا بدأ الجنوية يقومون باستخدام تلك السفن في الدفاع عن مدينتهم وسواحل ليجوريا ؛ وبعدما كانوا يسارعون بالاحتماء في قلاعهم الجبلية الحصينة عند كل هجمة إسلامية بحرية (٣)، بدأ الجنوية بعد بناء أسطولهم البحري يتحولون من الدفاع إلى الهجوم .

فلقد سمعنا عن سفن جنوية شحنت بالمقاتلة عام ٩٣٦ م / ٣٢٥ هـ ، أغار بها الجنوية على أعدائهم بدلا من انسحابهم إلى الجبال ، وأنزلوا بهم بعض الخسائر ، كما ألحقوا بعض الدمار بسفن المسلمين . وتميز هذا العام بأول نصر حققه الجنوية على المسلمين الفواطم الذين كانت لهم السيادة على غربي البحر الأبيض المتوسط آنذاك (٤) . ولقد كانت تلك الكوارث المبكرة التي أصابت جنوة من

---

(١) Iorga, N., Histoire Des Croisades, Paris 1924, p. 22;
Beazley, C.R., The Dawn of Modern Geography, NewYork, 1949, vol. II, p. 418 .

(٢) Pirenne, Economic & Social History, p. 47 .

(٣) Bent, J. Th., Genoa : How the Republic Rose & Fell, London 1881, p. 46 .

وعن بداية نهضة جنوة وتعاونها مع بيزا ضد المسلمين أنظر :

Camb. Med. Hist., vol. v, p. 266.

(٤) Bent, Genoa, p. 46 .

صالحها . فمنها وخلالها تعلم الجنوية فن صناعة السفن التى أكسبت مدينتهم آخر الأمر لقب « سيدة البحار » ، كما بنى الجنوية خلال تلك المحن أول أسوارهم حول منحدرات الجبل . وهكذا وضعت أول لبنة فى صرح عظمة جنوة ونهضة أسطولها التى كانت من أهم سمات ذلك العصر (١) .

ومع بداية القرن الحادى عشر بدات جنوة تحول اهتمامها إلى البحر بعد أن أتاحت لها الاقدار فرصة مواجهة الفواطم والمسلمين بصفة عـــامة ، والثأر لما أصابها منهم من قبل. وعلى مر السنين ونتيجة للرغبة المتوارثة والمسيطرة على جنوة للانتقام، تراكمت فى نفوس الجنوية العديد من الاحقاد والكراهية وفتح الجنوية البحر لسفنهم الملاحية بحد السيف(٢). وزاد نشاطهم التجارى مع الشرق، وبدأت عظمة جنوة التجارية، وقويت علاقاتها مع الفواطم الذين أحسنوا معاملة المسيحيين واهتموا بالتجارة على أمل زيادة ثروتهم. فشجعوا تجارة الغربيين مع مصر والشام، وأحسنوا معاملة الحجاج القادمين من الغرب لزيارة الأماكن المقدسة، وأقاموا الأسواق للفرنجة بالقدس . وباختصار عاش المسيحيون فى ظل قوانين حكام مصر والشام الفواطم فى سلام (٣) . واستمر الحال هكذا حتى اعتلى الحاكم بأمر الله الفاطمى العرش وأظهر تعصبا شديداً للمذهب الفاطمى ، واضطهد أهل الذمة من ناحية، والمسلمين السنيين من ناحية أخرى . وعرف عنه عدم الثبات فى تصرفاته؛ وفى عام ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م هدم كنيسة القيامة بالقدس، كما هدم غيرها من الكنائس

(١) Bent, Genoa, p. 46f. وأيضا انظر: لويس : القوى البحرية، ص ٣٤٣.

(٢) Pirenne, Medieval Cities, p. 63.

(٣) Michaud, History of the Crusades, 1, p. 16.

بمملكته(١) ولسوف تثير تلك السياسة شعوراً قوياً بالعداء ضد المسلمين فى أنحاء الغرب الأوربى. وقام البابا سيلفستر الثانى (٩٩٩-١٠٠٣م) بإثارة نار الكراهية ضد المسلمين ودعوة الأمم المسيحية إلى حمل السلاح ضدهم والإسراع بغزو الأراضى المقدسة وتخليصها من أيدى المسلمين. وكان رد الفعل سريعاً لدى الصليبيين العتاة، وأعنى بهم الجنوية الذين قاموا هم والبيازنة بالتعاون مع الملك بوسون Boson ملك أرلس Arles (٢) بقيادة حملة بحرية انتقامية على الشام

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب، ص ١٥٠ وما بعدها؛

Michaud, op. cit., 1, p. 16 ff.

وللاستزادة عن الحاكم وسياسته انظر: حسن إبراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية، ص ١٦٤-١٦٧، ٦٢٥؛

Besant, W. & Palmer, E.H., Jerusalem, The City of Herod & Saladim, London, 1888, p. 108 ff.; Lane-poole, History of Egypt, p. 123 ff.

(٢) Michaud, The History of the Crusades, I, p. 17; Lacroix, Le Chevalerie et Les Croisades, Feodalite - Blason, Ordres Militaires, Paris, 1887, p. 152f.

يرجح أن تلك الحملة كانت فى أوائل العقد الأول من القرن الحادى عشر م. فى الفترة من (١٠٠٠ - ١٠٠٣م/ ٣٩٠ - ٣٩٣هـ) أثناء بابوية سيلفستر الثانى (٩٩٩-١٠٠٣م) حيث توجد إشارات إلى أن سيلفستر هو الذى خطط الحملة وأرسل مبعوثيه إلى الامم المسيحية يحرضها على مهاجمة المسلمين بالشرق، وتخليص الضريح المقدس من أيديهم. فاستجاب الجنويه والبيازنه وملك أرلس للدعوة وقامت أساطيلهم بالاغارة على الساحل الشامى حيث سلبت ونهبت. وتعزو بعض الروايات خروج الحركة الصليبية إلى حيز الوجود إلى تلك الحملة ارجع الى:

The Crusades, The Greek & Eastern Churches, p. 12; Lacroix, op. cit., p. 152 ff.; LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 334; Michaud, op. cit, I, p. 17

ضد المسلمين لتخليص الضريح المقدس من أيدى الفواطم (١) .

ومهما كان الأمر فلا شك أن تلك الحملة الجنوية قد خلقت شعوراً بالعداء وعدم الثقة لدى حكام الشرق الإسلامى ، كما خلقت شعوراً بالحذر لديهم من كل مسيحى ؛ ويعلق المؤرخ ميشو على ردود فعل تلك الحلمة بقوله : « ومنذ ذلك الحين كان المـــوت والرعب هما اللذان يحرسان أبواب بيت المقدس » (٢).

وخلال عامى ١٠١٥ و ١٠١٦م (٦ ٤ و ٤٠٧هـ) قامت جنوة بالتعاون مع بيزا بحملة صليبية بحرية جديدة ضد سردينيـــا (٣) تم فيها تدمير أسطول الأمير مجاهد وطرده من الجزيرة (٤) . وفى عام ١٠٣٤م / ٤٢٥هـ امتلك الجنوية والبيازنة مدينة بونا Bona على الساحل الأفريقى ، وفى عام ١٠٦٢م/٤٥٤هـ هاجم البيازنه ميناء الرمو Balermoودمروه ، وفى عام ١٠٨٧م/٤٨٠هـ هاجمت أساطيل جنوة وبيزا المتحالفة مدينة المهدية بتشجيع من البـابا فيكتور

---

(١) Michaud, op. cit, I,p.17; Lacroix, op. cit., p. 152 ff.

(٢) Michaud, Ibid.

(٣) Pirenne, Medieval Cities, P. 63; Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 266; Encyc. Brit. Vol. X, p. 118 f.

(٤) هو الأمير مجاهد بن يوسف العامرى أمير دانية؛ كون أسطولا قويا وهاجم به جزر البليار وضمها إلى أملاكه عام ١٠١٤م/٤٠٥ هـ؛ وفى عام ١٠١٥م/٤٠٦هـ هاجم سردينيا بأسطول من ١٢٠ سفينة وعاد بغنائم عظيمة كما أبحر إلى سواحل إيطاليا وهاجم مدينة لونى وسواحلها؛ إلا أن أساطيل جنوة وبيزا اصطدته وطردته من سردينيا ، ولسوف يظل أسطوله قوى الجانب حتى وفاته عام ١٠٤٤م/٤٣٦هـ . انظر : لويس : القوى البحرية ، ص٣١٣–٣١٤ .

الثالث (١٠٨٦ - ١٠٨٧م) (١).

إن الحملة التى قام بها الجنوية بالتعاون مع البيازنة والملك بوسون على الشام من ناحية، وحملتهم مع البيـــازنة على الشمال الافريقى من ناحية أخرى، يمكن اعتبارها حملات صليبية بمفهومها الصحيح . فلقد قاتلت فيها أساطيل جنوة وبيزا المسيحيتين - بتحريض من البابوية - ضد الإسلام يدفعها الحماس الدينى والتعصب الأعمى ضد المسلمين عامة والفواطم بصفة خاصة، فضلا عن الرغبة فى الانتقام لما واجهها من كوارث على أيدى الفواطم والقراصنة المسلمين من قبل. وهكذا اعتبر الجنوية والبيـــازنة أنفسهم جند المسيح والكنيسة وأعداء الإسلام (٢) . وبهذا كانت نفوس الجنوية قبيل الحملة الصليبية الاولى مهيئة للإسهام فى تلك الحرب المعادية للإسلام . تدفعهم رغبة جامحة فى الثأر من كل مسلم ، تلك الرغبـــة الشريرة التى تحكمت فى نفوسهم منذ أول غارة فاطمية إسلامية دمرت مدينتهم فى السنين السابقة .

ورغم ذلك الشعور العدائى سعى الجنوية إلى كسب ود الفواطم حفاظاً على مصالحهم الاقتصـــادية ، ولتكوين مراكز تجارية لهم فى الشام ومصر مساوية لمراكز البنادقة والأمالفيين الذين كانت تجارة المتوسط آنذاك شبه محصورة

---

(١) Pirenne, Medieval Cities, p. 630f; also. Chalandon, Histoire de la lere. Croisade, P. 12; Salvatorelli, L., A Concise History of Italy from pre-historic Time to our Day, Trans. by Bernard Miall, London, 1940, pp. 168 f.; Beazley, The Dawn of Modern Geography; II, p 418;

للاستزادة انظر: السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج٢، ص٦٧٥-٦٧٦.

(٢) Pirenne, Medieval Cities, p. 63.

بأيديهم (١) . ونجح الجنوية فى عقد معاهدات تجارية مع الفواطم ، وكانت سفنهم تقلع وتبحر من وإلى موانى مصر والشام قبيل الحملة الصليبية الأولى . يؤيد ذلك ماذكره وليم هايد من أن جيسولف Gisulf أمير سالرنو (١٠٥٢-١٠٧٧م) كان مرارا ماتسيطر عليه رغبة ملحة فى أسر السفن الجنوية أو البيزية المبحرة أمام سالرنو ، فاضطرت تلك السفن للإبحار عبر خليج مسينا وهى فى طريقها إلى مصر أو الشام (٢) . كذلك توجد إشارة للمؤرخ الجنوى كفارو إلى أن رحلة الحج التى قام بها جودفرى دى بويون بصحبة كونت دى فلاندر وعدد آخر من النبلاء قد تمت على ظهر سفينة جنوية (١٠٨٣ - ١٠٨٥م) تسمى بوميلا Bomella أبحرت للاسكندرية وعادت به فى رحلة العودة (٣) .

ومهما كان الأمر فتلك الروايات تؤكد حقيقة قوة الوجود الجنوى بمصر والشام الفاطميتين . ولا شك أن نمو جنوة ونهضتها سياسيا واقتصاديا هى

---

(١) عن الأمالفيين ونشاطهم التجارى فى مصر والشام وجهود الجنوية وغيرهم من الايطاليين اللحاق بهم انظر :

Heyd, Histoire du Commerce, I, pp. 104f., 124f.; Michaud, op. cit, 1, p. 16; Cons, Precis D'Histoire du Commerce, t. I, p. 109.

(٢) Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 124.

(٣) Cafari De Caschifelone, Liberatione Civitatum Orientis liber, P.H.C. - H. Occ., t. V, p. 47 f.

لمزيد من تفصيلات تلك الرحلة وأسبابها ونتائجها الهامة انظر كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١-١٢٩١م/٥٦٧-٦٩٠هـ) ، ص ٨٨-٩٧ والحواشى .

وغيرها من المدن الإيطالية يعزى إلى تجارتهم المربحة مع الشرق،كما يرجع أيضاً إلى الدفعة القوية التى أحدثتهـا الحروب الصليبية للتجارة . ومع الثروة جاءت القوة وأصبحت كل المدن الإيطالية ذات سمات مميزة وحكومات مدن محلية ذاتية الحكم خاضعة اسميا للبابا أو الإمبراطور (١) .

ومن استعراضنا لأحوال جنوة قبيل الحرب الصليبية الأولى وبعدها يصدق القول : « إن الجنوية كانوا صليبيين عتـاة وشاركوا الأمم المسيحية الأخرى أهدافها فى الحروب الصليبية » (٢) . لذلك لم يكن إسهام الجنوية فى الحروب الصليبية بأساطيلهم أمراً جديداً ، ولكن الجديد هو ما حققه الجنوية من ربح ومنفعة ذاتية (٣). مما يوضح الروح المادية التى سيطرت على جنود جنوة،ويفسر ما قاموا به من مذابح دامية ضد سكان المدن الإسلامية وحامياتها الفاطمية أثناء مهاجمتهم لها وإغمادهم سيوفهم فى القلوب ؛ وقطع الرقاب بلا تفرقة أو تمييز بين شاب أو شيخ أو كهل أو طفل أو إمرأة . وهذا ما ستكشف عنه الفصول التالية .

وإذا ألقينا نظرة عامة على أحوال إنجلترا آنذاك نجد أنها كانت تحت سيطرة النورمان الذين كان فتحهم للجزيرة عام ١٠٦٦ م أخطر من مجرد كونه غزوة حربية قام بها فريق من المغامرين لاحتلال بلد من البلاد وإدخاله تحت حكمهم (٤) . فبعد أن احتلها وليام الفاتح انشغل طوال حكمه (١٠٦٦ -

---

(١) Myers, Medieval & Modern History, p. 157.

(٢) Bent, Genoa, p. 17.

(٣) Bertolini, Storia d'Italia, P. 560.

(٤) Adams, G., The History of England (1066—1216), London, 1905, vol. II, pp. 1f.

١٠٨٧م) بتوحيد شبه الجزيرة وإخضاعها لحكمه وتخليصها من أدران النظام الإقطاعى السائد بأوربا (١) .فلقدقضى وليام الفاتح عهده مشغولا بإخماد ثورات الساكسون والنورمان الحاقدين عليه مما عوقه عن تحقيق إصلاحاته المرجوة . وبموته خلفه ابنه الأوسط وليام روفوس William Rufus (١٠٨٧ - ١١٠٠ م) على العرش (٢) . وحكم ابنه الأكبر روبرت مقاطعة نورمانديا،وكرس ابنه الأصغر حياته لخدمة الكنيسة . وبهذا انقسمت المملكة الأنجلونورمانية وتصارع الاخوان وغزا كل منهما أملاك الآخر.وأحدث أنصار روبرت الانقسام فى البلاد (٣) وكان النصر فى النهاية حليف وليام الثانى روفوس،فهاجم نورمانديا وهزم أتباع أخيه فى فبراير ١٠٩١م وألحق بهم هزيمة ثانية فى عام ١٠٩٤م (٤).وأخيراً فى عام ١٠٩٦م حل روبرت الصليب للإسهام

---

(١) ارجع فى ذلك الى :

Atiya, Grusade, Commerce & Culture, P. 49; LaMont, The World of Middle Ages, pp. 298 ff.; Adams, op. cit., p. 1ff.; Stephenson, op. cit., p. 249 ff.; Thatcher, O. and Schwil, F., A General History of Europe, part I (350 - 1500), London 1925, p. 72 ff. cf. also.

محمد الشيخ ، الممالك الجرمانية فى أوربا فى العصور الوسطى ، ص ٢٩٠ وبعدها .

(٢) Atiya, op. cit., p. 49. من الثورات التى واجهت [illegible]

لإخمادها انظر : LaMonte, op. cit., p. 298.

(٣) LaMonte, op. cit., p. 302. للاستزادة عن أحوال انجلترا عقب وفاة وليام وتصارع ابنائه انظر : Adams, op. cit., p. 72ff.

(٤) LaMonte, op. cit., p. 302, Adams, op. cit., p.p. 88,98.

فى الحملة الصليبية الأولى بعد أن رهن نورمانديا لدى أخيه وليام مقابل عشرة آلاف مارك أخذها مقدما ، ورحل فى طريقه إلى البيت المقدس وسيطر وليام على نورمانديا (١) . ولم يساهم وليام فى الحركة الصليبية . ويعلق الأستاذ عزيز سوريال عطية على ذلك بقوله « إن وليام الثانى لم يكن من الكفاءة بحيث يستطيع أن يرث عظمة والده أو أن يقوم بأبعد من توريط نفسه فى حرب بأراض بعيدة عن انجلترا » (٢) .

أما فرنسا فقد كانت فى أواخر القرن الحادى عشر تقع تحت سيطرة البارونات والأمراء الإقطاعيين كنتيجة منطقية لضعف الملكية حيث كان الملوك الأربعة الأول من أسرة كابيه (٩٨٧ - ١١٠٨م) ضعافا ولا سلطان لهم أمام كبار السادة الإقطاعيين (٣) . ومهما كان من أمر ، فقد برهنت الملكية الفرنسية والدويلات الإقطاعية الدائرة فى فلكها على أن فرنسا كانت الأرض الصلبة التى أقام عليها أوربان الثانى دعوته للحرب الصليبية ضد الشرق الإسلامى ، ففيها دبر أمر الدعوة لها . وفى مقاطعة أوفرنى Auvergne فى مؤتمر كلير مونت خاطب النبلاء الفرنسيين بالفرنسية ، واعتبر الجميع تحذيراته من وحى سماوى ، ورددوا الصيحة المشهورة « Deus Le volt » أى « تلك ارادة الله » (٤) .

وفيما يختص بشبه جزيرة أيبريا ، فمن الملاحظ أن دويلات الشمال المسيحية

---

(١) Adams, op. cit., 104 f.; Tout, The Empire & the Papacy, p. 181; LaMonte op. cit., p; 302.

(٢) Atiya, Crusade, Commerce & Culture, P. 49.

(٣) عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

(٤) Atiya, Crusade, Commerce & Culture, p., 51.

الممثلة فى ليون وقشتاله، وأرغونة ونافار، وأستريا بالإضافة إلى كونتية البرتغال الناهضة، قد اتحدت لقتال المسلمين فى حرب صليبية بالأندلس(١) اعتماداً على ما يرد إليها من مساعدات من البلاد المسيحية المجاورة بصفة عامة، ومن فرنسا بخاصة بتأييد من البابوية (٢). وفى عام ١٠٨٥ م نجح الملك ألفونسو السادس (١٠٦٥ - ١١٠٩م) (٣) فى تحرير مدينه طليطله من أيدى المسلمين بمعاونه فرسان فرنسا وبرجنديا وملك أراجـــون وأمراء سيفيل Seville وفالنسيا Valencia (٤). وهنا تنبه أمراء الطوائف (٥) لخطورة القشتاليين، وبمساعدة يوسف بن تاشفين كبير المرابطين وتحت رايته قاتل المرابطون وأمراء المغاربة

---

(١) جوزيف نسيم : العرب والروم، ص ١٤٨ . وأيضا:

Atiya, op. cit. p. 50.

(٢) جوزيف نسيم : شرحه . وأيضا انظر .Atiay, Ibid

(٣) يصف الأستاذ لامونت ألفونسو بأنه واحد من أعظم ملوك الحروب الصليبية الأسبانية . فلقد استطاع توحيد مملكة والده فريدناند (١٠٣٣ – ١٠٦٥م) بعد صراع رهيب مع أخويه استمر لمدة سبع سنوات (١٠٦٥-١٠٧٢م) . انظر:

LaMonte, The world of Middle Ages, p. 288.

وللاستزادة من حروب ألفونسو ضد المسلمين باسبانيا انظر :

Dozy, R., Spanish Islam, trans. by Francis Griffin Stock, London 1913, pp. 674, 676ff., 685, 690–98, 706–13, 724; Watts, H.E., Spain, London 1893, pp. 59—70.

(٤) LaMonte, The World of the Middle Ages p. 288; Watts, Spain, p. 66; Dozy, Spanish Islam, p. 692 ff.

وأيضا انظر : عاشور : أوربا العصور الوسطى، جـ١، ص ٥٤٤ .

(٥) Atiya Crusade, Commerce & Culture, p. 50; Dozy, op. cit., pp. 694 ff.

معاً، وهزموا ألفونسو السادس والقشتاليين هزيمة نكراء فى موقعة الزلاقة (١) (٢٢ - ٢٣ أكتوبر ١٠٨٦ م / ١١ - ١٢ رجب ٤٧٩ هـ) ؛ وهرب ألفونسو مع عدد قليل من فرسانه بعد المعركه (٢) ، وهنا هب أوربان الثانى داعيا نبلاء فرنسا لنجدة ألفونسو وتعضيد الحرب الصليبية الأسبانيه (٣) .

وما أن حلت سنه ١٠٩٥م/ ٤٨٨ هـ حتى كانت شبه الجزيرة الأيبرية مقسمة فيما بين الأسبان المسيحيين بالشمال، والأفارقه والأندلسيين المسلمين فى الجنوب، دون أن تحقق أى من القوتين نصرا حاسما على الأخرى وذلك لتوازن قواهما (٤) . ولا شك أن تقدم المرابطين كان له أثره فى شغل شعوب أيبريا المسيحية وصرف نظرهم عن التفكير فى القتال فى جبهتين متباعدتين، مما يعلل عـــدم مساهمة الأسبان فى الحملة الصليبية الجديدة على الشام (٥) . ويفسر أيضا السبب فى أن البابوات لم يعفوا الأسبان من الإسهام فى الحملة الصليبية على الشرق فحسب ؛ بل دعوا الفرنسيين والنورمان لمساعدتهم فى تحرير بلادهم مـــن المسلمين أيضا (٦) .

---

(١) LaMonte, op. cit., p. 288f. وعن ردود الفعل بعد سقوط طليطلة وموقعة الزلاقة ونتائجها انظر:

Boase, T.S.R., Kingdoms & Strongholds of the Crusaders, London 1971, p. 13; Atiya, op. cit., p. 50f.; Dozy, op. cit., p. 292ff.; Watts, op. cit., p. 66ff.

(٢) Watts, op. cit., p. 67f.

(٣) Atiya. op. cit., p. 51.

(٤) Setton, A History of the Crusades, I, p. 39.

(٥) Atiya, op. cit., p. 51; Setton, op. cit., I, p. 20f.

(٦) Atiya, op. cit., p. 50.

وإذا كنا قد استعرضنا أحوال كل من الشرق الإسلامي والغرب المسيحي في تلك الفترة من الزمن، فمن الأهمية بمكان الإشارة إلى أحوال الإمبراطورية البيزنطية، وهي الدولة التي أصابتها المحن ابتداء من القرن الحادي عشر فصاعدا . فما أن مات الإمبراطور باسيل الثاني (١) (٩٧٦-١٠٢٥م) حتى سادت الإمبراطورية فترة من المآسي والانحلال استمرت لمدة قاربت من سبعة وخمسين عاما كانت أثناءها الحكومة ضعيفة وتعددت الحروب الأهلية، وأهمل الجيش ونقص عدده، وترتبت على ذلك نتائج خطيرة تمثلت في فقـــدان الإمبراطورية كل ممتلكاتها في جنوب إيطاليا الذي خضع لسيادة النورمان . كما ذاقت الهزيمة على أيدي أعدائها الجدد الأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى(٢). وباختصار امتلأت تلك الفترة من تاريخ الإمبراطورية بحكم النساء وإغارات البرابرة في البلقان وتقدم النورمان في إيطاليا ، وتوسع الأتراك السلاجقة في الأناضول (٣) . وبوفاة الإمبراطورة ثيودورا (١٠٥٤ - ١٠٥٧ م)انقرض البيت المقدوني وبدأت فترة جديدة من القلاقل انتهت بانتصار الجيش على رجال البلاط وتربع إسحاق كومنين على العرش (١٠٥٧ - ١٠٥٩ م) . وظلت تلك الاضطرابات

---

(١) عن باسيل الثاني وعصره وما بعده انظر :

Vasilieve, Histoire de L'Empire Byzantine, I, p. 463.; Ostrogorsky, History of the Byzantin State, pp. 283f., 315f.

(٢) عن الأحداث التي تلت موت باسيل الثاني ، حتى سقوط الأسرة المقدونية بوفاة الامبراطورة زوى Zoe وثيودورا Theodora انظر :

Ostrogorsky, op. cit., pp. 283—98; Diehl, History of the Byzantin Empire, pp. 104—110; Vasilieve, op. cit., I, pp. 463 ff.; Hussey, The Byzantin World, p. 41 ff.

(٣) Vasilieve, op. cit., 1, p. 466.

هى السمة الأساسية لتلك الفترة مما ساعد على انهيار قـــوى الإمبراطورية فى الداخل والخارج . ففى الداخل كانت السلطة واللقب الإمبراطورى ينتقلان تارة إلى أيدى الجماعات البيروقراطية، وتارة أخرى الى أيدى الجماعات العسكرية (١) .

فقامت الحروب الأهلية وأصبحت الخزينة خالية ، وعمت الفوضى وانتهز الأعداء الفرصة واشتعلت الحروب مع البجاناكية أو البتشينيج وغيرهم من العناصر مثل الكومان والسلاجقة (٢). وبموت قسطنطين العاشر (١٠٥٩ - ١٠٦٧م) خلفه رومانوس الرابع ديوجينيس (٣) (١٠٦٧ - ١٠٧١م) ومعه بدأت المصائب تحيط بالإمبراطورية من كل جانب وبدأ نجمها فى الأفول (٤) .

ففى الغرب واصل النورمان زحفهم فى إيطاليا وبسقوط بارى (١٥ أبريل ١٠٧١ م) طرد البيزنطيون من إيطاليا وتقلص نفوذهم فى البحر المتوسط وظهر النورمان كقوة بحرية جديدة بالمنطقة (٥) . وفى نفس العام أصيبت الإمبراطورية بضربة قاضية لم تفق بعدها مطلقا وهى تتمثل فى الهزيمة التى لاقاها الإمبراطور رومانوس الرابع على يد ألب أرسلان فى ملازكرد (١٠٧١ / ٤٦٣هـ) . وفيها خسرت الإمبراطورية جيشها وأســـر الإمبراطور ، وأصبحت الإمبراطورية وعاصمتها يتهددها السلاجقة فسارعت العناصر البيروقراطية بتتويج ميخائيل السابع دوكاس بن قسطنطين (١٠٧١ — ١٠٧٩م)

(١) LaMonte, The world of Middle Ages, p. 322.

(٢) من تلك الأحداث والأخطار التى سادت الامبراطورية وهددتها انظر :
LaMonte, op. cit., p. 322; Ostrogorsky, History of the Byzantin State, p. 398 ff.

(٣) LaMonte, op. cit., p. 323.

(٤) LaMonte, Ibid.

(٥) حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى ، ط ٢، القاهرة ١٩٥٨، ص ٤٧ .

تحت وصاية عمه حنا دوكاس(١).وفى عهده توالت الهزائم فى الخارج والداخل حيث اكتسح البلغار والصرب معظم البلقان ، وواصل السلاجقة زحفهم بآسيا الصغرى (٢) وأسسوا سلطنة الروم المعروفة باسم سلطنة قونية التى كانت خطرا على الإمبراطورية (٣) . كذلك تعددت الثورات بالداخل مثل ثورة روسيل دى باليول Roussel de Ralliol عام ١٠٧٤م (٤) . وظلت تلك الاضطرابات هى السمة الأساسية لتلك الفترة مما أدى إلى انهيار قوى الإمبراطورية فى الداخل والخارج . وأخذت الأوضاع تسير من سىء إلى أسوأ حتى قيام الأسرة الحاكمة الجديدة ممثلة فى شخص ألكسيوس كومنين الذى يعتبر أبرز شخصيات الفترة . ففى عام ١٠٨١م زحف على القسطنطينية وعزل نقفور الثالث(١٠٧٩ - ١٠٨١م) آخر أباطرة أسرة دوكاس واعتلى العرش البيزنطى (١٨٠١ - ١١١٨ م)(٥) المتداعى المحدقة به الأخطار من كل حدب وصوب . ووجد نفسه بلا جيش ولا مال يمكنه بهما الدفاع عن البلاد (٦) .وبما عرف عنه من دبلوماسية ومقدرة

---

(١) LaMonte, The World of Middle Ages, p. 323.

(٢) LaMonte, Ibid.; Hussey, The Byzantin World, p. 50.

(٣) Vasilieve, Histoire de L'Empire Byzantine, 1, p. 471
cf. LaMonte, op. cit. p. 323; Treece; op. cit. p. 58.

(٤) LaMonte, Ibid.

(٥) عن تلك الأحداث بالتفصيل انظر :
Anna Comnena, The Alexiad, trons. by Elizabeth A. S. Dawes, London, 1928, pp 65. ff., 71ff.

(٦) LaMonte, op. cit., P 324; Runciman, A History of the Crusades, 11, p. 14.

على ضرب أعدائه بعضهم ببعض (١)، بدأ يعيد بناء الإمبراطورية على أسس وطيدة . وبلا جدوى سعى للتحالف مع البابا الرومانى جريجورى السابع أو مع الإمبراطور الألمانى هنرى الرابع ؛ لمواجهة خطر النورمان المحاصرين لمدينة دورازو وصد خطر الأتراك السلاجقة (٢) الذين كانوا يهددون عاصمته . وهنا اتجه ألكسيس إلى البنادقة وتحالف معهم بعد أن منحهم امتيازات تجارية واسعة بأنحاء الإمبراطورية . وحقق البنادقة أول نصر له بتدمير الأسطول النورمانى فى جنوب الإدرياتيكى (٣) ؛ كما استعادوا مدينة دورازو من النورمان، وطارد ألكسيس النورمان غربا . وبموت روبرت جيسكارد (١٠٨٥ م) وضعت خاتمة لهجمات النورمان وتراجعوا القهقرى إلى ايطاليا . وفى نفس الوقت كان

---

(١) عن طفولة ألكسيس وصفاته وأوصافه انظر :

The Alexiad, op. cit., pp. 7 ff., 76 ff.

وللاستزادة عن الأخطار المحدقة بالامبراطورية آنذاك انظر :

Stephenson, Medieval History, P; 294 ff. ; Vasilieve, Histoire de L'Empire Byzantine, II p. 1f., 7ff ; Tout, The Empire & the Papacy, pp. 173ff.; Diehl, History of the Byzantin Empire, p. 111f.; Ostrogorsky, History of the Byzantine State, pp. 307 ff.

(٢) أوردت الأميرة أنا كومنينا نص الرسالة التى أرسلها والدها يستنجد بالامبراطور الألمانى . انظر : The Alexiad, op. cit., p. 91 ff.

للاستزادة انظر : LaMonte, op. cit., p. 324; Ostrogorsky, op. cit., p 317.

(٣) The Alexiad, op. cit., p. 100. للاستزادة انظر : LaMonte

Ibid.; Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 117ff ; Wiel, A.; Venice, New York. 1894, p. 78 ff.

ألكسيس يواجه عدة مشاكل بالبلقان بالإضافة إلى ثورة جماعة من المراطقة(١) في مقدونيا. كما ثار البجاناكية ضده واجتاح البرابرة بلغاريا وهزموا ألكسيس في ديسترا Distra عام ١٠٨٧م(٢). وفي عام ١٠٩١ م استطاع أن يثأر لهزيمته، وبالمال والهدايا ألحق الهزيمة بالبجاناكية فوهنت قواهم حتى أواخر حكمه(٣).

وفي آسيا الصغرى كان السلاجقة يواصلون زحفهم وبلغوا منطقة المضايق واحتلوا نيقية ونيقوميدية (٤). ويموت السلطان سليمان بن قتلمش (١٠٨٥م/ ٤٧٨ هـ) ضعف السلاجقة وانقسمت دولة الروم السلاجقة بآسيا الصغرى (٥). فاستغل الكسيس الفرصة واستعاد مدينتى نيقوميدية وقزيقوس (٦). هذا، ورغم ما حققه من انجازات فقد ساءت أحوال الإمبراطورية بآسيا وأوربا، وكانت سببا معقولا لجعل ألكسيس يوجه نداءه المشهور إلى كل من روبرت أوف

---

(١) LaMonte, The World of Middle Ages, p. 324; Tout, The Empire & the Papacy, P. 174.

(٢) The Alexiad, op. cit., p.173; La Monte, op. cit., Loc. cit.

(٣) LaMonte, Ibid.; Hussey, The Byzantine World, p. 53.

وللاستزادة عن البجاناكية والنورمان انظر:

Vasilieve, Histoire de L'Empire Byzantine, I, pp. 272 f. 473ff.

(٤) The Alexiad, op. cit., p. 93f.; LaMonte op. cit., p. 324

(٥) The Alexiad, op. cit., p. 155; LaMonte op. cit., p. 325 Hussey, op. cit., p. 53.

(٦) The Alexiad, op. cit., pp. 156 f., 163 cf. also, LaMonte op. cit., p. 324 f.

فلاندرز والبابا أوربان الثانى لنجدته بالمرتزقة ضد السلاجقة(١) ؛ كى يستعيد أملاكه بآسيا الصغرى وينقذ الإمبراطورية وأهلها وكنائسها من الأخطار المحيطة بها . وهكذا كان لاستغاثة ألكسيس بالبابوية الأثر فى إشعال فتيل الحرب الصليبية الأولى (٢) التى تركت بصماتها على طبيعة العلاقات بين جنوة والفاطميين فى مصر.

تلك كانت أوضاع أوربا بعامة قبيل بدء تحرك الحملة الصليبية الأولى نحو الشرق الأدنى الإسلامى . الغرب الأوربى كله فى حالة من الفوضى والاضطرابات وقد انهارت اقتصادياته ، وساءت أحواله الاجتماعية والسياسية ؛ وعجزت الكنيسة عن تعديل تلك الأوضاع حيث كانت هى ذاتها تعانى من الانحلال ، وبحاجة إلى الإصلاح ؛ وسرعان ما بدأت صحوة أوربا مع بداية القرن الحادى عشر، تلك التى مست جميع مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كما كان لها أثرها على الكنيسة التى سعت إلى استنفاد الطاقة الناشئة عن تلك الصحوة فى توجيه أول حملة صليبية ضد الشرق ، متخذة من استغاثة البيزنطيين ستارا أخفت خلفه أهدافها الحقيقية فى السيطرة والزعامة والتوسع فى الشرق الأدنى الإسلامى وتملكته قهرا بحد السيف ، مستغلة أحوال العالم الإسلامى السيئة وقواه المتصارعة وقتها؛ يؤيد ذلك أن ما طلبه ألكسيس كان جيشاً من المرتزقة كى يستخدمه ضد السلاجقة بالأناضول ؛ إلا أن ما أرسلته البابوية من

---

(١) The Alexiad, op. cit., p. 199; Heer, F. The Medieval World, New York, 1962, p. 126.

(٢) Thomposon, J.W., History of the Middle Ages, London, 1931, p. 198.

مدد كان يمثل الحملة الصليبية الأولى (١) ، التى رحبت بها جنوة والمدن الإيطالية الأخرى سعيا وراء الثروة، والحرب فى أعتقادهم هى أقصر الطرق الموصلة إليها (٢)، مما يفسر تطاحن الجاليات الإيطالية فيما بينها جريا وراء الامتيازات التجارية والإسراع بتقديم المساعدات للصليبيين بحجة حماية الضريح المقدس فى الظاهر ، بينما كانت تسعى تلك المدن وبخاصة مدينة جنوة إلى تأمين طريق التجارة أمام بنى جلدتها ، وتوطيد دعائم وجود جالياتها فى الشرق لإحراز قصب السبق فى مضمار الزعامة فى ميدان التجارة العالمية على منافسيها . وكانت النتيجة الحتمية لتلك المساعدات أن نجح الفرنج فى أكتساح القوى الإسلامية المتصارعة وتكوين إماراتهم فى الشرق على أنقاض أملاك الفواطم والسلاجقة بالشام . وغنى عن القول أنه لولا ذلك الدور الذى قامت به المدن الإيطالية بعامة ومدينة جنوة بصفة خاصة، ما استطاع الصليبيون احتلال الشام والسيطرة عليه ولو لمدة عام واحد (٣) . هكذا ، ومن خلال الصراع الصليبى الإسلامى سيبرز دور الجنوية وتتضح حقيقة علاقاتهم بالفواطم ، كمرحلة من أهم مراحل الصراع المرير بين الشرق الاسلامى والغرب اللاتينى إبان الحقبة الوسيطة من تاريخ العصور الوسطى. وهذا ما ستكشف عنه الفصول التاليه بإذن الله .

---

(١) LaMonte, The World of the Middle Ages, P. 325 cf. also : Larousse Encyc. of Byzantine & Medieval Art, trans. from the French by Emily E., Dennis G. & others, London 1974, p. 395.

(٢) ديفز : أوربا فى العصور الوسطى ، ترجمة عبد الحميد حمدى ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ٢٢٢–٢٢٤ .

(٣) Stevenson, W.R.: The Crusaders in the East, Cambridge 1968, p. 5f. cf.; Pirenne, Economic & Social History, p. 31.

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين امنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين »

« الأنفال : ٤٥-٤٦ »

الفصل الثاني

الحملة الصليبية الأولى وموقف جنوة منها

حتى سقوط أنطاكية فى ٢٨ يونيو ١٠٩٨م / ٢٥ رجب ٤٩١هـ

- دور جنوة فى الصراع بين الشرق والغرب قبيل الحملة الصليبية الأولى.
- أسباب إسهام جنوة فى الحملة الصليبية الأولى.
- اكتساح السلاجقة الشام وآثاره على نشاط جنوة التجارى بالشرق.
- مؤتمر كليرمونت وموقف الجنوية منه - رسالة أوربان إلى حكومة جنوة ونتائجها.
- الجنوية وحملة العامة - الجنوية وحملة الأمراء.
- سقوط نيقية ووقعة دوريليوم ونتائجها - حصار أنطاكية وسوء أحوال الصليبيين.
- وصول الأسطول الجنوى إلى ميناء القديس سيمون.
- موقف الفواطم من الصراع السلجوقى الصليبى.
- سفارة الأفضل للصليبيين أمام انطاكية.
- دور وليام إمبرياكو وجنوده الجنوية فى سقوط أنطاكية ونتائجه.
- اتفاقية ١٤ يوليو ١٠٩٨م وأثرها على دور جنوة فى الصراع الصليبى الإسلامى.

لا مراء أن سكان المدن الإيطالية بصفة عامة وأهالى جنوة بخاصة كان لهم دور ملموس فى الحركة الصليبية . وإذا كانت المصادر والمراجع من أجنبية وعربية قد أفاضت فى الحديث عن تاريخ الحملة الصليبية الأولى من ناحية وكذلك أحوال الدولة الفاطمية فى مصر والشام منذ قيامها إلى حين سقوطها من ناحية أخرى ، فلا يزال الغموض يكتنف الدور الذى قام به الجنوية فى تلك الحملة . وإذا استثنينا بعض الروايات والحقائق التاريخية التى أثبتها المؤرخ الجنوى المعاصر لأحداث تلك الفترة من الزمن وهو كفارو الكاسكيفلونى « Cafari De Caschifelone » فى حوليته المعروفة بإسم « تحرير مدن الشرق » « De Liberatione Civitatum – Orientis Liber » وكذلك مارواه أحد المؤرخين الغربيين المحدثين وهو جوزيف فرانسوا ميشو « J. F. Michaud » فى موسوعته « تاريخ الحروب الصليبية » وما جاء فى كتاب ثيودورج . بنت « Theodore G. Bent » المعروف بإسم « جمهورية جنوة : كيف قامت وسقطت » « Genoa, How the Republic Rose and Fell » وما جاء من إشارات لدور جنوة فيما دونه وليام هايد « William Heyd » فى كتابه المشهور « تاريخ التجارة فى حوض البحر المتوسط فى العصر الوسيط » « Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age » إذا استثنينا ما جاء فى هذه المصادر والمراجع ، فإننا لا نجد كتبا أخرى تشير بالقدر الكافى إلى جنوة ودورها فى الحملة الصليبية الأولى ، والعوامل التى دفعتها إلى الإسهام فيها لتحقيق أطماعها التى اتضحت فى علاقاتها بعصر الفاطمية منذ بداية الحركة الصليبية ، بل وقبل قيامها بوقت غير قصير (١) ، والتى ستظل حجر الزاوية فى

---

(١) ارجع الى الفصل الأول ص ٧٩ وبعدها .

سياستها الخارجية ـ سواء فى المجال السياسى أو الاقتصادى ـ مع الدولة الفاطمية حتى سقوطها عام ١١٧١م / ٥٦٧هـ .

ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن ما اشتملت عليه المصادر والمراجع من غربية وشرقية ، خطية ومطبوعة لا يتعدى شذرات مبعثرة هنا وهناك لا تشفى غليل الباحث . ورغم ذلك فقد أمكن بعد الغوص فى بطون الأصول والمصادر معرفة بعض الحقائق التاريخية التى تلقى الضوء على دور جنوة فى تلك الحملة ، وموقفها من الصراع الصليبى الإسلامى وقتها ، ودورها الإيجابى فى خلق وتثبيت الوجود اللاتينى فى منطقة الشرق الأدنى .

ولكى نتفهم حقيقة ذلك الدور ينبغى العودة قليلا إلى الوراء لإلقاء الضوء بتركيز على البواعث العامة للحركة الصليبية . ومن خلالها يمكن الوصول إلى دور جنوة فيها وكيف اتخذتها قناعا تخفى وراءه حقيقة أهدافها .

تعتبر الحركة الصليبية مرحلة هامة من مراحل الصراع الدامى العتيق بين الشرق والغرب والذى تمتد جذوره إلى مئات السنين قبل قيام الحركة نفسها ، تلك الحركة التى أسهمت فيها جنوة وغيرها من المدن الايطالية بدور فعال(١). والنظريات والآراء عديدة حول بداية الحركة الصليبية .

---

(١) تعتبر الحملة التى قام بها الجنوية والبيازنة مع ملك أرلس على الشام فى أواخر القرن العاشر وأوائل الحادى عشر الميلادى حملة صليبية حقيقية ، وبالمثل حملة جنوة ـ بيزا المشتركة على المهدية ١٠٨٧م تعتبر حملة صليبية بالمعنى الصحيح انظر :
The Crusades, the Greek & Eastern Churches, the Religious Tract Society, Instituted 1799, London, (N.D.) P. 12 f.
وللاستزادة عن دور جنوة قبيل الحركة الصليبية أرجع الى الفصل الأول ص ٨٠-٨٦.

ولكن كيفما كان الأمر يلاحظ أنها سوف تخمد تارة وتنشط تارة أخرى إلى اليوم الذى استغاثت فيه الدولة البيزنطية بالغرب لنجدتها ضد الخطر السلجوقى (١) . وكاد البابا جريجورى السابع أن يقوم بحملة صليبية جديدة ضد الشرق لولا أن حالت مشاكله مع الإمبراطور فى الغرب دون إتمامها (٢) . إلا أن استعداداته للحملة أدت إلى إيقاظ النعرة الصليبية وإثارة روح الحقد والرغبة فى الثأر من المسلمين ، تلك الروح التى ظلت دفينة فى الصدور إلى أن حانت الساعة المحددة ؛ فكان ولابد أن تنطلق بكل ما فيها من كراهية وغضب ضد الشرق الأدنى الإسلامى (٣) . وهذا يفسر سرعة استجابة اللاتين لنداء أوربان لقتال المسلمين بدعوى نجدة المسيحيين فى الشرق وتحرير الضريح المقدس . وهكذا انتهز البابا فرصة استغاثة إمبراطور بيزنطة ألكسيس كومنين لإيقاظ روح العداء الكامنة فى الغرب الأوربى ضد المسلمين . كما استغل رغبة الجنوية فى الثروة والكسب التجارى ؛ لتحقيق أحلامه بتوحيد الكنيستين الغربية والشرقية ، ونشر المذهب المسيحى الكاثوليكى فى العالم المعروف آنذاك بحد السيف (٤) .

---

(١) Alexiad, op. cit., P. 190.

(٢) Alexiad, op. cit., P. 33ff.; William to Tyre, op. cit., I, p. 85 ff.

(٣) The Crusades, the Greek & Eastern Churches, P. 13.

(٤) Barker, E, The Crusades, London, 1923, P. 5.

وعن أوربان وجهوده والأطماع الشخصية فى الحرب الصليبية انظر : جوزيف نسيم يوسف : الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية ، مجلة كلية الآداب — جامعة الاسكندرية ، العدد ١٦ ، ١٩٦٢ ، ص ١٨٣ — ٢١٢ .

ولقد اختلفت الآراء نتيجة لاختلاف المشارب والأهواء فى حقيقة البواعث التى أدت إلى قيام الحركة الصليبية ودور الجنوية فيها . فهناك عوامل دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية وشخصية انصهرت معا وتبلورت فى صورة الحركة الصليبية التى اتخذت شكل هجوم حربى استغلالى توسعى ضد الشرق الأدنى الإسلامى (١) . وموضوع الحروب الصليبية كحدث تاريخى عالمى ليس غريبا عن تاريخ إيطاليا بصفة عامة ومدينة جنوة بوجه خاص، وليس منفصلا عنه فى نفس الوقت . فلقد زودت إيطاليا الحركة الصليبية برجال أشداء ؛ وعن طريقها حققت شبه الجزيرة الإيطالية أرباحا طائلة قسمت فيما بعد بين الجمهوريات البحرية الإيطالية الثلاث : جنوة ، وبيزا والبندقية. تلك الجمهوريات التى كانت موانيها تزخر بالسفن الحربية والتجارية المتجهة إلى الشرق الأدنى الإسلامى ليس فقط من أجل الإستيلاء على الأراضى المقدسة ، بل أيضا من أجل تحقيق نصر تجارى . وعلاوة على الدور الخطير الذى قامت به هذه

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٢٥ . وعن الباعث الدينى والحج والرغبة فى السيطرة على الأماكن المقدسة انظر المصادر والمراجع الآتية :

Riant, A.O L, t. I, pp. 2, 22; William of Tyre, op. cit, I, pp. 56 ff.; cf also: Vasilieve, Histoire de L'empire Byzantin, II, p. 23f.; Iorga, N., Histoire des Croisades, p. 3ff.; Runciman, A History of the Crusades, I, pp. 38ff.

وبخصوص الباعث الاقتصادى وسوء أحوال اللاتين والغرب الأوروبى آنذاك انظر :

Boissonade, P., Life and Work in Medieval Europe, trans. from the French by B. Eillen, London, 1937, p.p.119ff, 139ff.; Cons, Precis d'Histoire du Commerce, t. 1, pp. 106f.

وللاستزادة عن النظام الاقطاعى وآثاره على المجتمع الأوروبى انظر :

Lacroix, La Chevalerie et Les Croisades, pp. 6ff.

الجمهوريات الثلاث ، فقد قدمت كل من لمباردیا وتوسكانيا وجنوبى إيطاليا للحروب الصليبية مساعدات لا يمكن إغفالها (١) . فالباحث فى تاريخ الحركة الصليبية يلحظ حماسا منقطع النظير من جانب المدن الإيطالية وبخاصة مدينة جنوة للإسهام فى تلك الحركة إما بنقل اللاتين إلى الشرق ، أو بنقل الأسلحة والإمدادات إلى الصليبيين ، وإما بالدفاع عن المدن الساحلية بالشام الخاضعة الصليبيين أو بالإسهام فى إحتلالها . والواقع أن جنوة كغيرها من مدن الغرب التجاريه لم تقدم تلك المساعدات حبا فى الدين بل جريا وراء مصالحها الاقتصادية الخاصة (٢).وحفاظا على ما تكسبه من التجارة الشرقية بواسطة جالياتها وفنادقها التى كانت تنتشر فى الاسكندرية ودمياط وغيرهما من الموانى والمدن الساحلية بمصر والشام قبيل قيام الحركة الصليبية (٣) .

ومن هذا المنطلق يمكن تفسير السبب الذى جعل جنوة تلقى بكامل ثقلها فى الحركة الصليبية منذ بدايتها ، وعلى أساسه يمكن الوصول إلى تحليل وتوضيح موقفها من الصراع الصليبي الإسلامى ، وبالتالى علاقتها بمصر خلال الفترة موضوع البحث .

سبق أن ذكرنا أن جنوة بدأت نهضتها البحرية والتجارية مبكرا مع بداية القرن الحادى عشر الميلادى (بداية القرن الخامس الهجرى)، واستطاعت السيطرة على مياه البحر التيرانى ونافست بيزا والبندقية فى نفوذها التجارى

---

(١) Bertolini, Storia d'Italia, p. 542. cf. also : Hitti, Ph., History of Syria, 2nd. ed., London 1957, p. 590.

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٣٥ وأيضا : Thomposon, J.W., Economic & Social History of the Middle Ages, I, p. 400.

(٣) Michaud, History of the Crusades, I, p. 11.

غربى البحر المتوسط . وبعد أن تذوقت حلاوة المكاسب التجارية التى حصلت عليها من المسلمين فى سردينيا وشمالى أفريقية وصقلية وأسبانيا، بدأت تؤمن بأن نشر المسيحية بالشام سوف يعود عليها بمنفذ تجارى هام يفتح الباب على مصراعيه أمام تجارتها الناهضة (١) . ولهذا سعت إلى كسب ود الفواطم والاستفادة من حسن نواياهم تجاه المسيحيين ، واستغلال تشجيعهم للتجارة ؛ فأقامت لها مراكز تجارية هامة بمصر والشام كانت تعود عليها بالربح الوفير . وظل الحال على هذا المنوال طوال الثلاثة أرباع الأولى من القرن الحادى عشر إلى أن قدم السلاجقة واكتسحوا آسيا الصغرى ثم الشام فالقدس وهددوا مصر ذاتها . وبدأ التجار الجنوية وغيرهم من التجار والحجاج الغربيين يلاقون المصاعب وسوء المعاملة من السلاجقة، مما أدى إلى تعويق حركة الحج وانحطاط التجارة وبالتالى تضييق الخناق على تجارة جنوة فى المنطقة (٢) . وعلى الفور بدأ الجنوية مثل غيرهم من التجار الغربيين ، ينشطون لمواجهة هذا الخطر الداهم. لذلك ، ونتيجة لصيحات الحجاج الغربين وهمسات وتذمر التجار الجنوية واللاتين الذين خربت تجارتهم ، فضلا عن مخاوف الإمبراطور البيزنطى من خطر السلاجقة، بدأ ينتشر فى الغرب الأوربى شعور بالرغبة فى التحرك المسلح لقتال السلاجقة . ومن هنا بدأ الجنوية ومعهم البنادقة والبيازنة يستعدون للإسهام فى

---

(١) Stevenson, The Crusaders in the East, p. 5.

وللاستزادة انظر : Michaud, op. cit., I, p. 40.

(٢) Ransom, C., History of England from the Earliest times to the Peace of Versaille 1919, London 1934, p. 51. cf. also : Conder, The City of Jerusalem, p. 276; Cons, Precis d'Histoire du Commerce, 1, p. 110.

الحركة الصليبية لاستعادة نفوذهم التجارى بالشرق (١) ، تحت ستار من الورع والتقوى هيأته ظروف الغرب اللاتينى وأوضاعه آنذاك. ولربما يعزى سوء معاملة التجار والحجاج اللاتين إلى عدم إدراكهم لأهمية التجارة(٢) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قد يرجع إلى رغبة مذهبية دفينة فى نفوسهم لتحطيم مصر الفاطمية الشيعية تجاريا ومحاربتها اقتصاديا تمهيدا لاحتلالها ، وذلك بخنق وتعويق النشاط التجارى للجاليات الثلاث الجنوية والبيزية والبندقية ، بالإضافة إلى الأمالفيين وتجار مارسيليا فى الشام ، وبالتالى وقف التعامل التجارى بينهم وبين إخوانهم بمصر ، وحرمان الفواطم من مصدر كبير للثروة ؛ مما يسهل عليهم مهمة الانقضاض على مصر وإزالة الدولة الفاطمية الشيعية .

ولقد كان من الصعب على التجار الجنوية وغيرهم الصبر على تحمل هذه الحرب الاقتصادية المدمرة لكيانهم التجارى ، بسبب انغلاق موانى الشام أمام سفنهم وتجارتهم . ولما كان التجار الجنوية واللاتين ليسوا كتجار اليوم تجارا فقط ، بل كانوا تجارا ومقاتلين فى آن واحد ؛ لذا تحتم عليهم حمل السلاح واصطحاب الحراس للدفاع عن أنفسهم وبضائعهم ، واستعدوا للتضحية بالنفس والنفيس وارتكاب جرائم القتل من أجل الحفاظ على تجارتهم والمكاسب الناتجة عنها (٣) .

وفى ضوء تلك الحقائق يمكن تفسير الدافع الذى حدا بالجنوية وغيرهم من

---

(١) Ransom, op. cit., p. 51f.; Cons, op. cit., I, p. 110f.; Conder, op. cit., p. 276; Treece, The Crusades, p. 59.

(٢) Ransom, op. cit., p. 51.

(٣) Treece, op. cit , p. 86 f.

التجار الإيطاليين إلى المساهمة فى حملة اللاتين الصليبية على الشرق الإسلامى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى . فلقد اشتركوا فيها بروح التاجر المقاتل المتفانى ، ليس حبا فى العقيدة ، بل من أجل مصالحهم الخاصة وثروتهم فى الشرق . ولهذا سادت نفوس الجنوية وإخوانهم من تجار الغرب روح عدوانية مدمرة ، مثلهم مثل اللصوص وقطاع الطرق والقراصنة الذين لم يكن لديهم ثمة وازع من ضمير . ولم تكن تأخذهم أية شفقة أو رحمة تجاه أعدائهم، مهما كان لون بشرتهم وأيا كانت نوعية عقيدتهم الدينيـــة حتى ولو كانوا مسيحيين مثلهم (١) . وباختصار ساهم الجنويون فى الحملة الصليبية الأولى منذ بدايتها ، لخوفهم على مكاسبهم التجارية فى مصر التى هددها الخطر السلجوقى الذى أوصد أسواق الشرق أمامهم ، وحرمهم من الثروة الطائلة التى كانت تنصب فى أيدى جالياتهم من جراء تعاملهم التجارى الناجح فى سلع الشرق فى كل من مصر وحلب وبغداد (٢) ، وغيرها من المدن والموانى الشرقية .

ومما يؤيد أهمية الباعث الاقتصادى كعامل أساسى دفع الجنوية للاسهام فى الحركة الصليبية منذ البداية ، ذلك الدور الذى قاموا به بالتعـــاون مع بقايا الفواطم فى مصر واللاتين فى الشام وتآمرهم معاً ضد صلاح الدين يوسف بن أيوب لإسقاطه وإعادة الحكم الفاطمى لشعورهم بأن تغيير حكم الفواطم سيضر

---

(١) Treece, The Crusades, p. 86ff., cf. also : Bent, Genoa, p. 24.

(٢) Treece, op. cit., p. 59. cf. also : Cons, Precis d'Histoire du Commerce, 1, p. 110f.

مصالحهم التجارية بمصر والشام (١) . زد على ذلك المعارك الوحشية التى قام بها الجنوية ضد بنى جلدتهم من جاليات المدن الإيطالية الأخرى من أجل الاستحواذ على المراكز التجارية والثروة فى الشرق (٢) .

وثمة باعث آخر دفع الجنوية للإسهام فى الحركة الصليبية ، الا وهو الرغبة الجامحة للثأر من المسلمين عامة انتقاما لما أصاب مدينتهم من تدمير على أيدى المسلمين قبيل القرن الحادى عشر ، مما أدى إلى خلق شعور بالحقد على كل ما هو إسلامى ، ومما دفعهم للتعاون مع البيازنة وغيرهم من اللاتين للقيام بحملاتهم الصليبية المشهورة ضد المسلمين فى الشام وشمالى أفريقية وأسبانيا (٣) .

ر . . . أن الباعث الاقتصادى الذى دفع جنوة للإسهام فى الحركة الصليبية

(١) ارجع الى : جوزيف نسيم : علاقة مصر بالممالك التجارية ، ص٨٢ وبعدها . ولقد ورد ذكر الجنوية ودورهم فى المؤامرة على حكم صلاح الدين فى تذكرته الى المستضىء العباسى . انظر نص المذكرة فى القلقشندى : صبح الاعشى ، ج١٣ ، ص٨١—٩٠ وعن تفصيلات تلك المؤامرات انظر : مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١—١٢٩١م/٥٦٧—٦٩٠هـ) ، ص ١٣٤-١٤٢ .

(٢) Bent, Genoa, p. 32.

(٣) فى عام ١١٤٦م أرسلت جنوة حملة بحرية من اثنى وعشرين سفينة حربية بقيادة «كبمارو» — وكان قنصلا آنذاك — لقتال المسلمين فى أسبانيا واستولى على جزيرة ميورقة وحاصر المرية . وفى عام ١١٤٩م عاود الجنوية حصار المرية بمساعدة ألفونسو السابع ملك قشتالة . وكما فعلوا وقت حصار أنطاكية وبيت المقدس «أظهر الجنوية كفاءة فى إقامة الأبراج ,وآلات هدم الأسوار مما كان له أثره فى سقوط المرية ٢٦ أبريل ١١٤٩م» وسلبوا وقتلوا وذبحوا السكان وخربوا المدينة . انظر :

Bent, Genoa, p. 98. وللاستزاده من تلك الحملة أنظر :

R.H.C., Hist. Occ., V. Perface, XVIII-XIX; Bent, p. Genoa, 97ff.

كان يحب العاملين النفسى والروحى لدى الجنوية لإيمانهم العميق بأن وجودهم فى موانى البحر المتوسط يعتبر مسألة حياة أو موت بالنسبة لمدينتهم ، خاصة بعد الفشل الذى أصـــابهم رغم جهودهم المضنية فى خلق موطىء قدم لهم فى مدينة القسطنطينية . لذلك ما أن سمعوا بدعوة أوربان حتى سارعوا بإرسال مندوبيهم لحضور المؤتمر ، استعدادا للمشاركة العملية فى الحرب الصليبية لتأكيد مكانة مدينتهم كمركز من أهم مراكز التبـــادل التجارى بين الشرق والغرب على مر القرون (١) . وبمثل هذه الروح المادية ساهم الجنويون فى الحروب الصليبية وقتل منهم عديدون ولكن مقابل ثمن غال (٢) . وإن كانوا قد قبلوا القيام بدور الحالين فى أول الأمر ، فسرعان ماسيتحول هؤلاء الحمالون إلى سادة . وعلى طريقة شيلوك البندقى سيمتص الجنوية دماء ســـادتهم الصليبيين حتى آخر قطرة (٣) .

وخلاصة القول أن الجنوية « جند المسيح وأعداء الإسلام » (٤) سيساهمون فى الحركة الصليبية تدفعهم الرغبة فى الانتقام من المسلمين السلاجقة وإعادة فتح وتأمين طرق التجارة لجالياتهم فى الشرق .

لاغرو أن عام ١٠٩٥م يعتبر من الأعوام الحاسمة فى تاريخ الغرب الأوربى بصفة عامة وتاريخ مدينة جنوة التجارية الإيطالية خاصة . ففيه وصل البابا

---

(١) Byrne, E.H., Genoese Trade with Syria in the 12 th. Century, A.H.R., XXV, (1919—20), pp. 192f.

(٢) Cons, Precis d'Histoire du Commerce, 1, p. III.

(٣) Bent, Genoa, p. 23f.

(٤) Pirenne, Medieval Cities, p. 63.

أوربان الثانى إلى أوج مجده وأصبح الزعيم الروحى الأعلى للغرب الأوربى بلا منازع (١) . وفى نفس العام وفى مجمع بياكنزا شمالى إيطاليا (مارس ١٠٩٥م) وصلت رسالة ألكسيس كومنين المشهورة فاستغلها أوربان لإحياء مشروعه الصليبى الذى اختمرت فكرته فى ذهنه أثناء إقامته مع النورمان ، وحين شاهدهم ينتزعون صقلية من أيدى المسلمين ، ففكر فى استخدام نفس الأسلحة على نطاق أوسع فى الشرق (٢) .

وما أن علم الجنرية بأخبار تلك الرسالة والدعوة لنجدة البيزنطيين وللأسباب السابق ذكرها ، حتى بدأت جنوة تستعد كغيرها من المدن الإيطالية التجارية الأخرى لإرسال مندوبيها إلى المؤتمر المزمع عقده فى كليرمونت فى المدة من ١٨ - ٢٨ نوفمبر ١٠٩٥م . وفى اليوم العاشر من المؤتمر وجه أوربان الدعوة للغرب الأوربى للتوجه إلى الشرق لتحرير الضريح المقدس من المسلمين . وبما عرف عنه من فصاحة ومقدرة على الإقناع والاستمالة ، أثار الحاضرين فصاحوا « تلك إرادة الله » (٣)، وبادروا إلى حمل الصلبان ؛ وعين البابا

---

(١) عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس الصليبية ، الاسكندرية ١٩٥٨ ، ص ٢٧ .

(٢) Bertolini, Storia d'Italia, pp. 536, 554.

(٣) ارجع الى نص الخطاب فى Fouchers de Chartres, R.H.C., III, p. 323ff; Downs, N., Basic Documents in Medieval History, New York 1959, Doc. No. 33, pp. 73 -76. cf. also. Roger of Wendover, Flowers of History, trans. from the Latin by Giles, J., London 1849, 1, pp. 376 ff.; Cantor, N., The Medieval World (300 -1300), 2nd. ed., New York 1968, pp. 206—8.

أدهيمار دى مونتى أسقف بوى Pay قائدا روحيا للحملة ونائبـــا عنه وعاد إلى إيطاليا بعد ما حدد يوم ١٥ أغسطس١٠٩٦م موعدا لبدء الزحف الصليبي، وحددت القسطنطينية مكانا لتجمع الحشود الصليبيـة (١) المتجهة إلى الشرق . ومن المرجح أن مندوبى المدن الإيطالية المختلفة الذين كانوا فى المؤتمر (٢) ، وعلى وجه الخصوص مندوبى مدينـــة جنوة هم الذين أثاروا نفوس المجتمعين بالمبالغة فى تصوير فظاعة ووحشية السلاجقة المسلمين، وطالبوا المجتمعين بسرعة التحرك لتحرير الضريح المقدس وتسهيل سبيل الحج . وهكذا نجح الجنوية ومندوبو المدن الإيطالية الأخرى فى اتخاذ الباعث الدينى ستارا يخفون وراءه أهدافهم المادية البحتة . وأبدى الجنوية استعدادهم للإسهام فى الحركة الصليبية التى لم ولن يكتفوا بتسخير سفنهم لخدمة اللاتين فيهـا ، بل أمدوها بعدد ضخم من المقاتلين الأكفاء من بين أهالى مدينتهم (٣) .

= عن جهود أوربان فى بيا كنتزا وكلير مونت والفترة بينهما انظر :
Matthew of Westminister, The Flowers of History, trans. from the Original by Younge, B.A., London, 1853, 1, pp. 22 ff.; Cafari, op. cit., 11, pp. 48f.; cf. also : Lacroix, La Chevalerie et Les Croisades, p. 160ff.; Mambourg, P. L., Histoire Des Croisades pour la Delivrance de La Terre Sainte, Paris (S.D.), 1, pp. 22ff.; Muiller-Wiener, W., Castles of the Crusaders, London 1966, p. 9, Bertolini, op. cit., p. 541.

(١) Barker, The Crusades, p. 13.

(٢) السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ، الألف كتاب ٢٦٩ ، القاهرة ، ١٩٦٠، ص٩-١٠ .

(٣) Heyd, Le Colonie Commerciali, Vol. 1, p. 151.

ومهما يكن من أمر ، فلقد فكر أوربان فى إرسال مندوبين عنه إلى جنوة بناء على بناء على توصية ريموند أمير تولوز ، لمطـــالبتها بإعداد أسطولها وشحنه بالرجال والعتاد والمؤن للإسهام فى « الحملة الصليبيـة المتجهة إلى الشرق لتحرير القبر المقدس » (١) على حسب قوله . وبالفعل سارع البابا بإرسال مبعوثين هما : هيوج دى شـــاتونيف أسقف جرينوبل Huge de Chateauneuf ، L'eveque de Grenoble ووليام أسقف أورانج Guillaume L'eveque d'Orange إلى جنوة (٢) . ووصـل المندوبان إلى جنوة ، وعلى الفور تم دعوة السكان للتجمع فى كاتدرائية القديس سيرو St. Siro ؛ وصرح المندوبان البابويان بأنهما « مرسلان إليهم كخدام لشعب الله، من أجل خدمة قبر السيد المسيح [عليه السلام] وذلك لغفران الخطايا » (٣) . وبعد انتهاء خطبتهما تحمس الجنوية للانضمام إلى الحملة الصليبية ، وحملوا الصلبان شعار الحركة واضعين نصب أعينهم مصالحهم الخاصة فى المرتبة الأولى. ويعلق المؤرخ الجنوى « كفارو » على إسراع الجنوية بحمل الصلبان بقوله : « ومن هنا بدأ التوجه إلى أرض الشرق بواسطة السفن الجنوية لتحرير الطريق المؤدى إلى القبر المقدس » (٤) .

هكذا بدأ الجنوية قبل رعايا أى مدينة إيطالية أخرى يسارعون بحمل لواء

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص١٣٥ .
Runciman, A History of the Crusades, 1, p. 111f.

(٢) Cafari, op. cit., 111, p. 49 & notes c-d.; cf. also : Chalandon, Histoire de Iere. Croisade, p. 54f.

(٣) Cafari, op. cit., 111, p. 49.

(٤) Cafari, op. cit., 111, p. 49.

الدعوة الصليبية لقتال المسلمين فى الشرق كستار يخفون فى طيـــاته أهدافهم التوسعية ؛ الرامية إلى الحصول على الثروة ، وتأمين مصـالحهم الخاصة فى مصر والشام ، متخذين الحركة الصليبية قنطرة عبور لتحقيق تلك الأهداف بتدمير قوى السـلاجقة وإعادة فتح موانى الشام أمام سفنهم. ولقد حفظلنا « كفارو » ثبتا فريدا فى نوعه بأسماء بعض النبلاء والقادة والقباطنة الجنويين الذين ساهموا فى الحملة الأولى ، وقادوا خيرة المقـــاتلين والعمال والمهندسين الجنوية بمعداتهم وأسلحتهم نحو الشرق . قال كفارو : «وبعد انتهاء عظة الأسقفين ومعرفة الرأى الرسولى [أى البابوى] فى هذا الموضوع [أى الإسهام فى الحرب الصليبية] ، فإن الكثيرين من سكان مدينة جنوة استطاعوا فى ذلك اليوم الحصول على الصليب ، وبذلك انخرطوا فى صفوف المقـاتلين من أجل تحرير قبر المسيح [عليه السلام] . ومن هؤلاء نذكر : أنسلمو ريسكيريو ، وأومبرتو مارينو ، وأوبرتو باسو من الجزيرة ، وأيوجو فلافيو ، ودودو دى أوفوكاتو ، وسان فرانكوروزا ، وباسكوالى اينوتشينتو ، وأستور ، ووليام دى بون سينيورى ، وأوبيتسو موسو وآخرين كثيرين . ولقد كانوا من الكثرة بحيث أعدوا اثنتى عشرة سفينة حربية وسفينة نقل شحنت برجـــال أشداء من رجال الحرب (١) » .

هكذا ثبت إسهام الجنوية قبل غيرهم من أهالى المدن الإيطالية التى لم تجازف بالإلقاء بدلوها فى خضم الصراع الصليبي الإســـلامى إلا بعد عامين من بداية الحركة ، وبعد أن تأكدت من جديتها ونجاحها ؛ وذلك حرصا على مصالحها وعلاقاتهم الطيبة مع المسلمين ، وخوفا من فقدان امتيازاتها التجارية فى الاسكندرية

(١) Cafari, op. cit., III, p. 49f.

وغيرها من موانى الشام الفاطمية (١) .

لقد اشترك الجنوية ، ومثلهم أيضا البيازنة والبنادقة فى الحملة الصليبية منذ البداية بقوات انضوت تحت لواء الجيوش الصليبية الزاحفة : الشعبية والنظامية (٢) .

إن الجنوية بما عرف عنهم من ذكاء وفطنة لم يرسلوا هم وباقى المدن الإيطالية الأخرى أساطيلهم على نطاق واسع لمساعدة اللاتين إلا بعد أن وصلتهم أخبار الانتصارات الصليبية على السلاجقة فى نيقية ودوروليوم (٣) . ومن قبل ذلك أرسلوا قواتا ساهمت فى القتال مع الصليبيين على أن يكونوا كشافين وعيونا توضح حقيقة الحركة الصليبية وصدق ما أحرزته من انتصارات. ولكى يضمنوا الدخول فى معركة رابحة مائة فى المائة اتخذوا موقفا متأرجحا كيلا يفقدوا ما تبقى لهم من نفوذ بالشرق فى حالة ما إذا اشتركت أساطيلهم فى القتال علنا وخسر اللاتين الجولة . يؤيد ذلك أن الجنوية تلكأوا ولم يرسلوا أساطيلهم للقتال علانية إلا بعد أن تأكدوا من حقيقة الانتصارات الصليبية ؛ وذلك ضمانا لإحراز قصب السبق قبل غيرهم من أهالى المدن الإيطالية الأخرى

---

(١) Runciman, A History of the Crusades, 111, p. 356; Hitti, History of Syria, p. 590.

(٢) Michaud, History of the Crusades, I, p. 73; The Crusades, The Greek and Eastern Churches, p. 33f.; Bertolini, Storia d'Italia, p. 542. cf. also :

جوزيف نسيم : العرب والروم ، ص ١٣٤ .

(٣) Setton, A History of the Crusades, 1, p. 291; Runciman, op. cit, I, p. 183.

فى الحصول على الامتيازات التجارية نظير مساعداتهم لبنى جلدتهم من الفرنج ، وهذا ما تم تحقيقه بالفعل .

بعد معرفة الأسباب التى دفعت جنوة للإسهام فى الحركة الصليبية والإسراع بالموافقة على مطالب البابوية بإعداد سفنهـا الحربية لنقل الجند والعتاد ، ثمة تساؤل يطرح نفسه ، ألا وهو: ما دور جنوة فى الحرب الصليبية الأولى ؟ وما موقفها من الصراع الصليبى الإسلامى ؟ . المعروف أن المؤرخين قد اعتادوا على تقسيم الحرب الصليبية الأولى إلى حملتين : الأولى حملة الشعوب أو العامة بقيادة بطرس الناسك ، ووالتر المفلس (١) ، والثـانية الحملة النظامية أو حملة الأمراء من كبار رجال الإقطاع فى الغرب .

وبخصوص الحملة الأولى فلقد احتشدت فى صورة خمسة جيوش زحفت تجاه القسطنطينية قبل الموعد الذى حدده أوربان لبدء المسيرة وهو ١٥ أغسطس ١٠٩٦ م، وكما سبق ذكره شارك فيها أهالى مدينة جنوة وغيرهم من سكان المدن التجارية الإيطالية . واشتملت تلك الحملة على عديد من اللصوص والقتلة ، ولم

---

(١) عن الحملة وما قامت به من أعمال السلب والنهب والقتل انظر :
Alexiad, op. cit., p. 248—66; Conder, The City of Jerusalem, pp. 275f ; Treece, The Crusades, pp. 88ff.; Barker, The Crusades, p. 14f.; Myers, Medieval & Modern History, pp. 117 f.; Lot, F., L'Art Militaire et Les Armeés au Moyen Age en Europe et dans Le Proche Orient, Paris 1964, t. I, p. 125; Enciclopedia Motta, Fascicolo 57, 24 Febbraio, 1962, p. 1821; Camb. Med. Hist. V, pp 275, 278 f.; cf. also :
عاشور: الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ١٢٥ وما بعدها.

تصل منها إلى القسطنطينية إلا جماعتان فقط (١) . قام أفرادها بسلب ونهب الكنائس وغيرها (٢) . فاضطر ألكسيس كومنين للإسراع فى نقلهم عبر البسفور إلى آسيا الصغرى حيث سقطوا فريسة للأتراك السلاجقة . وتحولت الحملة الشعبية بما فيها من جنوية وغيرهم من الإيطاليين واللاتين إلى كومة من العظام والأشلاء . (٣)

أما حملة الأمراء ودور جنوة فيها فيظهر بشكل جلى لدرجة القول بأنه لولا هذا الدور مااستطاع اللاتين تحقيق ما أحرزوه من انتصارات ، وما نجحوا فى إقامة إماراتهم بالشرق .

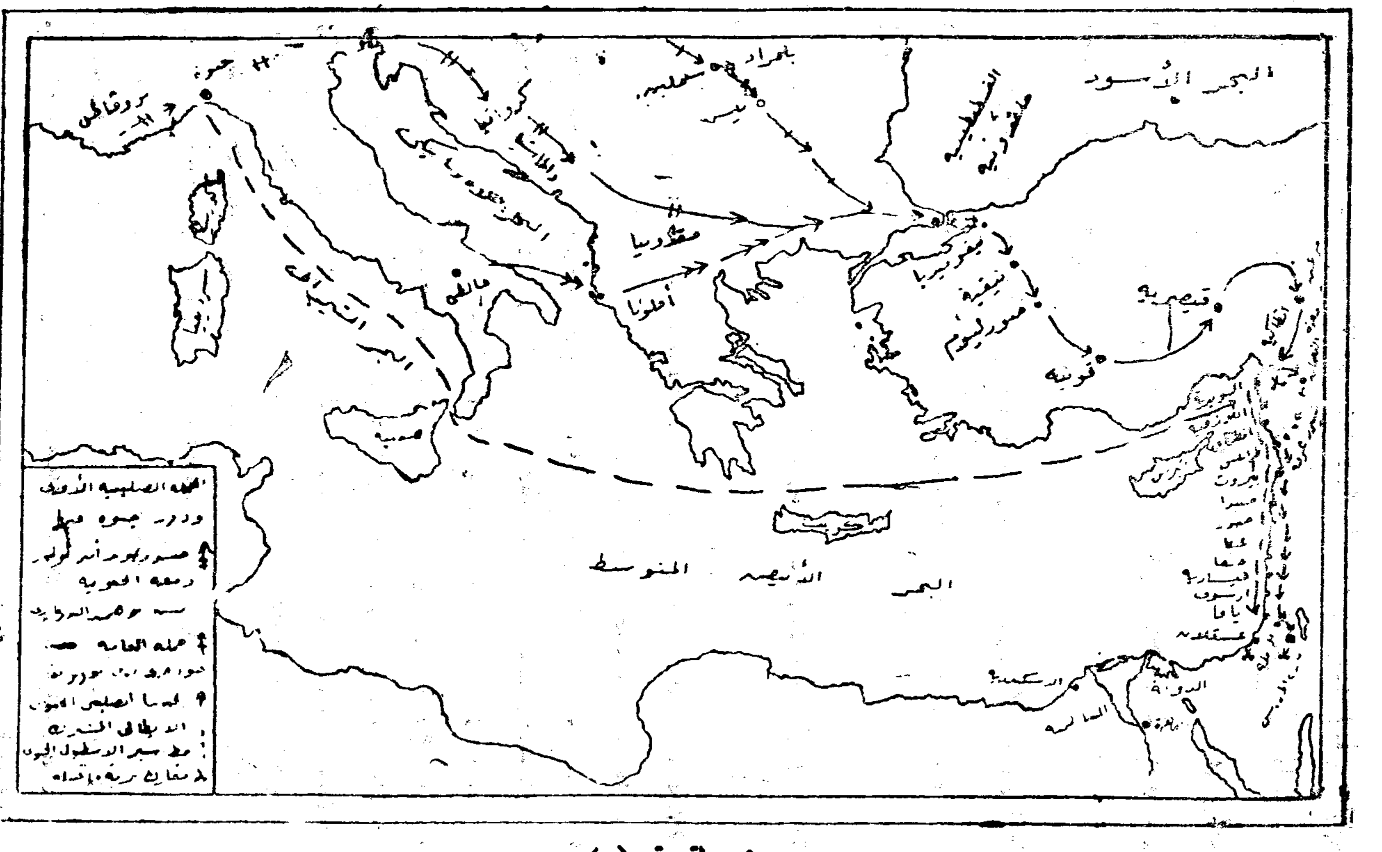
ومهما يكن من أمر ، فلقد احتشد الأمراء فى شكل ثلاثة جيوش رئيسية :

---

(١) Barker, The Crusades, p. 15. cf also : Michaud, The History of the Crusades, I. p. 73.

(٢) أعمال الفرنجه وحجاج بيت المقدس ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٩ . وأيضا انظر : Runciman, A History of the Crusades, 1, p. 127; Camb. Med. Hist., IV, p. 336.

(٣) عن حملة الشعوب ومصيرها منذ وصولها إلى القسطنطينية ،ومن تصارع أفرادها من الايطاليين والألمان والفرنسيين انظر : أعمال الفرنجه ، ص١٨ وبعدها وأيضا : Alexiad, op. cit., p. 284 ff.; William of Tyre, I, p. 1(5 ff.; Michaud, op. cit., I, p. 61ff. cf., Lavise, E. Et Rambaud, A., Histoire Générale de L'Europe Féodale, Les Croisades (1095—1270), Paris 1893, t. 11, chapt. VI, p 303 ff.; Schulmberger, G., Recits de Byzance et des Croisades. Paris, 1917, t. 1. p. 84f.; Lot, L'Art Militaire, I, p. 124ff.; Williams, J., Knights of the Crusades, New York 1962, p. 35ff; Enciclopedia Motta, p. 1821.


البحر الأسود
مقدونيا
قونية
قيصرية
صقلية
يافا
البحر الأبيض المتوسط

خريطة رقم (١)

قاد جودفرى دى بويون وأخوه بلدوين جيشاً ، وقاد ريموند أمير تولوز جيشاً ثانياً مصطحباً معه أدهيار المندوب البابوى وآلافا من البروفنساليين وعدداً من الإيطاليين القاطنين فيما بين البحر التيرانى والبحر الإدرياتيكى (١)، ويرجح أن الجنوية كانوا تحت قيادة ريموند هذا ، خاصة وان ريموند هو صاحب فكرة الاستعانة بالجنوية منذ مؤتمر كلير مونت ؛ كما أن جنوة تطل على البحر التيرانى. وخرج الجيش الثالث بقيادة بوهمند بن روبرت جيسكارد وآلاف النورمان من صقلية وجنوبى إيطاليا .(٢)

وفى الفترة ما بين صيف ١٠٩٦ م وربيع ١٠٧ م، التقت تلك الجيوش فى القسطنطينية والتحمت معا قبل عبورها البسفور فى جيش واحد اختلف

---

(١) Roger of Wendover, Flowers of History, 1, p. 389.

(٢) عن حملة الأمراء حتى وصولها القسطنطينية انظر :

The Crusades, Greek & Eastern Churches, pp. 33ff.; Treece, The Crusades, p. 93ff.; LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 337ff.; Runciman, A History of the Crusades, I, pp. 142ff.; Barker, The Crusades, p. 15 f.; Schulmberger, Récits de Byzance et des Croisades, 1, p. 85; Bertolini, Storia d'Italia, p. 542; Lot, L'Art Militaire et Les Armées, I, p. 126ff.; Oldenburg, Z., Les Croisades, U.R.S.S. (Mayenne), 1965, pp. 83ff.; de Michel, M., Precis de L'Histoire de Moyen Age, 8eme. ed., Paris 1836, p. 178; Williams, Knights of the Crusades, p. 38ff.; Enciclopedia Motta, p. 1821, cf. also:

عاشور : الحركة الصليبية، جـ١ ، ص ١٤٥ ومابعدها. انظر خريطة (١) ص ١٢٠.

المؤرخون فى تقدير عدده (١) . وفى القسطنطينية بدأت تتضح مختلف العوامل التى أدت إلى قيام الغرب بحملته الصليبية ، والتى سوف تتحكم فى الزحف الصليبى بعد عبور البسفور (٢) . وما يعنينا فى هذا المجال مصالح التجار الإيطاليين من الجانب الغربى ، وبخاصة الجنوية الذين سعوا للحفاظ عليها باشتراكهم فى الحملة مشاركة فعالة(٣) ، وأثر ذلك على العلاقات الجنوية الفاطمية بصفة عامة. والمهم أنه بعد أن أقسم اللاتين يمين الولاء والتبعية للإمبراطور البيزنطى ، وبعد أن تعهدوا بإعادة أملاكه إليه (٤) ، عبروا البسفور إلى آسيا الصغرى وبدأوا بحصار مدينة نيقية (مايو ١٠٩٧م/ جماد ثانى ـ رجب ٤٩٠هـ). وهنا لحق بهم جيش صليبى بقيادة روبرت النورمانى وشاركهم حصار نيقية التى استلمت البيزنطيين (٥) . وواصل الجيش اللاتينى ـ ومن معه من الجنوية والإيطاليين ـ

---

(١) قدر المؤرخ ستيفن رانسمان عدد الجيش الصليبى ككل فيما بين ستين ألفا ومائة ألف مقاتل انظر : Runciman, A History of the Crusades, 1, p. 169, Appendix 11, pp. 336ff.

(٢) عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ٢ ، ص ٤٤٣ـ٤٤٥ . وأيضا Barker, The Crusades, p. 16.

(٣) Heyd, Histoire du commerce 1 p. 133.

(٤) Roger of Wendover, Flowers of History, 1, p. 390f. cf. Runciman, op. cit., 1, p. 170f.; Stevenson, The crusaders in the East, p. 11; Ostrogorsky, History of the Byzantine Empire, p 322.

(٥) عن سقوط نيقية واستسلامها للبيزنطيين انظر : Alexiad, op. cit., p. 269ff.; Cafari, op. cit., 11, p. 40; Roger of Wendover, op. cit., 1, p. 392ff. cf. also :

مسيرته ، وفى دورليوم (اسكى شهر) دارت رحى معركة رهيبة انتصر فيها على السلاجقة (١) . وبعدها أصبح الطريق مفتوحا إلى أنطـــاكية أمام الجيش الصليبى ، فواصل تقدمه حتى بلغها يوم ٢٠ أكتوبر ١٠٩٧م/١١ ذو القعدة ٤٩٠هـ وعلى الفور أقام الصليبيون حصارهم حولها (٢) ، وهنا بدأ الجنوية القيام بدورهم الإيجابى فى الحملة .

سبق أن ذكرنا أن الجنوية ساهموا فى حملة العامة ، وكذلك فى حملة الأمراء وإن كان اشتراكهم ليس على نطاق واسع أو بأعداد كبيرة . ولكن الثابت أنهم شاركوا فى الحرب الأولى منذ البداية . وكما أشـــار المؤرخ الجنوى كفارو ، أعدوا ثلاث عشرة سفينة حربية ونقل شحنوها بالمقاتلين والمؤمن استعدادا للإبحار لتعضيد الزحف الصليبى . وبينما كانت جنوة تعد ذلك الأسطول وصلتها أنباء الانتصارات الصليبية فى نيقية ودورليوم فازدادت حماسة ، وعلى وجه السرعة أرسلت أسطولها (٣) . ومنذ ذلك الحين فصاعدا بدأ دور جنوة ينتقل

= أعمال الفرنجه، ص ٣٣ — ٣٧ ؛ ابن الجوزى : مرآة الزمان ، ج١٢، القسم الثالث ، لوحة ٢٣٠ ب ؛ ابن تغرى بردى : النجوم، ج ٥ ، ص ١٤٦، ١٦٠؛ وأيضا عاشور: الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ١٦٠ ومابعدها .

(١) أعمال الفرنجه ، ص ٣٨-٤٢ وأيضا: Roger of Wendover, op. cit, 1, p 397.

(٢) عن تطور الأحداث بعد دورليوم وحتى وصول اللاتين أنطاكية انظر : أعمال الفرنجه ، ص ٤٢ ومابعدها وأيضا انظر : Setton, A History of the Crusades, 1. pp. 295ff.; Runciman, op. cit., 1, pp. 186ff.

(٣) وصل منتصف نوفمبر ١٠٩٧م والصليبيون يحاصرون انطاكية انظر : Runciman, A History of the Crusades, I, p. 219.

من طور التستر خلف أفراد الجيش الصليبي كأتباع للزعماء اللاتين إلى طور العلن كقوة لها ثقلها ؛ وأجبرت الفرنج على معاملتها معاملة الند للند ، وبدأت حقيقة أهدافها تتضح بعد أن كانت تتكتمها . ومن هنا وأمام أسوار أنطاكية التي كان الفرنج قد بلغوها في أكتوبر ١٠٩٧م (شوال - ذو القعدة ٤٩٠هـ) -حيث بدأوا ضرب الحصار حولها - بدأ الجنوية يقاتلون ، يقتلون ويقتلون ليس دفاعا عن الكاثوليك ، بل حرصا على الامتيازات والتسهيلات والأسواق التجارية التي كانوا يسعون إليها . وهكذا بدأت جنوة ومن بعدها المدن الإيطالية الأخرى تظهر في صورتها الطبيعية صورة « التاجر المقاتل » . ولعل تلك الحقيقة هي التي جعلت البعض يصف الحركة الصليبية بأنها « حركة تجارية استعمارية »(١).

وعلى أية حال ، لاقى اللاتين على امتداد الشهور السبعة التي حاصروا فيها أنطاكية العديد من صنوف العذاب والمتاعب . أضف إلى ذلك شدة مقاومة الحامية داخل المدينة وفتك الأمراض والمجاعة بهم (٢) . وكاد اليأس يدب في نفوسهم لولا أن انتشر خبر قدوم عمارة بحرية من مدينة جنوة مشحونة بالمحاربين والمهندسين والزاد والعتاد ؛ فعمت الفرحة النفوس وزاد الأمل في النصر .

---

(١) شارل ديل : البندقية جمهورية ارستوقراطية ، تعريب أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٣٠.

(٢) William of Tyre, op. cit., I, p. 220f.; also: Michaud, History of the Crusades, 1, p. 134ff.

ذكر المؤرخون اللاتين أن الحصار استمر لمدة سبعة أشهر بينما ذكر المسلمون وخاصة الذهبي وابن الأثير أنه استمر تسعة شهور . انظر . أعمال الفرنجة ، ص ٤٩ ، ٦٤؛ ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١٣ ؛ الذهبي : دول الاسلام ، ج ٢ ، ص ١٩ ، وأيضا : Barker, The Crusades, p. 21 f.

وقبل متابعة تطور الأحداث منذ وصول تلك المهارة البحرية وحتى سقوط أنطاكية ، يستحسن استعراض موقف الفواطم من الحملة الصليبية ، لما سوف ينجم عنه من احتكاكات عسكرية بين جنوة والدولة الفاطمية من خلال احتكاك الفواطم باللاتين منذ ذلك الحين فصاعدا . وعلى ضوء ذلك الموقف سوف تتضح الصورة الحقيقية للعلاقات بين جنوة والدولة الفاطمية حتى سقوطها عام ١١٧١م/٥٦٧هـ ، فى كلا المجالين السياسى والاقتصادى .

لا ريب أن الفواطم لم يدركوا حقيقة أهداف الحركة الصليبية ، لدرجة أنهم فكروا فى التحالف مع الصليبيين أنفسهم ضد الأتراك السلاجقة ألد أعدائهم . وكانت السلطة الفعلية آنذاك فى أيدى الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستعلى بالله الفاطمى (١٠٩٥-١١٠١م / ٤٨٨ - ٤٩٥ هـ) ، الذى ظل وزيرا طوال عهد المستعلى وحتى العشرين سنة الأولى من حكم الآمر بأحكام الله الفاطمى أى حتى عام ١١٢١م / ٥١٥هـ (١) . ويبدو أن الأفضل الفاطمى لفترة من الوقت لم يتفهم حقيقة نوايا الصليبيين حيث اعتقد أنهما قدموا إلا لمواجهة السلاجقة ـ المعادين له ـ استجابة لنداء الإمبراطور ألكسيس كومنين (٢) . لذلك أرسل الأفضل سفارته المشهورة إلى الصليبيين أثناء حصارهم مدينة أنطاكية فى أوائل عام ١٠٩٨م / ٤٩١هـ يبدى استعداده

---

(١) Grousset, Histoire des Croisades, t. 1, p. 83. also : عاشور : شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١٦، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ١٩ وبعدها ؛ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، ص ٤١٥-٤١٦ ؛ محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ٩٠ وبعدها .

(٢) Stevenson, the Crusaders in the East, p. 20; cf. also: Michaud, History of the Crusades, 1, p. 138f.

للتحالف مع اللاتين ضد السلاجقة باعتبارهم العدو المشترك لكليهما ، على أساس أن يقنع الفرنجه بشمالى الشام بما فى ذلك أنطاكية ، ويكون جنوبه بما فيه بيت المقدس من نصيب مصر الفاطمية (١) .

وجدير بالذكر أن هناك رواية تشير إلى أن الإمبراطور ألكسيس كومنين قد عرض على الصليبيين فكرة التفاهم بأية طريقة مع الفواطم فى مصر والتحالف معهم إن أمكن ، على أساس أنهم ألد أعداء السلاجقة ، وأنهم على استعداد للتفاهم والتقارب مع المسيحيين الذين ظلوا يعيشون فى أمان تحت ظل حكمهم . وأوضحت الرواية أن الصليبيين لم يستمعوا إلى تلك النصيحة (٢) .

---

(١) على ضوء ماتوصلنا إليه من مصادر لاتينية وعربية لم تنشر من قبل ، أثبتنا وجود اتفاق مسبق بين الأفضل شاهنشاه من جانب ، والجنوية واللاتين من جانب آخر ، ولقد تم ذلك فى الفترة من عام ١٠٨٣ إلى ١٠٨٥م/ ٤٧٥ إلى ٤٧٧هـ أثناء رحلة جود فرى دى بويون المشهورة إلى الاسكندرية . انظر التفصيلات فى كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى ، ص٨٦ـ٩٧ .

هذا ، ولقد أشار المؤرخ اللاتينى وليام الصورى إلى أن سبب إرسال الفواطم السفارة يرجع للعداء المستحكم بين القوى الاسلامية بالشرق ، وقال : «إن الفواطم فرحوا لهزائم السلاجقة السنيين فى نيقية ودور ليوم وحصار الصليبيين لمدينة أنطاكية» ، وتلك رواية جديدة تؤكد ماوصلنا إليه فى هذا الصدد . انظر: William of Tyre, 1, p. 223

وعن السفارة الفاطمية ونتائجها انظر : Raimond d'Agilers, R.H.C., III, p. 246f.; William of Tyre, op. cit., 1, p. 223 f. cf. also : Grousset, Histoire des Croisades, 1, p. 83 f.; Runciman, A History of the Crusades, I, p. 229f.

(٢) Runciman, A History of the Crusades, 1, p. 229. cf. also ; طاهور : شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية ، ص٢٠ .

على أية حال ، بينما كان الصليبيون يعـــانون الأمرين وتفتك بهم المجاعة والأوبئة أمام أنطاكية، وصلتهم السفارة الفاطمية. وهنا تذكر اللاتين نصائح ألكسيس السابقة فقاموا على الفور بتنظيم صفوفهم وفرسانهم وتحاملوا على أنفسهم كى يظهروا بالمظهر اللائق أمام السفراء المصريين حتى لا تنكشف حقيقة أحوالهم السيئة ، ورحبوا أيما ترحيب بالمصريين الفواطم وأكرموا وفادتهم لمدة أسابيع (١) . ولا شك أن اللاتين قد تعلموا من تلك السفارة الكثير من الدروس، ومن أهمها كيف يستفيدون من العداء المستحكم بين القوى الإسلامية، فكان الشرق الأدنى الإسلامى وقتها منقسما على نفسه سياسيا ومذهبيا . فأرسلوا إلى دقاق صاحب دمشق يخبرونه بألا مطامع لهم فى أملاكه ، وأقنعوه مكرا بألا هدف لهم إلا استعادة الأملاك البيزنطية بالشام حتى لا يساعد حامية أنطاكية المحاصرة (٢) .

وهكذا استفاد الصليبيون من أوضاع العالم الإسلامى السيئة آنذاك . وزيادة فى التمويه أرسلوا مع المبعوثين المصريين سفارة صليبية برئاسة يوحنا الخادم (٣)،

---

(١) William of Tyre, op. cit., I, p. 223f. cf. Runciman, A History of the crusades, I, p. 229.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٤ وأيضا انظر :
Grousset, Histoire des croisades, I, p. 85.

(٣) Cafari, op. cit., IX, p. 56.
لافرو أن « يوحنا الخادم » هذا كان من رجال الدين الجنوية على اعتبار أن الجنوية تربطهم علاقات وطيدة بمصر اقتصاديا ومن الممكن أن يثق فيه المصريون بحكم الصلات الطيبة بين الفواطم والجنوية ، خاصة وأن كفارو هو المصدر الوحيد الذى ذكر اسم « يوحنا » هذا .

حملوها بالهدايا النفيسة إلى خليفة مصر ووزيره الأفضل ، وأبحرت من ميناء القديس سيمون (السويدية) بصاحبة السفارة المصرية (١) . ومن المرجح أن تلك السفارة قد أبحرت فى رحلة العودة إلى مصر على سفينة جنوية من السفن التى كانت موجودة بالميناء آنذاك . والجدير بالذكر أن هناك رواية لمؤرخ حديث ترجح سفر تلك السفارة على إحدى السفن الإنجليزية (٢) . ولكن من الممكن ترجيح الرأى الأول على أساس قدم وجود الجاليات الجنوية فى مصر والشام ، وقوة نفوذهم ومركزهم التجارى هناك ، وأيضا على أساس تعامل جنوة تجاريا مع موانئ المنطقة قبيل الحرب الصليبية (٣) ، وخبرة الجنوية فى فنون الملاحة بالبحر المتوسط ، بعكس الإنجليز الذين لم نسمع بوجودهم وخبرتهم بالمنطقة وتعاملهم تجاريا معها مع قبل . ولربما كان لكثرة السفن اللاتينية وتعددها فى الميناء أثره فى أخذ « شالندون » بهذا الرأى (٤) .

---

(١) Runciman, A History of the Crusades, 1, p. 229.

(٢) Chalandon, Histoire de La Iere. Croisade, p. 196.

(٣) Beazley, The Dawn of Modern Geography, Vol. 11. pp. 422f.

(٤) يوجد تعليق لكل من بابكوك Babcock وكراى Krey فى ترجمتهما لكتاب « وليام الصورى » يؤكد تعدد جنسيات السفن اللاتينية فى ميناء القديس سيمون لدرجة أن « وليام الصورى » اعتقد خطأ أن السفن الانجليزية التى جاءت بقيادة برونو Bruno كانت جنوية ، رغم أن السفن الجنوية وصلت قبلها بشهور عديدة كذلك أشار « بنت » إلى أن الجنوية قبل الحملة الصليبية الأولى بسنوات لم تكن هناك أرض مجهولة بالنسبة لهم فى الشرق . انظر : William of Tyre, I, p. 229 and note No. 3. cf also : Bent, Genoa, p. 25.

وجدير بالذكر أن السفارة الفاطمية قبل إبحارها من ميناء القديس سيمون أرسل إليها الصليبيون ثلاثمائة من رؤوس القتلة الأتراك السنيين هدية لخليفة مصر ، فأبدى أفراد السفارة سرورهم البالغ لذلك المشهد (١) . مما يدل على تردى العلاقات بين القوى الإسلامية إلى الأسوأ آنذاك ، الأمر الذى ساعد على نجاح المغامرة الصليبية وشجع الجنوية على تعضيد اللاتين إلى آخر الشوط .

وعلى أية حال ، فإن مدينة جنوة بعد ما أيقنت أن الزحف الصليبي يتقدم بنجاح نحو هدفه من أجل السيطرة على الشرق الإسلامى وكتلكته تحت زعامة البابوية ، قامت بمكر التاجر وخداع المقاتل ، وسارع أهلها بإرسال أسطولهم الذى كانوا قد شغلوا بإعداده ، وتلكأوا فى إرساله ـ فى بداية الحملة ـ حتى تنجلى الأمور ، وحتى يقطعوا الشك باليقين . وعلى هذا أبحر الأسطول من ميناء جنوة ، ذلك المرفأ الذى فيه ارتفع الستار عن فصول أحداث الحروب الصليبية وسط تهليل آلاف السكان الجنوية (٢) . وقد أبحر الأسطول الجنوى بقيادة القائد المشهور بذى الرأس الحديدية (المطرقة) وليام إمبرياكو William Emberiaco وأخيه بريموس Primus (٣) . وتم ذلك فى نفس

(١) أعمال الفرنجة ، ص ٦٣ . وانظر أيضاً :

Campbell, G., The Crusades, London, 1935, p. 119. cf. also, Grousset, Histoire des croisades, 1, p. 85 & note No. 1.

(٢) Bent, Genoa, p. 24.

(٣) عرف بهذا اللقب لشهرته فى ضرب ونطح الأعداء بالرأس . ولقد عرف وليام بين الجنوية بالشجاعة والجرأة فى القتال ، ولبراعته كمهندس لا نظير له فى بناء آلات الحصار وخاصة الأبراج . هذا ، ولقد تغنى الشاعر البجورى تسو Tasso =

الوقت الذى كان الصليبيون يعانون فيه من اليأس الذى تسرب إلى نفوسهم من جراء استبسال حامية أنطاكية فى الدفاع عن المدينة ، ومعاناتهم من المجاعة وفتك الأمراض . وما أن علموا بقدوم الأسطول الجنوى حتى دب فى نفوسهم الأمل.وعلى الفور، سارع بوهمند وريموند الصنجيلى بالذهاب إلى ميناء السويدية لاستقبال الجنوية، والاستعانة بهم فى تشييد حصن فوق تل المحمرة (المحمرية) قرب مقبرة المسلمين لإحكام الحصـــار حول المدينة (١) ، خاصة وأن القائد الجنوى وليام إمبرياكو كان يصطحب معه بخلاف المقاتلين عديدا من العمال والمهندسين الجنوية ، اللازمين للإشراف على بناء الأبراج وآلات الحرب اللازمة لضرب الحصار حول أنطاكية (٢).وبروح الحقد على السلاجقة المسلمين وبنفسية التاجر الذى خسر تجارته ورأسماله،استقبل إمبرياكو وجنوده الجنوية بوهمند الذى خطب فيهم قائلا: «أيها الأخوة المتحدون معنا تحت راية الحرب المقدسة ، لقد جئتم هنـــا لخدمة الرب ، والحصول على الراحة لأنفسكم مكافأة

=بعظمته وشجاعته واعتبره فخرا لبلده جنوة ووصفه بأنه لاشبيه له كمهندس متخصص فى «فن وعلوم الميكانيكا» . ويقصد بذلك الأبراج المتحركة التى اشتهر بصناعتها كما حدث وقت حصار أنطاكية وبيت المقدس . انظر : Bent, op. cit., p. 25.

وعن الأسطول الجنوى الذى وصل إلى ميناء القديس سيمون وإمكانياته انظر : Cafari, III, p. 50; Raimond d'Agilers, R.H.C.; III, p. 242; William of Tyre, I, pp. 229 ff. cf. also: Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 133; Grousset, Histoire des croisedes, I, p. 75; Runciman, A History of the crusades, I, p. 219.

(١) أعمال الفرنجة ، ص٦٠ والحواشى William of Tyre, I, p. 228f.

وللاستزادة انظر : Runciman, op. cit., I, p. 228 f.

(٢) Michaud, History of the Crusades, I, p. 145.

لكم ، إننا سوف نتحمل معا عبء الجهاد المقدس ، كل حسب مقدرته ، وإننا جميعا نرحب بكم ونحييكم بحرارة » (١) . وعند ما انتهى بوهمند من خطابه تشاور الجنوية فيما بينهم واختار وليام إمبرياكسو « أشجع المقاتلين » الجنوية لإرسالهم مع بوهمند ومعهم المؤن والزاد والآلات والأخشاب اللازمة لبناء وإعداد القلعة والأبراج المطلوبة ، ومشاركة باقى إخوانهم الجنوية وغيرهم من اللاتين فى حصار المدينة (٢) . وفى تلك الأثناء علم بوهمند بقدوم الأتراك السلاجقة لمهاجمته ومن معه من الجنود الفرنجة والجنوية . فأسرع واصطحب معه خمسة وعشرين فارسا من خيرة الفرسان الجنوية واستمدوا بما معهم من ذخيرة ومعدات للرحيل إلى المعسكر الصليبي أمام أنطاكية .

فى تلك الآونة كان السلاجقة قد طوقوا المعسكر الذى أقامه الجنوية قرب نهر العاصى (الأورنت) من كل جانب ، فهاجمهم الجنوية ودارت رحى مذبحة سقط فيها العديد من القتلى . وفى النهاية انتصر الأتراك بسبب كثرتهم العددية وشجاعتهم ، وتركوا من بالمعسكر من الجنويين ما بين قتيل وجريح.وهكذا مات عديد من الجنوية « واستحقوا بذلك الدخول فى عداد القديسين والملائكة فى السماء » (٣) وفقا لرواية « كفارو » . ولما سمع اللاتين ومن معهم من الجنوية خبر المذبحة سارع بوهمند والفرسان الجنوية واللاتين بصاحبة كونت صنجيل

(١) Cafari, op. cit., III, p. 50.

(٢) Ca fari, Ibid. وللاستزادة عن دور الجنوية انظر :
Mambourg, Histoire de Croisades, I, p. 152ff.

(٣) Cafari, Ibid. وللاستزادة انظر :
William of Tyre, op. cit., I, p. 228ff.; Roger of Wendover, Flowers of History, I, p. 406f,

والأسقف أدهيار وهاجموا السلاجقة ؛ ولكن هجومهم منى بالفشل وتقهقروا لقلة أعدادهم بالنسبة للأتراك (١) . وما أن وصل الخبر إلى المعسكر الصليبى حتى استعد بوهيموند دى بويون بقواته من الصليبيين والجنوية المصاحبين لهم ، وكنوا للأتراك العائدين منتصرين فأبادوهم عن بكرة أبيهم ، وهكذا ثأر الجنوية من السلاجقة الذين سبق أن قتلوا عديدا من رجالهم (٢) .

ومهما يكن من أمر ، فقد التحق القسم الأكبر من الجند والمهندسين والعمال الجنوية بالجيش الصليبى أمام أنطاكية ، وبدأ الجنوية يشاركون اللاتين آلام الحصار ومتاعبه (٣) . وتحول المعسكر الصليبى إلى خلية نشاط وعادت الابتسامة إلى الشفاة بعد ما زودهم الجنويون بالطعام والشراب وأمدوهم بالسلاح . وسارع الجميع يساهمون مع الجنوية فى بناء الأبراج ، وبالفعل تم بناء برجين وضعا أمام بوابة القديس جورج وبوابة القنطرة (٤) . وبينما كان وليم إمبرياكو وجنوده يشيدون تلك الأبراج ، كان باقى الجنوية الذين كلفوا بالإشراف على السفن الراسية فى ميناء السويدية يذرعون الساحل جيئة وذهابا لمراقبة وتأمين خطوط المواصلات ، ولإحضار ما يحتاجه اللاتين من زاد وغيره لإحكام الحصار حول المدينة (٥) . وبعد ما أتم الجنوية بناء البرجين شدد

---

(١) Michaud, History of the Crusades, I, p. 140.

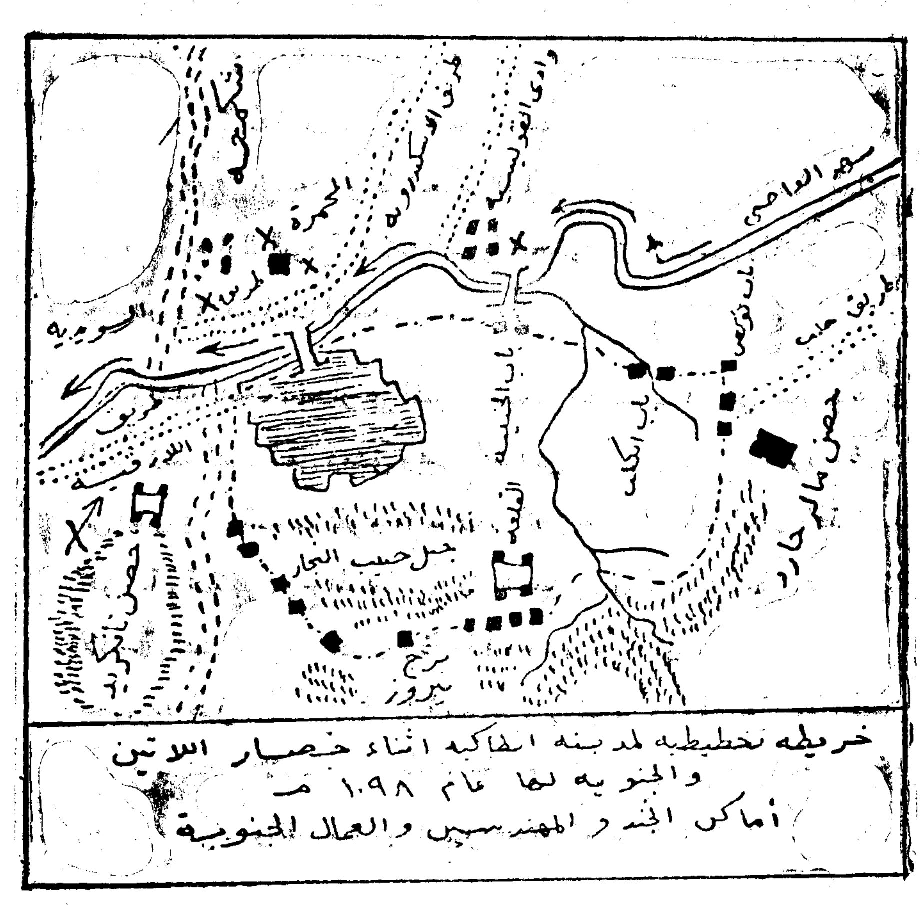
(٢) Cafari, op. cit., III, p. 50f. وللاستزادة انظر :
William of Tyre, op. cit., I, p. 230ff.

(٣) Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 133.

(٤) Campbell, The Crusades, P. 120.

(٥) Cafari, op. cit., IV, p. 51 cf. Heyd, op. cit., 1, P. 133; Campbell, op. cit., P. 120.

انظر لوحة رقم (٢) ص ١٣٣ .


نهر العاصي
طريق حلب
باب دوقس
باب الكلب
القلعة
جبل حبيب النجار
برج بيروز
حصن تانكرد
السويدية
الحمرة
طريق الاسكندرونة
خريطة تخطيطية لمدينة انطاكية اثناء حصار اللاتين
والجنوية لها عام ١٠٩٨ م
أماكن الجند والمهندسين والعمال الجنوية

لوحة رقم (١)

الصليبيون الحصار حول مدينة أنطاكية ، وساهم الجنوية فى القتال من داخل الأبراج بينما كان باقى رجالهم - ممن هم خارج الأبراج - يمــدون السلاح ويحضرون الإمدادات « وغيرها من الأشياء الضرورية للقتال » من أماكنها داخل الخيام التى نصبوها وسط المعسكر الصليبي ، أو يشاركون فى القتال الدائر . وفى هذه المعارك اليومية ، « كان الجنوية يتحملون كل المتاعب والمشاق كالجوع والعطش وكل متطلبات الجسد » (١) .

ولشدة ضغط الحصار على المدينة استنجد حاكمهــا ياغى سيان بالقوى الإسلامية القريبة من دمشق وبيت المقدس وحلب وحمص وقيصرية وغيرها من المدن ؛ واحتشدت القوى الإسلامية لنصرته ، إلا أن الصليبيين ألحقوا بهم الهزيمة وتشتت جموع المسلمين . وزاد الصليبيون والجنوية الضغط على المدينة لاقتحامها قبلما تصل قوات كربوغا حاكم الموصل الذى كان قد استنجد به ياغى سيان بعد فشل النجدة الإسلامية السابقة وهزيمتها (٢) . وفى أثنــاء الحصار نجح بوهمند فى الاتصــال بأحد القادة الأتراك يدعى فيروز (وشهرته الزراد) (٣) ، واتفق معه على تسهيل دخوله المدينة وتسليمه الأبراج المكلف

(١) قد تعنى عبارة « متطلبات الجسد » النوم والراحة وقضاء الحاجات ، انظر :
Cafari, op. cit., IV, p. 51 cfi also : Roger of Wendover, flowers of History, 1, p. 401.

(٢) Roger of Wendover, op. cit., 1, p. 405 cf. also;
عاشور : الحركة الصليبية، ج١، ص ١٩١ وبعدها .

(٣) ذكر « كفارو » إن فيروز وشقيقه اتفقا على اعتناق المسيحية، وتسميا بأسماء مسيحية، وأهداهما بوهمند هدايا نفيسة من الثياب الفاخرة والأوانى الذهبية والفضية ، انظر : Cafari, op. cit., V, p. 52 ومن فيروز وخيانته واختلاف الآراء =

بحراستهـــا ، وفعلا تم ذلك. ففي فجر اليوم الثالث من شهر يونيو ١٠٩٨م (أواخر جمادى الآخرة ٤٩١ هـ) تسلق بوهمند ورجاله الأبراج (١)، ورفعوا راياته الحمراء عليهـــا (٢) . وما إن شاهدها اللاتين والجنوية حتى سارعوا بالانقضاض على المدينة واقتحموها قهراً بالسيف، وقتلوا وذبحوا كل من لاقوه في طريقهم من المسلمين ؛ وامتلأت المدينة بآلاف الجثث التي لا يمكن حصرها. وبعد المذبحة قام الجنوية واللاتين بأعمال النهب والسلب ودمروا المســـاجد والبيوت لمدة ثلاثة أيام متوالية ، وفسقوا وفجروا بالنساء (٣) .

=حول اسمه وهما إذا كان تركيا أم أرمينيا انظر :
Cafari, Ibid.; Alexiad, p. 277 cf. also :
أعمال الفرنجه ، ص ٦٦ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١١٣ ؛ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥–١٣٦ ؛ ابن تغري بردي : النجوم ، ج ٥ ، ص ١٤٦ .
وللاستزادة انظر : Michaud, History of the Crusades, I, p. 147 & note No. 1; De Saulcy, F., Numismatique des Croisades, Paris 1847, p. 5.; Petit, M., Les Siéges Célébres de L'Antiquite, du Moyen Age et des Temps Modernes, 2eme. ed., Paris 1885, p. 90; Besant & Palmer, Jerusalem, p. 189f.; Mambourg, Histoire des Croisades, p. 161ff.

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ ؛
Raimond d' Agilers, op. cit., p. 251.

(٢) Petit, Le Sieges Célébres, p. 90.

(٣) ارجع إلى المصادر والمراجع الآتية : Cafari, V, pp. 52f.; William of Tyre, op. cit, 1, p. 225ff.; Alexiad, p. 279; Roger of Wendover, op. cit., 1, p. 405ff.; Raimond d'Agilers, op. cit., p. 251f. =

وبعد سقوط أنطاكية ، وفى يوم ٥ يونيو ١٠٩٨ م (٠ رجب ٤٩١ هـ) وصلت قوات كربوغا أتابك الموصل وهاجمت الصليبيين واضطرتهم إلى التقهقر والاحتماء داخل الأبراج وخلف الأسوار، وضربت حولهم الحصار فدب الرعب فى نفوسهم واختلت أموردهم (١) .

وفى تلك الأثناء حاول بوهمند بمساعدة المقاتلين الإيطاليين والجنوية القيام بهجوم مضاد على قوات كربوغا ولكنه فشل وصدهم كربوغا فانسحبوا إلى ماوراء الأسوار (٢) . فشدد كربوغا الحصار حول الصليبيين ومن معهم من الجنوية ، وساءت أحوالهم ودب اليأس فى نفوسهم لدرجة أن تسلل بعض القادة اللاتين تحت جنح الظلام وهربوا إلى ميناء القديس سيمون حيث كان الأسطول

= أعمال الفرنجه ، ص ٦٦ وبعدها؛ السلامى: مختصر التواريخ ، ميكروفيلم رقم ١٦٧٩ — دار الكتب — لوحة ٥٣ ب ؛ الكتبى : عيون التواريخ ، جـ ١٣ ، لوحة ٤٠ ؛ الذهبى: دول الاسلام ، جـ٢ ، ص ١٩ — ٢٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٣ — ١١٤ ؛ ابن العماد الحنبلى : شذرات من ذهب ، جـ٣ ، ص ٣٩٦ ؛ عاشور : الحركة الصليبية ؛ جـ ١ ، ص ١٨٨ وبعدها ؛ للاستزادة انظر : The crusades, The Greek and Eastern churches, p. 50f.; Schulmberger, Récits de Byzance, p. 86; Grousset, Histoire des croisades, 1, p. 92ff.

(١) عن كربوغا وحضارة اللاتين بأنطاكية انظر: أعمال الفرنجه ، ص ٧١ ومابعدها وأيضا انظر : Cafari, VI, p. 53ff.; Roger of Wendover, op. cit., I, p. 413. cf. also : LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 340f; Grousset Histoire des croisades, I, p. 96ff. cf.

عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٢٠٥ ومابعدها ؛ محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ١٠٧ ومابعدها .

(٢) Roger of Wendover, op. cit., 1, p. 413.

الجنوى راسيا مع غيره من السفن اللاتينية ، وأشاع هؤلاء الفارون خبر هزيمة الصليبيين وهلاكهم داخل مدينة أنطاكية . فسارعت السفن الجنوية وغيرها من الأساطيل الغربية إلى الابتعاد عن الميناء ولجأت إلى موانئ أخرى أكثر أمنا(١).

ويعلق المؤرخ « بنت » على هروب الأسطول الجنوى وبحارته وتركهم باقى إخوانهم فى أنطاكية يواجهون الأخطار بقوله: «ومهما يكن من أمر وسواء فزع هؤلاء [أى بحارة الأسطول الجنوى] من تلك الشائعات عن الهزيمة ، أو نتيجة رغبة جامحة للسلب والنهب تملكتهم آنذاك، فلا يمكن تحديد الحقيقة والدافع .. فالثابت أنهم قرروا الإبحار بسفنهم وترك الباقين [أى الجنوية المحاصرون داخل أنطاكية] يلاقون مصيرهم وقدرهم »(٢) ، ذلك المصير الذى ساء لدرجة أنهم واللاتين « أكلوا ورق الشجر » (٣) .

ونتيجة لازدياد حالة الفرنجة تعقيدا وانتشار المجاعة بينهم، ولرغبة ريمون الصنجيلى فى إثارة حماسة اللاتين ، وبما عرف عنه من مكر ودهاء ، رتب مع أحد الرهبان حيلة وقال : « اذهب وادفن هذه الحربة فى مكان كذا ثم قل للفرنج بعد ذلك رأيت المسيح [عليه السلام] فى منامى وهو يقول : فى المكان

---

(١) أعمال الفرنجة ، ص ٧٩ – ٨٠ ؛ Roger of Wendover, op. cit., p.413.
وانظر أيضا : Grousset, op. cit., I, p. 99; Runciman, A History of the crusades, 1, p. 238.
والجدير بالذكر أن الأميرة « أنا كومنينا » قالت أن والدها عندما سمع الخبر سارع لنجدتهم ولكن اللاتين ينفون ذلك . انظر :
Alexiad, op. cit., p. 282 f.

(٢) Bent, Genoa, p. 25.

(٣) ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج ٥ ، ص ١٤٧ .

الفلانى حربة مدفونة فاطلبوها فإن وجدتموها فالظفر لكم فهى حربتى » (٣). ونجحت الخطة وانتشرت الشائعة وصلى اللاتين (٤) وصاموا لمدة ثلاثة أيام واكتشفوا الحربة فقويت النفوس وشحذت العزائم . وغادر الصليبيون بعضدهم الجنوية المدينة وهاجموا السلاجقة بحماس المستميت، فهزموهم شر هزيمة فى الثامن والعشرين من يونيو ١٠٩٨م (٢٥ رجب ٤٩١هـ) (٥) .

ويتعجب المؤرخ «أبو المحاسن» من هزيمة المسلمين وانتصار اللاتين رغم ضعفهم وقوة المسلمين فيقول : «والعجب أن الفرنج لما خرجوا إلى المسلمين كانوا فى غاية الضعف من الجوع وعدم القوت حتى أنهم أكلوا الميتة وكانت عساكر الإسلام غاية فى القوة والكثرة ، فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم » (٦) . ولا شك أن سبب هزيمة المسلمين رغم كثرتهم يرجع إلى تفكك قواهم وتناحرهم

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٥ ، ص ١٤٧-١٤٨ . وعن قصة الحربة ونتائجها انظر : اعمال الفرنجة ، ص ٨٢ وبعدها ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٤-١١٥ وايضا : cafari, VII, pp. 55f.

(٢) أعنى باللاتين هنا وعلى امتداد الكتاب الفرنجة عامة بما فيهم الجنوية طالما كانوا يشاركونهم نفس المصير .

(٣) cafari, VI-VII, pp. 53ff., Roger of Wendover, op. cit, 1, pp. 415 ff. ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٤—١١٥ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ ؛ أعمال الفرنجة ، ص ٨٢ ، ٩٢ — ٩٥ . وللاستزادة عن كربوقا وجهاده ضد اللاتين انظر : محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ١٠٧ وبعدها وأيضا : Grousset, op. cit., 1, 102 ff.; Stevenson, op. cit., p. 28 & note No. 2.

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٥ ، ص ١٤٨ .

سياسياً ومذهبيـــاً ، أضف إلى ذلك عدم أخذ كربوغا بالرأى القائل بمهاجمة الصليبيين وهم يخرجون للقتـال « من البـاب متفرقين » مما أضاع على المسلمين فرصـة ذهبيـة لدحر الفرنجة الذين احتشـدوا وهاجموهم وهزموهم؛ لمـا أبداه كربوغا « من الإستهانة لهم » (١) . وفرح اللاتين بانتصارهم خاصة لمـا غنموه من خيول ودواب ومواشى وأسلحـة وأوان ذهبيـة وفضية وغيرها . ومن بين ما حصلوا عليه خيمة كربوغا العجيبة الشأن، فصلحت أحوالهم واستعادوا قواهم المنهارة (٢) . ولما كانت التجارة هى أسمى مراتب الفكر الجنوى المسيطرة عليه لذلك فضل الجنوية أخـــذ الفلفل الأسود بدلا من الذهب مكافأة لهم على المساعدات العظيمة التى قدموها للصليبيين فى أنطاكية (٣) .

المهم أن اللاتين بعد النصر وجمع الغنائم عادوا إلى المـدينة ، حيث عقدوا اجتماعا لتقرير مصير أنطاكية (٤) . فاختلفوا على مصيرها لمطالبة بوهمند بها ، وكذلك طالب بها ريموند الصنجيلى فضلا عن أحقية إمبراطور بيزنطة ألكسيس كومنين فيها طبقا للاتفاق المبرم معه من قبل (٥) . وفى تلك الأثناء كان بوهمند يخطط للسيطرة على المدينة ، فكان أن عقد اتفـــاقا هاما مع الجنوية فى يوم ١٤ يوليو ١٠٩٨م . وذلك لـكى يظهر فى صورة السيد الفعلى للمدينة ، بمقتضاه منح الجنوية حق إقامة أحد الأسواق الخاصة بهم فى مدينة أنطاكية ، وملـكية ثلاثين

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٤—١١٥ .

(٢) أعمال الفرنجة ؛ ص ٩٤—٩٥ ؛ ابن الأثير : الـكامل ، شرحه . انظر أيضا:
Roger of Wendover, I, p. 421.

(٣) **Bent, Genoa, pp. 30, 92.**

(٤) **Cafari, op. cit., VIII, p. 56.**

(٥) عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ؛ ص ٤٤٦ .

منزلا من منازلها ، فضلا عن بئر، وكنيسة القديس جان. وطبقاً لشروط الاتفاقية أقاموا مستودعا خصصوه لبضائعهم ، كما أعفوا من كافة القوانين والوائح المعمول بها فى أنطاكية وقتها وفى المستقبل أيضا، وذلك كله نظير تعهد الجنوية بتعضيد ومساندة بوهمند فى الدفاع عن المدينة ضد أطماع أى عدو منافس له . لقد وافق الجنويه على الفور ، ولكنهم اشترطوا الوقوف على الحياد فى أى صراع ينشب بين بوهمند وبين ريموند الصنجيلى الذى كان لا يزال يحتل بعض المواقع بالمدينة وذلك حرصاً على علاقاتهم الوطيدة مع البروفنساليين والصنجيلى(١). ولقد أشار «كفارو» إلى الاتفاقية وذكر أن بوهمند بعد أن سيطر على المدينة سمح للجنوية بجزء من أنطاكية خاص بهم كما هو مدون بالسجل فى شهر يوليو من عام ١٠٩٨م ؛ (٢) .

إن تلك الاتفاقية التى لا تزال محفوظة بمكتبة جامعة جنوة ، تعتبر أول بقائمة بالامتيازات التى حصل عليها أهالى المدن الإيطالية التجارية عامة فى شمالى الشام (٣) . كما أنها تؤكد أن الباعث الاقتصادى هو وحده الذى دفع الجنوية إلى الإسهام فى الحركة الصليبية ، وفى نفس الوقت تبرهن على صدق الحقيقة القائلة بأن الجنويين لم ولن يهتموا كثيراً بنوعية الشخصية التى تمتلك الشام أو إلى من تنتمى طالما كانت تجارتهم مأمونة ومكفولة (٤) .

(١) **Raimond d'Agilers, p. 261f. cf. Heyd, Histoire du commerce, 1, p. 134; Runciman, op. cit., 1. p. 251.**

(٢) **Cafari, op cit., VIII, p. 56.**

(٣) **Bent, op. cit., p. 92f.**

(٤) **Bent, op. cit., p. 93.**

وهكذا ، وبعد النصر الذى حققه الفرنجه فى أنطاكية بتعضيد من المقاتلين والسفن الجنوية ، بدأ كل من الصليبيين والجنوية استعدادتهم للقيام بدورهم فى المعركة المرتقبة. فبينما كان الصليبيون يجدون لحسم مشكلة أنطاكية ، والصراع حول الشخصية التى تستحقها ، تمهيدا لتوحيد الصفوف والزحف نحو بيت المقدس هدفهم الأول من الحملة ، كان الجنوية ينظمون صفوفهم ويستعدون بجدهم وحديدهم وأسطولهم لمساعدة الفرنجة حتى آخر الشوط ، خاصة بعد ما تذوقوا حلاوة ما اكتسبوه من امتيازات تجارية فى أنطاكية طبقا لاتفاقية ١٤ يوليو ١٠٩٨م ، وبعد ما أشبعوا رغبتهم فى الثأر من المسلمين السلاجقة. وفيما بعد سوف يتحرك الصليبيون يعضدهم الجنوية برجالهم وأسطولهم فى البر والبحر نحو البيت المقدس. وهنا وبعد طول ثبات سيفيق الأفضل الفاطمى من رقاده ويحتل بيت المقدس ويستعد لملاقاة الغزاة ناكثى العهود. وعلى هذا سوف يبدأ أول احتكاك عسكرى مسلح بين الفواطم واللاتين ، ومن خلاله سيتم أول اشتباك حربى عدائى بين الفواطم والجنوية فى البر والبحر ، ترتب عليه ما سنراه بإذن الله تعالى فى الفصول التالية .

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ »

« التوبة : ٣٨ »

الفصل الثالث

العلاقات السياسية بين بين جنوة والفواطم
منذ سقوط أنطاكية فى ٢٨ يونيو ١٠٩٨م حتى موقعة عسقلان
فى ١٢ أغسطس ١٠٩٩ م (٢٥ رجب ٤٩١ - ٢٢ رمضان ٤٩٢ هـ)

- بدء الزحف الصليبي من أنطاكية وموقف الجنوية منه .
- الجنوية والأسطول الجنوى ودورهما أثناء عملية الزحف نحو بيت المقدس.
- موقف القوى الإسلامية فى المنطقة .
- أهمية السيطرة على مدن الساحل بالنسبة للجنوية .
- حصار مدينة عرقة وموقف الجنوية وأسطولهم منه.
- سقوط طرطوسة وأهميتها للأسطول الجنوى .
- موقف الفواطم من الزحف الصليبي الجنوى فى البر والبحر ونتائجه .
- حصار بيت المقدس ودور الجنوية فيه.
- وصول الأسطول الجنوى بقيادة هيو إمبرياكو وشقيقه بريموس وموقف الفواطم منه
- الأسطول الفاطمى يدمر السفن الجنوية فى يافا .
- هجوم الجنوية واللاتين على بيت المقدس واقتحامها .
- موقف الأفضل الفاطمى من سقوط القدس ، وتنصيب جودفرى دي بويون حاميا للضريح المقدس .
- موقعة عسقلان ودور الجنوية فيها ونتائجها .

أوضحنا فى الفصل السابق العوامل التى دفعت أهالى جنوة إلى الإسهام فى الحركة الصليبية منذ بدايتها ، وكيف حقق الصليبيون الغربيون انتصارهم على السلاجقة بفضل مساعدات المقاتلين الجنوية بقيادة قائدهم إمبرياكو الذى أحاط نفسه وجنده وبلده بهالة من الفخار والمجد (١) ؛ لما أبدوه من شجاعة وما صنعوه من أبراج كانت الفيصل فى المعركة . وحتى تتضح حقيقة العلاقات بين جنوة والفواطم فى مصر إبان تلك الحقبة من تاريخ الشرق الأدنى ، والتى تجلت بوجه خاص فى حصار مدينة بيت المقدس وموقعة عسقلان ، ينبغى أن نتناول الخطوط العريضة لسياسة مدينة جنوة أثنــاء الزحف الصليبي المتجه إلى بيت المقدس، وموقفها من الصراع الصليبي الفاطمى حول المدينة المقدسة . وعلى هذا الأساس يمكن تفهم موقف الجنوية من الفواطم وما ترتب عليه من مضاعفات تتمثل فى حدوث أول مواجهة عسكرية بين الطرفين. وعند استعراض العلاقات الجنوية الفاطمية لا يمكن الفصل بين القوى الثلاث التى أدت دورها على مسرح الأحداث وقتذاك وهى : الفرنج والجنوية والفواطم ، ذلك بسبب التشــابك بينها ، فضلا عن تداخل أو تضاد المصالح الخاصة لكل منها .

على أية حال ، بعد انتصــار الصليبيين على قوات كربوغا السلجوقى أمام أنطاكية أضحى الطريق مفتوحا أمامهم إلى الشام ، وانفتح الباب على مصراعيه لتقدمهم نحو بيت المقدس ، وفى أنطاكية حصل الجنوية على مركز تجارى ضخم طبقا لاتفاقية يوليو ١٠٩٨م التى عقدوها مع بوهمند ، الأمر الذى سيترتب عليه سعيهم الدائب للحصول على المزيد من المكاسب (٢) وأخذوا يستمدون

---

(١) انظر: Bent, Genoa, p. 28.

(٢) Bent, op cit., p. 31.

للإلقاء بكامل ثقلهم إلى جانب الصليبيين وتعضيدهم بالرجال فى البر وبالأسطول فى البحر على امتداد الزحف الصليبى نحو بيت المقدس (١) .

وبعد سقوط أنطاكية أضاع اللاتين أكثر من ستة أشهر بالمدينة باذلين جهودهم لإيجاد حلول لمشاكلهم الخاصة (٢) . حيث لم تكن لديهم الأعداد الكافية لحماية المدينة ضد أى هجوم محتمل ، ثم إنه كان لزاما على الصليبيين تنظيم صفوفهم لاستكمال الزحف بالتوجه إلى بيت المقدس للاستيلاء عليه . يضاف إلى ذلك أنهم وجدوا المدينة خاوية من الطعام والمؤن والأسلحة ، فضلا عن شكوكهم فى ولاء سكانها من السريان . وفوق هذا وذاك، كان من المحتم عليهم إيجاد إجابة واضحة لأخطر مشكلة هددت وحدة الصف الصليبى ألا وهى : لمن ستئول ملكية أنطاكية (٣)؟ .

كان من المفروض أن تمنح أنطاكية إلى الامبراطور البيزنطى طبقا لاتفاقية القسطنطينية عام ١٠٩٧م . ولكن بوهمند سارع بتعزيز مركزه فيها وتقوية قبضته على أغلب قلاع المدينة بتوقيع إتفاقيته المشهورة مع الجنوية لتأييده ضد

---

(١) أشار « هايد » صراحة إلى أن أهالى مدينة جنوة كانوا من بين اللاتين الذين ساهموا بفعالية فى صفوف الحملة الأولى منذ بدايتها ، كما ساهموا فى احتلال البيت المقدس . وإن كان قد أضاف أنهم ساهموا فى الحملة منذ البداية بأعداد قليلة بسبب انشغال جنوة بمشاكلها الداخلية وقتها ، ولاشك أن تلك الاشارة قد قطعت الشك باليقين وأثبتت فعالية الدور الذى قام به الجنوية على امتداد الحملة ويتفق هذا مع ما وصلنا إليه من حقائق فى هذا الصدد . انظر :

Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 134

(٢) Michaud, History of the crusades, I, p. 187.

(٣) Runciman, A History of the Crusades, I, p. 236,

أعدائه ؛ وقد حدث ذلك فى نفس الوقت الذى كان فيه ريموند الصنجيلى يسيطر على بعض قلاع المدينة. وخوفا من الشقاق ، وحرصا على وحدة الجيش الفرنجى وبعد ما يئسوا من قدوم الإمبراطور ألكسيس كومنين لمشاركتهم الزحف صوب بيت المقدس، حدد الصليبيون يوم أول نوفمبر من عام ١٠٩٨م (٢ ذوالحجة ٤٩١هـ) موعداً لبدء تقدمهم نحو هدفهم (١) ، خاصة بعد ما علموا بموضوع الرسائل المتبادلة بين ألكسيس كومنين والأفضل الفاطمى لعقد تحالف مشترك بينهما ضد الصليبيين ، الذين كانوا موضع كراهية الإمبراطور البيزنطى (٢) . واتسعت هوة الشقـــاق بين اللاتين والبيزنطيين ، وأصبح الصراع بين بوهمند وألكسيس أمرا متوقعا بين لحظة وأخرى، وهو الصراع الذى أدلى فيه الجنوية بدلوهم سالكين الطريق الذى يتفق ومصالحهم التى كانت فوق كل اعتبار .

ومهما كان الأمر، فقد واصل الصليبيون زحفهم ومعهم العديد من العمال والجند والمهندسين الجنوية وغيرهم من الإيطاليين ، الذين شاركوهم حصار أنطاكية دون مقاومة تذكر. وبدأوا بحصار مدينة معرة النعمان ، ورغم استسلام أهلها يوم ١١ ديسمبر ١٠٩٨م (١٤ محرم ٤٩٢هـ) نظير الأمان ، إلا أن الفرنج نهبوا المدينة وقتلوا الآلاف من سكانها وأحرقوها ورفعوا عليها الصلبان، ناكثين عهودهم كالعادة (٣) . وبعد ما فشل الفرنج مرة ثانية للتوفيق بين

---

(١) Runciman, op. cit., 1, p. 250.

(٢) Grousset, Histoire des Croisades, 1, p. 113.

(٣) Raimond d'Agilers, p. 262ff. ؛ أعمال الفرنجة ، ص١٠٤-١٠٦ ؛ الكتبى : عيون التواريخ ، لوحة ٤١ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٦ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٥ ، ص١٤٩ - ١٥٠ ؛ وللاستزادة انظر :

Stevenson, The Crusaders in the East, p. 30f.; Treece,=

بوهمند النورمانى وريموند الصنجيلى حول مشكلة أنطاكية ، خرج ريموند من المعرة فى يوم ١٣ ينـــاير ١٠٩٩م (١٧ صفر ٤٩٢هـ) على رأس قواته عارى القدمين ، وأعلن بدء الزحف الصليبى على بيت المقدس مباشرة . وتبعه باقى القادة اللاتين فيما عدا بوهمند الذى اتجه إلى أنطاكية حيث أصبح سيدها الأوحد بلا منازع (١) .

تقدم الجيش الصليبى بقيادة ريموند نحو كفر طاب ، وهناك ظلوا حتى ١٦ يناير ١٠٩٩م (٢٠ صفر ٤٩٢هـ) ؛ وأثناء ذلك لحق بهم كل من روبرت النورمانى وتانكرد (٢) . وهناك أيضاً بدأت سفارات أمراء البيوت العربية الصغيرة تفد عليهم منتهزة فرصة انحلال السلاجقة والهزائم التى لحقت بهم ، كى تؤكد استقلالها ، مثال: بنو عمار فى طرابلس وبنو منقذ فى شيزر ، وأمراء حماه وحمص الذين أرسلوا إلى القـــادة اللاتين سفاراتهم لتعلن الولاء وتسعى

The crusades, p. 110f.
=
وكما سبق ذكره فان المقصود بكلمة الفرنجة او اللاتين أو الصليبيين اللاتين عموما ومن ضمنهم من الجماعات الجنوية التى شاركت الصليبيين منذ البداية وبأعداد ضخمة فى البر وفى السفن الجنوية تمدهم من البحر . انظر :

Heyd, Le coloni commerciali, I, p. 150f.

(١) أعمال الفرنجة ، ص ١٠٧ . وانظر أيضا : Grousset, Histoire des Croisades, 1, p. 124f.; Setton, A History of the Crusades, I, p. 326f.; Stevenson, op. cit., p. 31.

(٢) أعمال الفرنجة ، ص ١٠٧ وأيضا انظر: عاشور: الحركة الصليبية، جـ ١ ، ص ٢٢٧ ؛ Runciman, A History of the Crusades, 1, p. 267

لكسب ودهم ومهادنتهم (١)، مما يوضح مدى تفكك وحدة العالم الإسلامى وتغلب الأطماع الشخصية على الصالح العام . وهكذا واصل الفرنجة تقدمهم بسهولة بعد أن ساعدهم دليلان - من قبل أمير شيزر - على عبور نهر العاصى عن طريق مخاضة قليلة الغور (٢) .

ولما كان معظم الجنوية يواصلون الزحف مع باقى الجنود اللاتين تحت لواء ريموند الصنجيلى وقواته ، فمن المرجح أنهم بعد عبور نهر العاصى قد حثوا ريموند على قيادة اللاتين بحذاء مدن الساحل حتى يضمنوا تأمين سفنهم لهم وانتشالهم إذا تهددهم أى خطر . أضف إلى ذلك تطلعهم إلى احتلال مدينة جبلة وغيرها من المدن الساحلية تمهيداً لإقامة مراكز تجارية فيها وتوطين جالياتهم بها . يؤيد ذلك المحاولات المستميتة التى بذلها ، بعض الصليبيين بزعامة ريموند الصنجيلى ، لجعل اللاتين يتخذون مسارهم بحذاء الساحل واحتلال مدينة جبلة الساحلية (٣) ؛ لضمان الحصول على الميرة والعتاد والسلاح من السفن الجنوية واللاتينية الموجودة بالساحل ، والتى كانت تتخذ من ميناءى القديس سيمون واللاذقية قاعدتين لتحركاتها . ومنها كانت تحضر الإمدادات وحاجيات الإعاشة المختلفة التى يحتاجها اللاتين . هذا ، فضلا عن إمكانية ، تأمين الجناح الشرقى

---

(١) أشار (السلامى) إلى أن الصليبيين « ساروا إلى حمص فصالحهم أهلها » . انظر . السلامى : مختصر التواريخ ، لوحة ٥٣ ب . ارجع فى ذلك أيضا إلى : أعمال الفرنجة ، ص ١٠٧ ، ١٠٩ ؛

Runciman, op cit, 1, p. 267; Stevenson, op. cit., p. 31.

(٢) أعمال الفرنجة ، ص ١٠٨ . وأيضا انظر :

Runciman, op. cit., 1, 267.

(٣) عاشور: الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٢٢٨ ؛ Runciman, op cit., 268

الجيش اللاتيني وتسهيل سبل الاتصال بالغرب الأوربي (١) . ولكن تانكرد عارض رأى ريموند الصنجيلي ومؤيديه لقلة عدد الجيش الصليبي ، وعدم قدرته على حصار واحتلال مدن الساحل ؛ مما يشكل خطورة على القوة الضاربة للجيش، التي كانت لا تتعدى ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة . وطالب بالتوجه مباشرة نحو بيت المقدس (٢) ، فإذا ما سقطت فلن يطول بهم الزمن حتى يتوالى سقوط المدن الساحلية الواحدة تلو الأخرى (٣) .

وبالفعل تم الأخذ برأى تانكرد والاتجاه غربا مع الاقتراب من الساحل كلما دعت الضرورة إلى الحصول على طعام أو شراب ، أو معدات وغيرها من متطلبات الحياة من السفن الجنوية الموجودة بالساحل(٤) . وهكذا يتضح الدور الفعال الذي قام به الجنوية في البحر كما سبق وقاموا به في البر، مما سيكون له أثره

---

(١) أشارت المصادر والمراجع صراحة ، وأحيانا بالتعميم إلى اتخاذ اللاتين طريق الساحل لضمان الحصول على الامدادات من الأساطيل الجنوية والبيزية والفلمنكية. في هذا الصدد انظر Raimond d'Agilers, p. 288ff.; William of Tyre, I, p. 330f.; cf. also: Michaud, History of the crusades, I, p. 198; Heyd, Histoire du commerce, 1, p. 133f.; Grousset, Histoire des croisades, 1, p.p. 131, 133; Archer, The Crusades, p. 204.

(٢) Runciman, op. cit., 1, p. 268.

(٣) Raimond d'Agilers, p. 279f.; cf. also: Runciman, Ibid.

(٤) Michaud, History of the crusades, 1, p. 198; Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 133f.; Grousset, Histoire des Croisades, 1, pp. 129, 133.

على مجريات الأمور فيما بعد ، وسيؤدى إلى كفالة النجاح للأهداف الصليبية وبالتالى التمهيد لأول اشتباك مسلح بين الجنوية والفواطم فى البحر والبر .

ومهما يكن ، فقد واصل الفرنجة زحفهم فى الوقت الذى واصل فيه الأسطول الجنوى سيره بحذاء الساحل . وبلغ الصليبيون مصياف يوم ٢٢ يناير ١٠٩٩م (٢٦ صفر ٤٩٢هـ) ، فسارع صاحبها إلى عقد معاهدة معهم طلبا للأمان . ومن هناك اتجهوا إلى بلدة رافانيا التى هجرها أهلها وفيها وجدوا إمدادات من كل نوع . وبعد أن استراحوا بها لمدة ثلاثة أيام ، اتجهوا إلى سهل البقاع ، ففر سكانه إلى قلعة حصن الأكراد يحتمون بها . فهاجمهم الصليبيون واستولوا على الحصن يوم ٢٨ يناير ١٠٩٩م (٣ ربيع الأول ٤٩٢هـ) . وبينما هم هنالك استقبل ريموند رسل أمير حمص ومعهم هدايا نفيسة ، حيث أعلنوا الولاء على ألا يتعرض الجيش الصليبى لبلدهم بأذى (١) . ومن حصن الأكراد اتجه الفرنج إلى بلدة عرقة فأقاموا خيامهم هناك يوم الإثنين منتصف فبراير ١٠٩٩م (٢٠ ربيع الأول ٤٩٢هـ) (٢) . فسارع أمير طرابلس الذى تتبعه عرقة إلى رفع رايات كونت ريموند دى تولوز على أسوار مدينته ، وأبدى استعداده للطاعة والولاء ، متعهداً بدفع الأموال لهم (٣) . وفى أثناء ذلك زحف قسم من الجيش اللاتينى إلى طرطوسة وهى إحدى الموانى الصغيرة الهامة التى تقع فيما بين اللاذقية وطرابلس فاحتلت ليلة ١٦ — ١٧ فبراير ١٠٩٩م (٢٢-٢٣ ربيع الأول ٤٩٢هـ)

---

(١) أعمال الفرنجة ، ص ١٠٨ — ١٠٩ ، للاستزادة انظر : عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢٩ ، وأيضا Runciman, op. cit., 1, p. 269.

(٢) أعمال الفرنجه ، ص ١١٠ . وأيضا انظر : Runciman, op. cit., I, p. 270; Stevenson, The Crusaders in the East, p. 31.

(٣) Raimond d'Agiles, p. 275.

بعد أن هرب حاكمها وسكانها فى جنح الظلام (١) . ولا جدال أن سقوط مدينة طرطوسة كانت له أهمية بالنسبة الصليبيين بعامة والجنوية بصفة خاصة ، حيث اتخذتها السفن الجنوية واللاتينية قاعدة جديدة ـ بالإضافة إلى ميناء القديس سيمون واللاذقية ـ مما أدى إلى تسهيل تحركاتها ومناوراتها، ويسر لها مهمة إمداد الجيش بما احتاجه من مدد وميرة طوال الطريق ، كما سهل إمكانية اتصال اللاتين عن طريق تلك الأساطيل بالغرب الأوربى وأنطاكية وقبرص . ولقد اعترف المؤرخ اللاتينى ريموند اجيل بتلك الأهمية (٢) .

وبعد سقوط طرطوسة زاد طمع اللاتين ، ولربما شجعتهم العناصر الجنوية الإيطالية المندرجة فى صفوفهم على الإسراع باحتلال المزيد من المدن الساحلية خاصة وأنهم حاولوا احتلال مدينة جبلة من قبل (٣) وبالفعل حاصروا جبلة التى أسرع حاكمها المصرى الفاطمى بالتودد إليهم ومهادنتهم ، وتعهد بدفع مبلغ من المال ، فضلا عن الخيل والهدايا النفيسة (٤) . وبعد ذلك عاد الفرنجة لتصدم القوى الجنوية الضغط على عرقة التى حوصرت بلا جدوى لمدة ثلاثة

---

(١) أعمال الفرنجه ، ص ١١٠ . وللاستزادة انظر : Michaud, History of the Crusades, 1, p. 189; Grousset, Histoire des Croisades, 1, p. 133.

(٢) Raimond d'Agilers, p. 276.

(٣) ارجع إلى ص ١٥١ وحاشية ٣، ص ١٥٢ وحاشية ١ (من نفس الفصل).

(٤) Roger of Wendover, 1, p. 425f.

انظر أيضا : عاشور : الحركة الصليبية، جـ ١ ، ص ٢٣١ ; Michaud, op. cit., 1, p. 189 & note No 1.

أشهر (١) . وعلى امتداد تلك الأشهر ذاق الصليبيون والجنوية الأمرين من من جراء المقاومة المنيفة التي واجهتهم بها حامية عرقة ، كما عانوا من نقص المؤن، ومصرع العديد من رجالهم ؛ من بينهم بونزدى بلاسو Bons de Balaso الذى كان حتى وفاته يكتب تاريخ الحملة الصليبية بالتعاون مع ريموندأجيل (٢). وكما فعل الجنويون فى وقت حصار أنطاكية ، قام أيضاً أسطولهم فى ذياك الوقت ، بدوره الإيجابى ، حيث استمرت السفن الجنوية بالتعاون مع غيرها من السفن الإيطالية والانجليزية فى إحضار الإمدادات والذخيرة اللازمة للجيش الصليبى أمام عرقة ، مما أدى إلى إنقاذهم من خطر محقق . ولقد حملت تلك السفن إلى الفرنجة ذخيرة وافرة من القمح والنبيذ واللحم والجبن والشعير والزيت لدرجة أنهم استخدموا ما تبقى منها على امتداد الزحف (٣) . وهكذا قام الجنوية بدورهم الإيجابى بواسطة رجالهم سواء فى البر أو البحر منذ بداية الحملة وعلى امتداد الطريق نحو بيت المقدس (٤) ، مما يكشف عن حقيقة نواياهم وأطماعهم التى كانت فوق كل اعتبار .

ومهما يكن من أمر ، ونتيجة ، لفشل حصار عرقة ، ارتفعت أصوات بعض القادة اللاتين بزعامة جودفرى دى بويون تطالب برفع الحصار والتحرك على

---

(١) أعمال الفرنجه ، ص ١١٢ . وأيضا انظر : Stevenson, op. cit., p.31f ذكرى المقريزى أن الفرنجة حاصروا عرقة « أربعة أشهر فلم يقدروا عليها » . انظر : المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٢٣ .

(٢) Michaud, op. cit., 1, p. 189f.

(٣) أعمال الفرنجه ، ص ١١٢ وحاشية رقم ٣ .

(٤) Heyd, Le Coloni Commerciali, 1, p. 151.

الفور إلى بيت المقدس(١) . وهنا بدأت الأطماع الشخصية فى الزعامة تظهر من جديد بين صفوف اللاتين، فلقد شعر ريموند بمنافسة جودفرى له وزاد التوتر بينهما عند ما وصلتهم رسالة من الإمبراطور البيزنطى ألكسيس كومنين تطالبهم بانتظار حضوره فى أوائل شهر يوليو ١٠٩٩م (شعبان ٤٩٢هـ) وقد عبر فيها عن غضبه واستيائه لسيطرة بوهمند على أنطاكية، وعدم الوفاء بالتعهدات التى تعهد بتنفيذها من قبل . ولكن القادة اللاتين رفضوا الانتظار وأساءوا مقابلة رسل الإمبراطور، وقرروا التوجه مباشرة إلى بيت المقدس ؛ لعدم ثقتهم فى وعود ألكسيس وتخوفهم من مكره وختاله(٢) . وزاد من تخوفهم الاتصالات السرية التى تمت بين ألكسيس والفواطم، حيث كتب الأفضل إلى الإمبراطور يستفسر عما إذا كانت الحملة الصليبية تعمل لحسابه الخاص أم لحسابها هى ، فأجابه ألكسيس بأنه لا علم له بالحركة ولا علاقة له بها(٣) .

وإزاء هذه الأوضاع اتحدت كلمة الصليبيين، وتحركوا من أمام عرقة يوم ١٣ مايو ١٠٩٩م (١٩ جماد ثانى ٤٩٢هـ) بقيادة جودفرى الذى اضطر ريموند أن يتبعه بقوله على مضض . وهكذا تحطمت خطط ريموند فى تكوين إمارة لاتينية يحكمها على غرار إمارة بوهمند فى أنطاكية(٤) . وواصل اللاتين زحفهم

---

(١) Raimond d'Agiles, p. 278.

(٢) William of Tyre, I, p. 326ff.; cf. also Michaud, History of the Crusades, I, p. 194; Runciman, A History of the Crusades, I, p. 272.

(٣) Michaud, op. cit., I, p 194f.; Runciman, op. cit., I, p. 272.

(٤) Stevenson The Crusaders in the East, p. 31f.

فى طريقهم إلى بيت المقدس فى قلب الشام ، بينما كانت الأساطيل الجنوية اللاتينية تسير بحذاء الساحل بحراً (١) . وقد نشطت أكثر فى إمداد الجيش اللاتينى بما احتاجه من القمح والزاد والعتاد ، خاصة بعد ما زاد عدد القواعد البحرية الصليبية باحتلال ميناء طرطوسة (٢) . وهكذا كلما تقدم الزمن ، وكلما تقدم الزحف الصليبى، كلما اتضح الدور الذى قامت به الأساطيل اللاتينية عامة -والسفن الجنوية بصفة خاصة - فى تمهيد السبيل لنجاح الغزوة الصليبية .

وأثناء تقدم اللاتين بعد فشلهم فى حصار عرقة ، رفض أمـــير طرابلس الوفاء بتعهداته المالية لهم ؛ فهاجموه وألزموه الوفاء بتعهداته وإطلاق سراح ثلاثمائة أسير صليبى كانوا لديه، ودفع غرامة كبيرة وإرسال هدايا قيمة لهم (٣). وبعد ذلك غادر الصليبيون طرابلس بصحبة مرشدين من سكانها أرشدوهم إلى الطريق الصحيح المؤدى إلى بيت المقدس، فوصلوا إلى قرب ميناء بيروت يوم ١٩ مايو ١٠٩٩م (٢٥ جماد ثانى ٤٩٢ هـ) (٤) . وحتى ذلك الموقع كان الجيش اللاتينى يواصل سيره بيسر وبلا مقاومة إسلاميــــة تذكر ، تمضيدم

---

(١) Raimond d'Agilers, p. 288 ff.; William of Tyre 1, p. 330; cf. also : Michaud; op. cit., I, p. 198.

(٢) Grousset, Histoire des Croisades, 1. p.133.

(٣) ادعت المصادر اللاتينية كذبا ، أن أمير طرابلس عرض اعتناقه المسيحية إذا هزم اللاتين الفواطم وا حتلوا بيت المقدس . انظر : أعمال الفرنجة ، ص١١٢-١١٣ ، William of Tyre, 1, 328ff.; Raimond d'Agilers, p. 285ff.; Roger of Wendover. Flowers of History, I. p. 426.

(٤) أعمال الفرنجة ، ص١١٣ . وأيضا : William of Tyre, 1 p 330; Roger of Wendover, op cit., 1, p 426.

الأساطيل الجنوية اللاتينية (١). أضف إلى ذلك ماكان يقدمه السكان المسيحيون بالمنطقة من معلومات ومساعدات ، وخاصة جماعات النساك القاطنون فى الجبال المجاورة (٢) .

وهنا ، وقبل الدخول فى تفاصيل التقدم الصليبى ، وجهود الجنوية آنذاك حتى وصول اللاتين الى بيت المقدس ، وبالتالى قبل أن نتعرض لموقف الجنوية من الفاطميين بعد انضمامهم صراحة إلى بنى جلدتهم من اللاتين، ينبغى الإشارة إلى موقف الفواطم من الحملة الصليبية بعدما وصلت إلى شمالى نهر الكلب أول حدود الفواطم بالشام ، وبعد أن اتضحت نواياهم العدوانية نحو مصر الفاطمية. ومن هذا المنطلق يمكن تفهم حقيقة علاقات جنوة بالفواطم من خلال احتكاكاتهم الحربية مع اللاتين .

سبق الإشارة إلى أن الأفضل الفاطمى قد أرسل سفارته المشهورة إلى الصليبيين أثناء حصارهم أنطاكية بالتحالف معهم ضد السلاجقة (٣). وللتمويه، وذرا للرماد فى عيون الفواطم ، وخوفا من تشككهم فى نواياهم الحقيقية، أرسل الصليبيون سفارة برئاسة يوحنا الخادم الجنوى مع الرسل المصريين . على ألا توقع اتفاق تحالف مع الفواطم إلا إذا عرض البلاط الفاطمى ذلك بنفسه(٤). وبدأ الأفضل يوقن تمام اليقين أن هدف اللاتين هو مماطلته وأنهم ليسوا على استعداد لمساعدته فى تحقيق غرضه فى استرداد بيت المقدس من السلاجقة .

---

(١) William of Tyre, I, p. 330. cf. also. Heyd, Le Colonie Commerciali, I, p. 151.

(٢) Michaud, op. cit., I. p. 198.

(٣) انظر ماسبق ص ١٢٥ ، ١٢٦ وحاشية ١، ١٢٧-١٢٩ والحواشى.

(٤) Grousset, Histoire des Croisades, I, p. 147.

لذلك قام باحتجاز السفارة الصليبية لديه ، وشغل أفرادها بحفلات السمر بينما استمد بقواته على الفور للتحرك لانجاز مشروعه (١) .

والجدير بالذكر أن موقف الفواطم هذا ـ من الحملة الصليبية ـ قد أثار ضدهم موجة من الاستياء والانتقادات الشديدة. ولقد تعجب ابن تغرى بردى من ذلك الموقف خاصة بعد الانتصارات التى حققها اللاتين فقال : « ولم ينهض الأفضل بإخراج عساكر مصر ، وما أدرى ما كان السبب فى عدم إخراجه رغم قدرته على المال والرجال ! » وأضاف إن عساكر الشام والموصل قد احتشدوا لقتال الصليبيين عند أنطاكية «كل ذلك وعساكر مصر لم تتهيأ للخروج »(٢) .

ولعل ذلك الموقف السلبى كان مبررا لاتهامات الخيانة التى ألصقها بعض المؤرخين بالفواطم . إذ ألقوا عليهم اللوم باستدعاء الفرنجة لتحطيم السلاجقة السنيين ، والحيلولة بينهم وبين احتلالهم مصر التى سبق أن هددها أتسز بعد انتزاعه بيت المقدس من أيدى الفواطم عام ١٠٧٦م (٤٦٩هـ)(٣) ؛ فيقول ابن الأثير : « وقيل أن أصحاب مصر من العلويين لما رأوا قوة الدولة السلجوقية وتمكنها واستيلاءها على بلاد الشام إلى غزة ولم يبق بينهم وبين مصر ولاية أخرى تمنعهم ودخول الأفسيس (أتسز) إلى مصر وحصرها ، فخافوا وأرسلوا إلى الفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشام ليملكوه ويكون بينهم وبين

(١) Grousset; op. cit., I, p. 148f.

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص١٤٧ ، ١٤٨ .

(٣) إرجع فى ذلك إلى ص ٥٧ من الفصل الأول .

المسلمين والله أعلم » (١)

على أية حال وبعد ، أن استقبل الأفضل السفارة الصليبية ، قام من فوره بالاستعداد لاستعادة بيت المقدس وبسط سيادة الفواطم بالشام ، منتهزا فرصة الفوضى الضاربة أطنابها في الشرق الأدنى بسبب نجاح الغزو الصليبي وهزائم أعدائه السلاجقة . وخرج على رأس جيشه فهاجم بيت المقدس وحاصرها لمدة أربعين يوما . وفي يوم ٢٦ أغسطس ١٠٩٨م (١٥ رمضان ٤٩١هـ) استسلمت المدينة للأفضل بعد ما تغلب عليها ، وضربها بالمجانيق ، وأكرم وأخلى سبيل ابني أرتق بعد أن خلع عليهما ، وعاد الأفضل إلى مصر بعساكره (٢) . وبسقوط بيت المقدس بيد الأفضل وصور من قبل ؛ أصبح جنوب الشام كله بأيدى الفواطم . وما أن حل صيف عام ١٠٩٨م (٤٩١هـ) حتى امتد نفوذ الفواطم فاشتمل على المنطقة الممتدة حتى نهر الكلب عن امتداد الساحل إلى شمالى بيروت . وبدأ الأفضل يقوى من استحكامات بيت المقدس استعدادا لمواجهة الصليبيين (٣) ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٣ . وانظر أيضا رواية أخرى مشابهة فى كتاب ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ٢٠ ، ١٣٣ ، انظر ما سبق ص ٨٨ وحاشية ٣ من الفصل الثانى .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٧ ؛ ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ ، القسم الثالث ، لوحة ٢٢٧ أ ؛ المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ، ص ١١١ ، ٢٠٢ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٥ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ٢١ ؛ وأيضا انظر : William of Tyre, op. cit., 1. p. 333.
cf. also : Runciman, A History of the Crusades. I, p. 265 ff.

(٣) وللاستزادة انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١١٦ – ١١٧ ، ٢٢٧ .
Setton, A History of the Crusades, I, p. 316; Runciman op. cit., I, p. 267.

الذين استفادوا من قصور نظره ، وخدعوه من قبل لعدم تفهمه حقيقة نواياهم ، كما نجحوا في تفتيت وحدة القوى الإسلامية بالشرق ، مما ساعدهم على مواصلة تقدمهم بمعاونهم السفن الجنوية في البحر ، للوصول إلى مدينة بيت المقدس التي كانت آنذاك بأيدي الفواطم . وهكذا أصبح الجنوية والفواطم ، ولأول مرة ، كرهاً أم طوعا ، وجهاً لوجه ، عدوين متنافسين من خلال الصراع الصليبي الفاطمي .

ولا شك أن الصليبيين بعد ما وصلوا إلى نهر الكلب أول حدود الفواطم الشمالية بالشام قد أكدوا للأفضل الفاطمى حقيقة نواياهم . وكان الأفضل قد أعاد السفارة الصليبية بصاحبة سفارة فاطمية قابلت القـادة الصليبيين قرب طرابلس أثناء حصار عرقة (١) ، فى الفترة مابين منتصف فبراير ومنتصف مايو ١٠٩٩م (ربيع أول ـ جماد ثانى ٤٩٢هـ) وأرسل معها إلى زعماء الفرنج هدايا مادية وعينية ، كل حسب مكانته . وأعلن سفراء الأفضل السماح للفرنجة بالحج وزيارة بيت المقدس فى جماعات تتألف من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ فرد على ألا يكونوا مسلحين وألا يبقوا بالقدس أكثر من شهر ، كما طالبوهم بالتوقف فوراً عن الزحف جنوبا ، وأن يعودوا أدراجهم من حيث أتوا . وأضاف السفراء بأن موافقة اللاتين على تلك الشروط تعنى أن يصبح الفواطم نعم السند لهم ، وأنه فى حالة الرفض سوف تواجههم جيوش المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلا أن الصليبيين رفضوا الفكرة وأعلنوا أنهم سوف يقومون بالحج فعلا كجيش واحد وليس فى جماعات . وأقسموا على تحرير « الضريح المقدس »

---

(١) William of Tyre, op. cit., I, p. 325f.; cf. also : Michaud, History of the Crusades, I, p. 194f.

من أيدى الفواطم ، وهددوا السفارة الفاطمية بغزو مصر ذاتها (١) .

ومهما يكن من أمر ، فقد بدأ الصليبيون زحفهم بعد وصولهم بيروت ، واتجهوا إلى صيدا فوصلوها يوم ٢٠ مايو ١٠٩٩م (٢٦ جماد ثانى ٤٩٢هـ)(٢) . ثم مروا بصرفند وصور (٣) ، وهناك انضم إليهم بعض فرسان أنطاكية والرها للمشاركة فى الزحف (٤) . فاتخذوا طريق الساحل لضمان الحصول على مايحتاجون إليه من ميرة وإمدادات من السفن الجنوية وغيرها من السفن اللاتينية التى كانت تسير قرب الشاطىء . وواصل اللاتين تقدمهم بحذاء الساحل بجانب الأسطول الجنوى . ومروا بعكا التى سارع حاكمها المصرى الفاطمى بإرسال ما يحتاجونه من إمدادات ووعدهم بالولاء والطاعة بعد أن يصبحوا سادة البيت المقدس(٥) . ويرجح أن حاكم عكا قد سارع بإعلان الولاء والطاعة كرها بعد أن وجد نفسه محاطا بالصليبيين من البر والأسطول الجنوى من البحر . ومن عكا اتجهوا إلى حيفا ثم قيسارية فأرسوف ومنها عرجوا إلى الداخل فى اتجاه بيت المقدس ،

---

(١) Michaud, op. cit., 1, p. 195f. وعن السفارة ونتائجها انظر : Cafari, IX, p. 56; William of Tyre, op. cit., I, p. 325f.; Raimond d'Agilers, p. 277. cf. also : Watson, C., The Story of Jerusalem, London 1929, p. 172;

(٢) William of Tyre, op. cit., 1, p. 331; Roger of wendover, 1, p. 426

(٣) Roger of wendover, 1, p. 426; cf. Michaup, op. cit., 1, p. 198; Grousset, Histoire des Croisades, 1; p. 150.

(٤) عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٣٩ .

(٥) William of Tyre, op. cit., I, p. 332; cf, Michaud, History of the Crusades, I, p. 199,

فوصلوا الرملة التى وجدوها خالية بعد أن هجرها سكانها خوفا منهم (١). ومن الرملة اتجه اللاتين إلى مدينة اللد حيث تركوا بها حامية صغيرة لتأمين الطريق إلى الساحل (٢)، ولضمان الحصول على الإمدادات القادمة عبره من الأسطول الجنوى اللاتينى (٣).

وعلى أية حال، فلقد عقد الصليبيون مجلسا حربيا فى مدينة الرملة فى الفترة من ٣ إلى ٦ يونيو ١٠٩٩م (١١ إلى ١٤ رجب ٤٩٢هـ). وفكر بعض القادة اللاتين فى الزحف مباشرة على الفواطم وغزو الدلتا فى قلب مصر، لتأمين وجودهم فى الشرق بعد أن تيقنوا بأن مفاتيح بيت المقدس والشرق الإسلامى كله - وهذا حق - توجد فى القاهرة (٤). إلا أن غالبية القادة اللاتين رفضوا الفكرة لقلة إمكاناتهم وقتذاك. ومع ذلك ستظل فكرة احتلال مصر وكتلكتها

---

(١) أعمال الفرنجه، ص١٤١؛ William of Tyre, op. cit., I, p. 332f.; cf. also : Grousset, op. cit., I, p. 150; Stevenson, The Crusaders in the East, p. 33.

(٢) Grousset, op. cit., I, p. 150.

(٣) William of Tyre, op. cit., I, p. 330.

أشار هنرى تريس H. Treece إلى أن اللاتين اتخذوا الطريق الساحلى أثناء التقدم نحو بيت المقدس كى يحصلوا على الامدادات من حين لآخر من السفن الايطالية والبيزنطية. انظر: Treece, The Crusades, p. 112 بينما ذكر (ميشو) صراحة اسم (السفن الجنوية والبيزية) انظر :

Michaud, op. cit., 1, p. 198.

(٤) Raimond d'Agilers, p. 291f.; cf. also : Michaud, op. cit., I, p. 200f.; Chalandon, Histoire de la Iere. Croisade, p. 267.

تراود خيالهم ، فى محاولة لتحقيقها طوال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين (القرنان السادس والسابع للهجرة) ، مثل حملتى جان دى بريين (١٢١٨ - ١٢٢١م / ٦١٥ - ٦١٨هـ) ولويس التاسع (١٢٤٨ - ١٢٥٠م / ٦٤٦ - ٦٤٨هـ) (١) . وفى نهاية الأمر تقرر العدول عن فكرة مهاجمة مصر ، واستقر رأى الفرنج على التوجه مباشرة إلى بيت المقدس تاركين الرملة يوم ٦ يونيو ١٠٩٩م (١٤ رجب ٤٩٢هـ) ؛ خاصة بعد ما علموا بإرسال الفواطم النجدات من مصر لتقوية تحصينات وأسوار بيت المقدس تحت إشراف حاكمها افتخار الدولة الفاطمى (٢) . وفى يوم الثلاثاء ٧ يونيو ١٠٩٩م (١٥ رجب ٤٩٢هـ) وصل الصليبيون أمام أسوار بيت المقدس وبدأوا حصارها . وصور وليام الصورى وغيره من المؤرخين اللاتين مشاعر الفرح والسرور التى سيطرت على الفرنجة ، وكيف أن مآقيهم قد فاضت بالدموع عند ما شاهدوا المدينة المقدسة ، وترجل الفرسان وساروا جميعا عراة الأقدام (٣) .

---

(١) Grousset, Histoire des Croisades, I, p. 151

للاستزادة انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٢٤٠ ، والمزيد عن تفصيلات هاتين الحملتين ونتائجها ودور الجنوية فيها ، انظر كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١ - ١٢٩١م / ٥٦٧ - ٦٩٠ هـ) ، ص ٢٠٧ - ٢٢٤ ، ٢٣٦-٢٦٥ .

(٢) Albert d'Aix, p. 292; cf. also, Michaud, History of the Crusapes, 1, p. 204.

(٣) William of Tyre, op. cit., 1, p. 338; cf. also : Michaud, op. cit., I, p. 202.

وعن طبوغرافية المدينة المقدسة انظر :

وهنا أزفت ساعة المواجهة ، والتقى الخصمان الصليبي والفاطمى ، ومن خلال تلك المواجهة الدامية ، سيكون لقاء الفواطم والجنوية وجها لوجه فى ميدان القتال ، بعد أن كان لقاؤهما فيما مضى لقاء سلميا فى الميدان الاقتصادى قبيل الحركة الصليبية . وإن دل هذا على شىء ، فإنما يدل على أن الحركة الصليبية التى قام بها الغرب اللاتينى ضد المشرق الإسلامى قد أثرت على علاقات المسلمين - فى المنطقة- بالجاليات التجارية الإيطالية ، وعلى وجه الخصوص علاقة الفاطميين بالجنوية التى كانت قبيل الحركة الصليبية على أحسن مايرام ؛ وساءت إلى حد بعيد منذ قيام الحملة الصليبية الأولى .

ومهما يكن من أمر ، وعند ما بلغ الفرنجة بيت المقدس ، كان حاكمها افتخار الدور الفاطمى قد بدأ ينظم صفوفه استعداداً لقتال الصليبيين ، تعضده حامية فاطمية قوية (١). فقام على الفور بتقوية الاستحكامات وسد ما فى الأسوار من ثغرات ، وأعد الآلات والمعدات الحربية وشحن الأسوار والأبراج بالمقاتلة والسلاح (٢). ومن باب الاحتياط موّن مخازنه بالزاد والميرة ، وصهاريجه بالمياه

William of Tyre, op. cit., I, p. 339ff.; Roger of Wendover, = op. cit., 1, p. 439ff.; cf. also : Michaud, op cit., I, p. 202ff.; Watson, The Story of Jerusalem, p. 1 f.

(١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٧٠ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٥ ، ص ١٤٨ ؛ ابن الجوزى : مرآة الزمان ، لوحة ٢٣٤ ب ؛ وأيضا انظر :

Michaud, History of the Crusades 1, p. 204; Grousset, Histoire des Croisades, I, p. 152; Runciman, A History of the Crusades, I p. 279f.

(٢) Watson, the Story of Jerusalem, p. 173f.; Chalandon, Histoire de La lere. Croisade, p. 269; Runciman, op. cit., I, 279f.

عما يكفيه مدة طويلة ؛ لحين قدوم النجدات من مصر . كما قام افتخار الدولة بتسميم الآبار القريبة خارج المدينة ، وساق قطعان الأغنام والمواشى إلى أماكن آمنة داخل الكهوف والمغارات(١) . وزيادة فى الحذر أبعد افتخار كل المسيحيين عن المدينة (٢) . ولا شك أن تلك الحركة تدل على التعقل لتأمين ظهر حاميته أثناء القتال .

وبعد ما استعد اللاتين بما لديهم من عتاد وسلاح ، نظموا صفوفهم لبدء الهجوم الشامل عن المدينة على النحو التالى : عسكر كل من دوق نورمانديا ، وكونت فلاندرز ، وتانكرد بقواتهم فى الناحية الشمالية على امتداد المسافة فيما بين بوابة هيرود Herod وبوابة سيدر Cedar أو القديس ستيفن St. Stephen. وبالقرب منهم تم ترتيب القوات الإنجليزية بقيـــادة دوق ألين فيرجنت Alen Fergant بالقرب من الفلمنكيين والنورمان والإيطاليين (٣) . ويرجح وجود الجنوية فى هذا الموضع ، وإن كان « ميشو » قد أطلق عليهم هم وغيرهم من مقاتلى المدن التجارية إسم الإيطاليين . أما جود فرى ، فقد استعد بقواته فيما بين الشمال والغرب ، بين بوابتى دمشق ويافا ، وبجـــانبه كونت تولوز الصنجيلى . وأقام ريموند أوف أورانج بقواته يمين جود فرى فيما بين الجنوب والغرب . وبصعوبة بالغة حاصر اللاتين الناحيتين الشرقية والجنوبية الشرقية

---

(١) أعمال الفرنجه ، ص ١١٦ وأيضا : Cafari, IX, p. 56; Raimond d'Agilers, p. 292ff.

(٢) Foucher de Chartres, *R.H.C.*, T. III, p. 357ff.; cf. also: Michaud, op. cit., 1, p 207.

(٣) انظر : أعمال الفرنجة ، ص ١١٤ ؛ أيضا : Michaud, op. cit., 1, p. 205; Chalandon, op. cit., p. 269.

لوعورتها (١) .

وفي يوم ١٢ يونيو ١٠٩٩م (٢٠ رجب ٤٩٢هـ) ، وبعد أن رتب الفرنج صفوفهم ، بدأوا يصدهم الجنوية بأول هجوم على مدينة بيت المقدس ، وتم أول احتكاك عسكري مسلح بين الجنوية والفواطم منذ تلك اللحظة . ولقد قاومتهم الحامية الفاطمية بشدة فصبت عليهم الزيت المغلى والزفت الملتهب والأحجار الضخمة ، وفشل أول هجوم صليبي على المدينة المقدسة (٢) . ومن الجدير بالذكر أن الحامية الفاطمية لم تكتف بقتال اللاتين والجنوية من وراء الأسوار ، بل قامت بأعمال تدل على البطولة والشجاعة ، حيث قامت بنصب عدة كمائن للصليبيين ؛قتلت خلالها عديداً من أفرادهم الذين خرجوا للبحث عن المياه التي كانت تبعد عنهم بحوالي ستة أميال (٣) . فساءت أحوال اللاتين وقاسى معهم الجنوية من العطش وقيظ الصيف ، وكان من الممكن أن ينتصر عليهم الفواطم لو حدث وهاجموهم آنذاك (٤) . واضطر كثير من الفرنج للفرار إلى ميناء يافا ، بحثا عن سفينة ترضى بأن تنقلهم إلى بلادهم للنجاة بحياتهم بعد ان تعمدوا في مياه نهر الأردن (٥) .

(١) ارجع إلى أعمال الفرنجة ، ص ١١٤-١١٥ Raimond d'Agilers, p. 293 cf. also : Michaud, History of the Crusades, 1. p. 206; Chalandon, op. cit., p. 269.

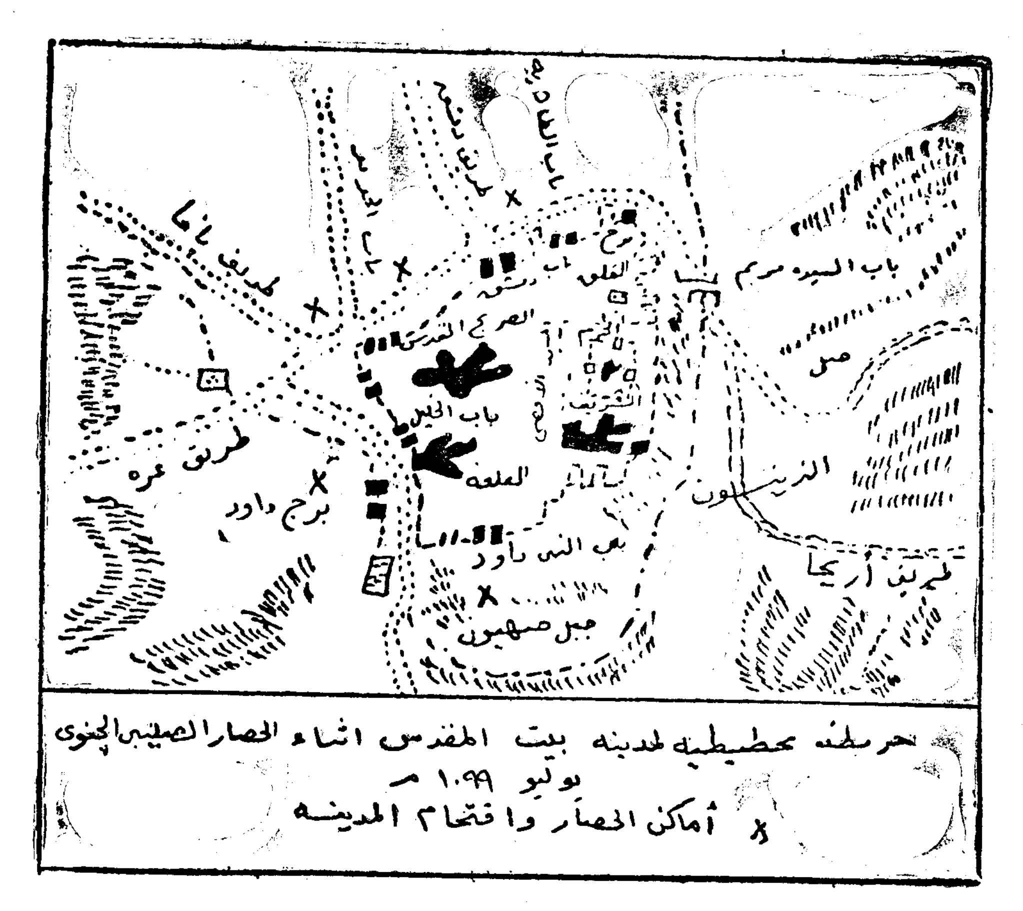
انظر لوحة (٢) بالصفحة التالية

(٢) أعمال الفرنجة ، ص ١١٥ والحواشي ، وأيضا Raimond d'Agilers, p. 293 cf. Michaud, op. cit., 1, p. 208.

(٣) Michaud, op. cit., 1, p. 210; Runciman, A History of the Crusades, 1, pp. 281, 283.

(٤) Michaud, op. cit., 1, p. 210.

(٥) Raimond d'Agilers, p. 295.



خريطة تخطيطية لمدينة بيت المقدس اثناء الحصار الصليبي الجنوي
يوليو ١٠٩٩ م
X أماكن الحصار واقتحام المدينة

لوحة رقم (٢)

ونتيجة لسوء أحوال اللاتين وانتشار الأوبئة بينهم ؛ قرروا القيام بهجوم على المدينة ولكنهم فشلوا (١) . وهنـــا سقط فى أيديهم ويأسوا من جدوى الهجوم لعدم توافر آلات الحصار وخاصة الأبراج ، فعقدوا مجلساً حربياً يوم ١٢ يونيو ١٠٩٩ م (٢٣ رجب ٤٩٠ هـ)، قرروا فيه البدء على الفور فى بناء تلك الأبراج والآلات . ثم بدأوا البحث عن الأخشـــاب فى الغابات المجاورة بمساعدة السكان المسيحيين بالمنطقة (٢) . ولاغرو أن المهندسين والعمال والبحارة الجنوية الذين كانوا يقاتلون اللاتين وقت الحصار (٣) ، هم الذين عرضوا فكرة بناء تلك الأبراج ، خاصة وأنهم مشهورون ببراعتهم فى فن بناء المعدات والآلات الحربية (٤) ، وقد سبق أن أثبتوا عبقريتهم فى هذا المضمار أمام أسوار أنطاكية ، كما ذكرنا آنفا .

وفى يوم ١٧ يونيو ١٠٩٩م (٢٥ رجب ٤٩٢ هـ)، وبينما هم يعملون فى بناء تلك المعدات ، علموا بقدم سفينتين جنويتين ، كانتا قد وصلتا إلى ميناء يافا الفاطمى محملتين بالزاد والعتاد، والحبال والمسامير والأخشاب وغيرها ، مما يتطلبه العمل ، لإعداد مثل هذه الأبراج والآلات . وكانتا بقيادة أمير البحر الجنوى وليام إمبرياكو وشقيقه بريموس (٥) . فعمت الفرحة النفوس ، وسارعت

(١) أعمال الفرنجة ، ص ١١٦-١١٧ Raimond d'Agilers, p. 293

(٢) Albert d'Aix, p. 466f.; cf. *Runciman*, op. cit., 1,p.282.

(٣) Runciman, op, cit., I, Appendix II, p. 337.

(٤) Hichaud, History of the Crusades, 1, p. 102&note No.1

(٥) Cafari, IX, p. 56f.; William of Tyre, 1, p. 355ff.

أعمال الفرنجة، ص١١٥ .

وللاستزادة انظر : Heyd, Le Colonie Commerciali, 1, p. 182; =

مجموعة من الفرسان اللاتين لاستقبالهم ، وكاد الفواطم القادمون من عسقلان أن يقضوا على هؤلاء اللاتين لولا أن سارع ريموند بيليه بقواته لإنقاذهم(١) وبعدها ، سارع لنجدة الجنوية فى يافا ، حيث علم باحتراق السفينتين الجنويتين السابق ذكرهما تماما ؛ نتيجة هجوم بحرى قام به الأسطول الفاطمى على الجنوية بغتة(٢). تم ذلك بعد ما استطاع وليام إمبرياكسو وشقيقه ومن معهما من مهندسين وجند وبحارة جنوية أن ينزلوا إلى الشاطىء ؛ وكانوا قد استطاعوا تفريغ حمولة السفن من العدد والآلات والأخشاب ـ قبل نزولهم ـ واحتموا فى قلاع يافا التى هجرها سكانها . وبما عرف عن الجنوية من مقدرة على الرماية بالسهام ، قابلوا رجال الأسطول الفاطمى بوابل من سهامهم فأبعدوهم عن الميناء (٣) .

Oldenbourg, Les Croisades, p. 152; LaCroix, La Chevalerie= et Les Croisades, p. 166.

(١) Roger of Wendover, op. cit., 1, p. 429f.; Raimond d'Agilers, p 295 cf. also : أعمال الفرنجة ، ص ١١٥-١١٦ .

وللاستزادة انظر : Campbell, The Crusades, p. 145; Besant, Jerusalem p. 203.

(٢) Cafari, IX, p. 57. cf. Heyd, Histoire du Commerce 1, p. 135

الجدير بالذكر أن رانسمان ذكر أن العمارة الجنوية التى قدمت إلى يافا كانت، تتكون من ست سفن ، اثنتان منها تتبع الجنوية وأربعة إنجليزية . وقال إن الأسطول الفاطمى هاجمها بعد أن حاصرها ودمرها باستثناء سفينة إنجليزية هربت من الحصار إلى اللاذقية . وتم ذلك بعد أن غادر البحارة السفن قبل التدمير وانجهوا بالمعدات الى المعسكر الصليبى بقيادة ريموند بيليه . انظر :

Runciman, op. cit., 1, p. 282.

(٣) Cafari, IX p. 57; Raimond d'Agilers, p. 295cf. Bent, Genoa, p. 28.

مهما كان الأمر ، وبعد إنسحاب الفواطم وحضور قافلة الحراسة اللاتينية ؛ تحركت مجموعات البحارة والمهندسين الجنوية بقيادة وليام إمبرياكسو حاملة معها الإمدادات والمعدات تحت حراسة ريموند بيليه وفرسانه . وبعد وصولها إلى المعسكر الصليبى إنضمت إلى صفوف اللاتين (١) مع باقى اخوانها الجنوية . وعمت الفرحة النفوس لقدومهـــا ، وبخاصة لقدوم وليام إمبرياكـو أعظم المهندسين شهرة فى فن تشييد أبراج ومعدات الحصار والقتال آنذاك . وكان الفرنج لا يزالون يذكرون دوره فى سقوط أنطاكية من قبل .

وتحول المعسكر الصليبى إلى خلية نحل ، ملكتها الجنوية والشغالة هم اللاتين الذين شاركوا جميعا بما فيهم النساء والأطفال والشيوخ فى جمع الأخشاب اللازمة لبناء تلك الأبراج من كل حدب وصوب (٢) وسخروا الأسرى المسلمين فى حملها ، وكذلك ساهم الأمراء اللاتين أنفسهم فى عمليات الإشراف على البناء وإقامة الأبراج (٣) . وعلى الفور تحول الجنوية بقيادة إمبرياكو وشقيقه إلى

---

(١) يلاحظ أن (هايد) و (ستيفنسون) قد أشارا إلى أن الجنوية بعد مغادرتهم السفن ووصولهم المعسكر الصليبى انضموا إلى قوات ريموند . ولاشك أن تلك الاشارة تعد دليلا جديدا على وجود جنوية مع اللاتين على امتداد الزحف مع قوات ريموند ، كما تؤكد قوة علاقة الجنوية بريموند الصنجيلى والبروفنساليين انظر :

Heyd, Le Colonie Commerciali, I, p. 152; Stevenson, The Crusaders in the East, p. 34.

(٢) أعمال الفرنجة ، ص ١١٧ وأيضا انظر : Michaud, History of the Crusades, I, p. 212; Schulmberger, op. cit., 1, p. 91f.

ذكر « كامبل » وصفا دقيقا لآلات الحصار التى أعدها الجنوية . انظر :

Campbell, The Crusades, p. 146.

(٣) Michaud, op. cit., I, p. 212.

مهندسين استشاريين يتمتعون بأهمية خاصة لدى الجيش الصليبى المحاصر للمدينة (١) . وبدأوا على الفور فى بناء الأبراج وآلات الحصار مثل الكباش والمنجنيقات، كما صنعوا أسقفاً مضادة للنيران مغطاة بالجلود (٢) ، ويرجح أنها قد خصصت لحماية المشاة أثناء الزحف لدك الأسوار بالكباش وأثناء تحريك الأبراج ودفعها (٣) .

وكان أعظم ما أقامه الجنوية من آلات ومعدات هى الأبراج المتحركة الثلاثة ، ولقد أوردت المصادر والمراجع وصفا طريفا لإحداها . وطبقا لما اتصف به كان يتكون من ثلاثة طوابق . خصص الطابق الأول للعمال الجنوية الذين كلفوا بإدارة عجلاته وتحريكه نحو الأسوار . وخصص الطابقان الثانى والثالث للمقاتلين المنوط بهم القيام بالهجوم على المدينة . وكانت الأبراج الثلاثة أكثر ارتفاعا من السور بحيث يستطيع من فيها الكشف عن بداخل المدينة . كما غطيت من الخارج بالجلد واشتملت على منجنيق يعتقد أنه لقذف المدينة بالسوائل الحارقة؛ وأعلى الأبراج شيد بطريقة خاصة بحيث يمكنه الانحناء بواسطة مفصلات فيصبح على هيئة قنطرة أو كوبرى ، يستطيع الغزاة الجنوية واللاتين عن طريقه الوصول إلى أسوار المدينة بعد إسناده عليها . وبهذا

---

(١) Raimoud d'Agilers, p. 298 cf. also : Oldenbourg. Les Croisades, p. 152f.

(٢) Michaud, op. cit., 1, p. 212.

(٣) ذكر المؤرخ المجهول ان اللاتين بعد يأسهم من إيجابية الهجوم الأول، اجتمعوا وتدارسوا « الوسائل التى يهاجمون بها المدينة بواسطة الكباش حتى يتمكنوا من دخولها ... وكانوا يجلبون الأخشاب من آفاق قاصية » انظر : أعمال الفرنجة ، ص ١٢٦-١١٢ .

يسهل عليهم اقتحام الأسوار والقضاء على الحامية الفاطمية والانقضاض على المدينة ذاتهـــا (١) .

وعلى أية حال ، بعد ماتم إعداد الأبراج ساروا جميعاً فى موكب دينى يتقدمهم رجال الدين والأمراء حفاة الأقدام (٢) . وفى يوم الثلاثاء ١٢ يوليو ١٠٩٩م (٢٠ شعبان ٤٩٢هـ) ، بعد أن أثار رجال الدين حماسهم بالخطب هبطوا جميعـاً من فوق جبل الزيتون بعد أن أقسموا يمين الولاء والإخلاص للصليب ؛ وتم تحديد فجر الخميس ١٤ يوليو ١٠٩٩م (٢٢ شعبان ٤٩٢هـ) موعدا للهجوم بعـــد تحديد مهمة كل قائد (٣) . كما تم تصفية المشاكل فيما بين القادة اللاتين ، وتعاهد ريموند وتانكرد على الوفاء والتضحية من أجل الصليب (٤) .

وتحت جنح الظلام نظم اللاتين قواتهم ووضعوا الأبراج فى أماكنها، بحيث كان برج جودفرى دى بويون فى الناحية الشرقية قرب بوابة سيدار (٥) ، مما يدفع للاعتقاد بأن الجنوية واللاتين بقيادة جودفرى قد اقتحموا المدينة

---

(١) عن وصف تلك الأبراج انظر : **Michaud**, **History of the Crusades**, 1, p. 212f.; **Watson**, op cit., p. 147; Bent, Genoa, p. 28.

(٢) **Raimond** d'Agilers, p. 295ff.; **Roger of** Wendover, 1, p. 430cf. **Michaud**, op. cit., 1, p. 213 ff

(٣) Michaud, op. cit, 1, p. 213ff.; Watson, op. cit., p. 174

(٤) Raimond d'Agilers, p. 296f.

(٥) Raimond d'Agilers, p. 297cf. Michaud, op cit., 1, P. 216 f.

من الناحية الشرقية قرب تلك البوابة (١) . كما تم وضع البرجين الآخرين بعد صعوبة كبيرة فى موضعهما تحت قيادة تانكرد وريمـوند كونت تولوز (٢) .

وما أن بزغ فجر الخميس ١٤ يوليو ١٠٩٩ م (٢٢ شعبان ٤٩٢ هـ) حتى فوجىء رجال الحامية الفاطمية بالمدينة وقد حوصرت تماما ، والأبراج تعلو الأسوار . وعلى الفور بدأ الهجوم واحتدم القتال وتحت حماية الأسقف المتحركة ومن داخل الأبراج ، شارك الجنوية وإخوان إمبريا كو اللاتين فى قتال الحامية الفاطمية من الشمال والشرق والجنوب ، وسط صليل السيوف وصياح « الجنود والعمال » اللاتين والجنوية الذين كانوا يهتفون « تلك إرادة الله » . واقد واجه الفواطم الهجوم الجنوى اللاتينى بشجاعة ، وردوا على السهام والنبال بالمثل ، وصبوا القار المغلى والزيوت على رؤوس المهاجمين (٣) . كما نجحوا فى تدمير برج ريموند فأصبح حطاما ؛ ولا ريب أن من بداخله من الجنوية واللاتين قد لقـوا حتفهم جميعا (٤)؛ كما أصابت ضربات الحامية الفاطمية برجى جودفرى وتانكرد بعطب عوقهما عن التحرك . وهكذا فشل الهجوم فى تحقيق هدفه باقتحام المدينة

---

(١) أعمال الفرنجة ، ص ١١٧ ، انظر أيضا : Michaud, op. cit., 1, p. 216f. & note No. 1.

(٢) Watson, the Story of Jerusalem, p. 174.

(٣) Roger of Wendover, 1, p. 430f. cf. Michaud, op. cit., 1; p. 217f.; Watson, op. cit., p. 174.

(٤) ذكر ابن الأثير أن الفرنجة نصبوا على المدينة « برجين أحدهما من ناحية صهيون وأحرقه المسلمون وقتلوا كل من به » انظر . ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٧ .

أو النيل من عزائم رجال الحامية الفاطمية (١) . فاضطر الصليبيون إلى الانسحاب استعدادا لهجوم جديد . ولقد قضى اللاتين والجنوية الليل فى إصلاح العطب فى البرجين المعطلين وتنظيم صفوفهم . وفى صباح يوم الجمعة ١٥ يوليو ١٠٩٩ م (٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ) (٢) ، تحرك الجنوية بقيادة وليام إمبرياكو وشقيقه بريموس بالبرجين . ويعتقد أن كل واحد منهما خصص لقيادة أحد البرجين ، مما يؤكد أن الجنوية بالتالى كانوا أول من أقتحموا المدينة .

ومهما يكن من أمر ، هاجم الجنوية واللاتين الحامية الفاطمية بحماس دون مبالاة بما تلقيه عليهم من أحجار وزيوت ونفوط ملتهبة ، خاصة بعد أن قبضوا على رسولين أرسلهما الأفضل الفاطمى لحث الحامية على الاستبسال لحين قدومه بالنجدة (٣) وازداد حماس الجنوية للقتال بعد ما شاهدوا قديسهم وراعيهم « جورج » ينحدر من أعلى الجبل مسرعا لمساعدتهم على حد زعمهم ؛ فصاح الجنوية هللين تحية لهذه البشارة (٤) . وانقضوا على الأسوار بعددهم وحديدهم ،

---

(١) William of Tyre, 1, p. 361ff.; Roger of Wendover, 1, P 331 cf. Michaud, op. cit., 1, P. 217 f., Watson, op. cit., p. 174.

(٢) ابن أبى السرور : النزهة الزهية فى ذكر من ولى مصر والقاهرة المعزية ، ميكروفيلم رقم ١٧١٨ — دار الكتب ، لوحة ١١ ب ؛ مرعى المقدسى : نزهة الناظرين ورقة ٢٠٧ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص٢٣ ؛ ابن الاثير : الكامل جـ١٠ ، ص ١١٧ .

(٣) Michaud, History of the Crusades, 1, p. 219 f.; Schulmberger, Recits de Byzance, 1, p. 97f.

(٤) William of Tyre, 1, p. 360; Roger of Wendover, 1, P. =431 f. cf, Campbell, The Crusades, p 148; Bent, Genoa, p.28

خارج وداخل الأبراج ، وبين صفير السهام وصيحات النصر التى كان يطلقها الجنوية واللاتين ، استعد جود فرى لاقتحام المدينة بالبرج الذى حاول رجال الحامية الفاطمية تعويق تقدمه بأسياخ حديدية ثبتوها بالأسوار لهذا الغرض، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ورغم ماتساقط على الجنوية واللاتين من زيوت ملتهبة وأحجار،فقد نجحوا فى تقريب البرج من السور،وبواسطته نجح جودفرى وشقيقه أوستاس فى عبور الكوبرى الموجود أعلاه وتبعه من كان معه من الجنوية واللاتين ؛ فاقتحموا الأسوار ثم ولجوا الى داخـــل المدينة (١) . وبسرعة خاطفة انقضوا على كل من قابلهم يقتلون ويذبحون . وهكذا قتل وذبح الجنوية العديد من المسلمين الذين كانوا يدافعون عن المدينة فى هذا اليوم (٢). وبالمثل لابد أن اخوانهم ممن كانوا بصحبة تانكرد قد اقتحموا المدينة عن طريق الحبال والسلالم . وهكذا اقتحم الجنوية واللاتين أصحاب جود فرى وتانكرد معا بوابة القديس ستيفن ودمروها بالبلط . وفتحت المـــدينة على مصراعيها ، وتسابق الجميع جنوية ولاتين لتوجيه الضربة الأخيرة للمسلمين الفواطم ، تتملكهم رغبة جامحة للثأر(٣).

وبلغ من وحشية اللاتين وتعصبهم الأعمى ، أنهم بقيادة جودفرى وتانكرد

= عن دور الأبراج الجنوية فى تحقيق النصر انظر : Cafari, IX, p. 57; Bent, Genoa p. 29; Michaud, op. cit., 1, p. 212ff.

(١) William of Tyre, 1, p. 368f.; Roger of wendover, 1 p 432, cf. Bent, Genoa, P. 28; Campbell, op. cit, P. 148.

(٢) Cafari, IX, p. 57; William of Tyre, I, P. 368ff.

(٣) William of Tyre, I, P. 369ff cf. also Michaud op. cit., 1, p. 2?2f.

قد اقتحموا المسجد الأقصى ؛ وقاموا فيه بمجزرة بشعة راح ضحيتها آلاف النساء والأطفال والشيوخ. وبلغ من فظاعتها طبقا لأوصاف شهود العيان اللاتين أنفسهم أن الصليبيين كانوا خلالها يخوضون حتى ركبهم في بحر من الدماء (١). وهكذا مارس الجنوية هوايتهم، وأشبعوها بالاشتراك في تلك المذبحة. ولم يكتف اللاتين والجنوية بذلك، بل قاموا بقيادة تانكرد وسرقوا من قبة الصخرة والمسجد الأقصى سبعين قنديلا منها عشرون ذهباً ... ومنها خمسون فضة ... وأخذوا من الأموال ما لا يحصى» (٢). وبعد ذلك اتجه الجميع إلى

(١) أعمال الفرنجه، ص١١٨؛ Raimond d'Agilers, p. 292ff. Albert d'Aiy, p. 470 ff.; William of Tyre, I. p. 371f. Foucher de Chartres, p. 359ff.; cf. also. Enciclopedía Motta, p. 1821; Conder, The City of Jerusalem, p. 282.

ولقد أورد المؤرخ روجر أوف وندوفور وصفا تفصيليا لوحشية اللاتين عند اقتحام المدينة أكثر من غيره من المؤرخين. انظر Roger of Wendover, I. p. 433ff cf. Oldenbourg, Les Croisades, p. 155ff.

(٢) ابن تغري بردي: النجوم، ج٥، ص١٤٩ وأيضا. بامخرمة: قلادة النحر، لوحة ٦٣٩؛ ابن دقماق: الجوهر الثمين، لوحة ٦٢؛ ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج١٢، قسم ٣، لوحة ٢٣٤ ب؛ ابن الاثير: الكامل، ج١٠، ص١١٧. وللاستزادة عن المذبحة انظر: اعمال الفرنجة، ص ١١٨-١١٩؛ السلامي: مختصر التواريخ، لوحة ٥٣؛ ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، القاهرة ١٨٦٨م، ج٢، ص ١٣٧؛ ابو الفدا: المختصر، ج ٣، ص١٢٨-١٢٩؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٦-١٣٧. وايضا:

Foucher de Chartres, p. 359f. cf. also. Oldenbourg, op. cit., p. 155 ff.; *Runciman*, A History of the Crusades, I, p. 285 ff.; Michaud, History of the Crusades, I, p. 224 ff.; Stevenson, op. cit., p. 34f.

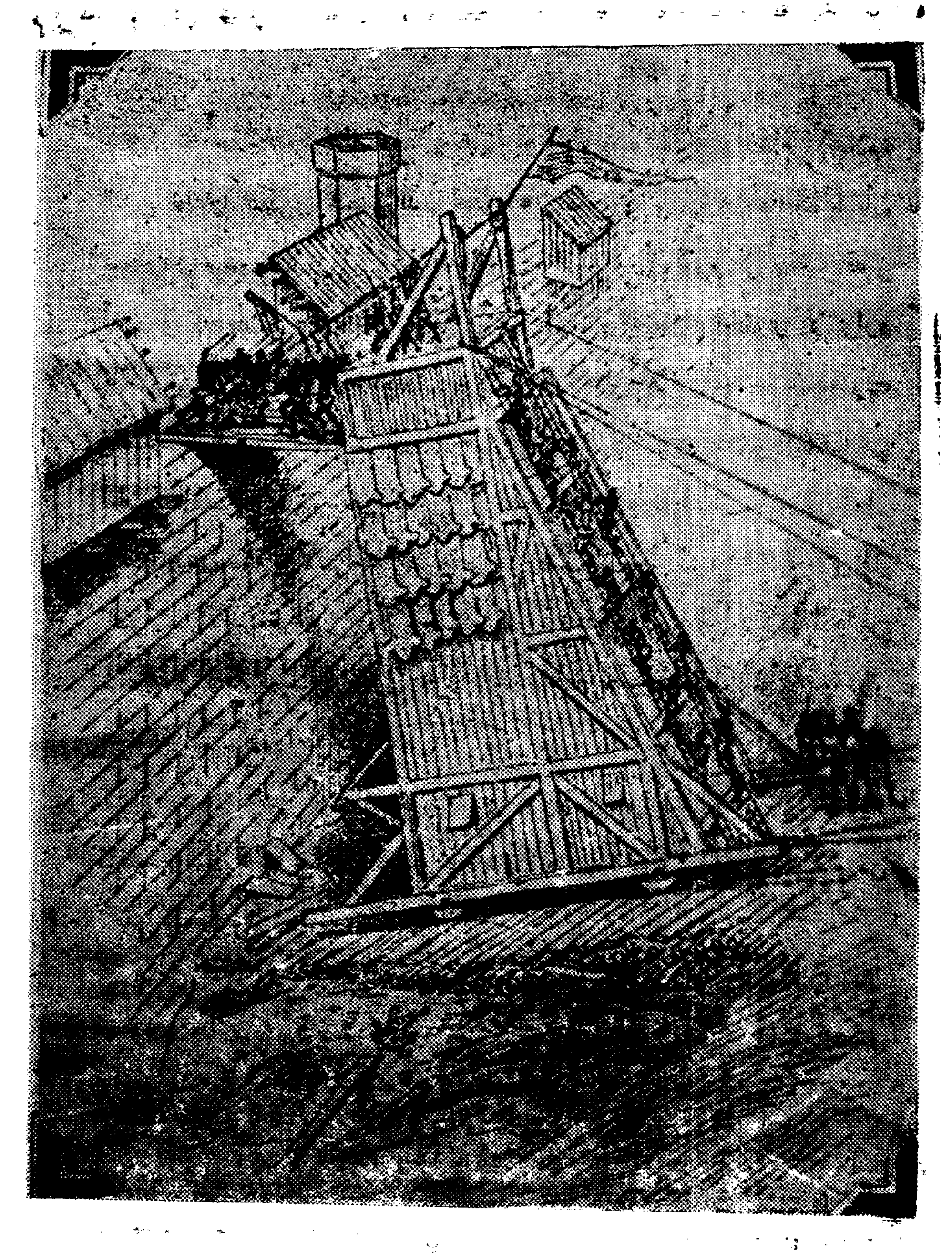
الضريح المقدس وأيديهم لازالت ملطخة بدماء الأبرياء - على حد قول المؤرخين اللاتين - لشكر الرب على استعادة المدينة المقدسة ! (١) . ومن الجدير بالذكر أنه لم يكتب لأحد النجاة من رجال الحامية الفاطمية أو سكان المدينة، باستثناء افتخار الدولة وبعض حراسه الذين احتموا ببرج داود، وأمنهم ريموند الصنجيلي على حياتهم وغادروا المدينة إلى عسقلان فى أمان (٢) . أما باقى رجال الحامية والسكان جميعهم فقد قتلوا ، وتقدرهم المصادر بأكثر من سبعين ألفاً منهم جماعة كبيرة من علماء المسلمين وأئمتهم وزهادهم وعبادهم (٣) . هكذا نتيجة للدور الذى قام به الجنوية حقق الصليبيون أهدافهم من الحملة باحتلال المدينة المقدسة،

---

(١) Foucher de Chartres, p. 360; William of Tyre, I, p. 373 cf. Lamb, H., The Crusades, London 1931, p. 176.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢٨٣ ؛ أعمال الفرنجة ؛ ص ٢٢٠ . وأيضا :
Foucher de Chartres, p. 361; cf. Runciman, op. cit., I, p. 286; Stevenson, op. cit., p. 34.

(٣) قدرهم متى الرهاوى ، المؤرخ الأرمنى بخمسة وستين ألفا .
Matthiew d'Edesse, R.H.C.-Doc. Arm., I, p. 45.
وللاستزادة انظر : ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٥ ، ص ٢٢ ؛ الذهبي : دول الإسلام ، جـ٢ ، ص ٢٦ ؛ مرعي المقدسي : نزهة الناظرين ، ورقة ٢٠٧ ؛ الكتبي : عيون التواريخ ، لوحة ٤٢ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٢ ؛ ابو اليمن العليمي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ١ ، القاهرة ، ١٢٨٣ هـ ، ص ٢٢٣ ؛ العماد الأصفهاني ، الفتح القسي فى الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٣ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٢٢ .
انظر لوحة رقم ٣ بالصفحة المقابلة ، انظر أيضا كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ص ١١٤ - ١١٦ ولوحة رقم ٥٤



لوحة رقم (٣)

البرج الذى صنعه الجنويه وهاجموا به القدس فى الحملة الصليبية الأولى

نقلا عن :

Petit, Les Siégés Célèbres du Moyen Age et des Temps Modernes, p. 96.

وعمت الفرحة الجميع وخاصة أهالى مدينة جنوة ، جند المسيح وأعداء الإسلام ، الذين خلدوا ذكرى النصر الذى تحقق على يد إمبرياكو وجنده الجنوية بأن سجلوه فى رسوم لا تزال باقية بألوانها الزاهية إلى اليوم على سقف قصر أدورنو Piazzo Adorno وقام بهذا الرسم الفنان الجنوى لازارو تافارونى Lazzaro Tavarone وهى تصور الجيش اللاتينى المحاصر لمدينة بيت المقدس ... الذى اقتحم به جودفرى دى بويون ومن معه من الجنوية المدينة يتوسط الجيش (١) . كما استثنيت أسرة إمبرياكو من تسليم ... دون باقى الأسرات الجنوية وأقيم نصب تذكارى أسفل القلعة يشهد إلى بطولات الأسرة كرمز لهذا الاستثناء (٢) ، ... لما أبداه أفرادها من شجاعة فى الحملة الصليبية الأولى ويعزز ذلك ما قاله بلدوين كدليل على أهمية دور الجنوية : « لولا مساعداته الجنوية لما أمكن بالمرة استعادة الضريح المقدس » (٣) . كذلك سجل بلدوين دور الجنوية فى لوحة وضعها فوق مدخل الضريح المقدس كتب عليها عبارة ... مساعدة الجنوية (٤) ، ... لم يكن من

---

(١) Bent, Genoa, p. 20.

(٢) Bent, Ibid.

انظر كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ، ص ١٦٩–١١٨ والخريطة رقم ٥

(٣) Bent, op. cit., p. 20.

(٤) Bent, Ibid.

اعترف أيضا المؤرخ اللاتينى ريموند اجيلر بهذا الدور وأكد على جهود وليام وامبرياكو ومن معه من عمال وبحارة جنوية فى بناء معدات القتال والأبراج التى حققت بها اللاتين النصر على المسلمين . انظر :

Raimond d'Agilers, d. 295 ff.

Tomps Monicuses, p. 60.

الممكن زيارة الضريح المقدس بهذه السهولة لولا مساهمات الجنوية (١).

ومهما يكن ، بعد سقوط مدينة بيت المقدس انتخب الفرنج جودفرى أوف بويون بارونا وحاكما لبيت المقدس يوم ٢٢ يوليه ١٠٩٩م (٢) ، كما انتخب «أرنولف» بطريركا لها رغم احتجاجات البروفنساليين ووصفهم إياه بسوء الخلق (٢) .

وفي يوم ٤ أغسطس ١٠٩٩م (١٤ رمضان ٤٩٢هـ) ، وبعد أن استسلمت « نابلس » لتانكرد تسلم رسالة من جودفرى تطالبه بالتوجه إلى الساحل للتأكد من أخبار قدوم حملة فاطمية بقيادة الأفضل . فسار تانكرد إلى الرملة ، وفي المسافة ما بين الرملة ويافا قبض على عدد من جواسيس الفواطم واستخلص منهم أخبار القوات الفاطمية الزاحفة نحو بيت المقدس . فأرسل إلى جودفرى وإلى البطريق يطالبهما بالقدوم مع كافة المقاتلين (٣) . ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن الأفضل الفاطمى كان قد استعد بقواته لمواجهة الفرنج بعد أن تأكد من

(١) أعمال الفرنجة ، ص ١٢٠ ؛ William of Tyre, I, p. 379ff. Cafari, X, p. 57; Roger of Wendover, 1, p. 435; Matthew of Westminister, 11, p. 25; cf. LaMonte, Feudal Monarchy In the Latin Kingdom of Jerusalem 1100—1291, Cambridge, 1932, p. 4.

(٢) Runciman, op. cit., 1, p. 294. هذا وانفرد وصف المؤرخ المجهول « أرنولف » بأنه « رجل عاقل شريف » بينما وصفه ويندوفور ، ووستمينستر بسوء الخلق. أنظر : أعمال الفرنجة ، ص ١٢٠ وأيضا ؛ Roger of Wendover 1, p. 436; Matthew of Westminister, 11, p. 25.

(٣) أعمال الفرنجة ، ص ١٢٠ - ١٢١ ؛ William of Tyre, 1, p. 395f.

حقيقة أهدافهم ونكثهم العهود . إلا أنه « وصل فى العساكر المصرية وقد فات الأمر » (١) بعد أن احتل اللاتين بيت المقدس بحوالى عشرين يوما، أى يوم ٤ أغسطس ١٠٩٩م (١٤ رمضان ٤٩٢هـ) ، ونزل بظاهر عسقلان منتظراً « وصول الأسطول فى البحر والعرب » (٢) . ومن هناك « أرسل إلى الفرنج ينكر عليهم مافعلوه ويتهددهم » (٣) . « فوبخهم على ما كان منهم » (٤) ؛ لعدم احترامهم المواثيق ، واحتلالهم بيت المقدس ، خاصة وإنه كان يعتقد أنهم يحرصون على كسب ود وصداقة الفواطم أعداء السلاجقة عدوهم المشترك (٥).

وبوصول السفارة المصرية تأكد اللاتين من نوايا الفواطم ، وإيمانا منه بأن الهجوم والضربة الأولى نصف المعركة ، سارع جود فرى بإعداد جيشه لمفاجأة المصريين (٦) . وكما ستثبت تطورات الأحداث ضم جود فرى إلى قواته القائد الجنوى وليام إمبرياكو وشقيقه بريموس ومن معهما من المقاتلين الجنوية . وهنا وكما حدث فى كل مرة ، يبرز دور الجنوية فى الصراع السياسى والحربى بين

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٢٧ وأيضا انظر :
Cafari, X, p. 57; Alexiad, p. 286.

(٢) ابن القلانسى : شرحه ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص٢٤ . وأيضا انظر:
Grousset, Histoire des Croisades, I, p. 173.

(٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١١٨ وللاستزادة راجع :
Runciman, op. cit., I, p. 295.

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٢٤ .

(٥) Grousset, op. cit., I, p. 173.

(٦) Runciman, A History of the Crusades, I, p. 296 cf. also: Stevenson, The Crusaders in the East, p. 35.

الفاطميين والصليبيين . وعلى أية حال ، خرج جود فرى فالتقى مع قـــوات تانكرد ثم انضمت إليهم قوات روبرت النورماندى وكونت تولوز (١) . ومن الرملة خرجوا جميعاً فى طريقهم إلى عسقلان ؛ حيث قبضوا على بعض المصريين الذين أعطوهم بعض المعلومات عن خطط الأفضل وأهدافه ، وبعد أن علموا بنوايا الأفضل فى مهاجمتهم خلال يومين ، أعدوا صفوفهم ورتبوا جماعات المشـــاة ورماة السهام أمام الفرسان ، وجعلوا الميمنة بقيادة الصنجيلى بحذاء الساحل ، وقاد جود فرى الميسرة . وفى الوسط « كونت فلاندرز وكونت نورمانديا وتانكريد وبقية الآخرين » (٢) . ويعتقد أن الجنويه الذين شاركوا اللاتين قتال الفواطم فى عسقلان كانوا ضمن قوات الصنجيلى فى الميمنة بحذاء الساحل ، كما كان بعضهم فى الوسط ، ولعل المؤرخ اللاتينى يقصد بعبارة « وبقية الآخرين » الجنوية وغيرهم من المقاتلين الإيطاليين وغالباً أنهم كانوا « رماة سهام » لشهرتهم فى هذا المضمار (٣) .

---

(١) أعمال الفرنجة ، ص ١٢١ وأيضا Cafari, X, p. 57; William of Tyre, 1, p. 395; Roger of Wendover, 1, p. 437.

(٢) أعمال الفرنجة ، ص ١٢٢ ، أيضا Roger of Wendover, 1, p. 437; William of Tyre, I, p. 396; cf. Wilson, Ch. Picturesque Palestine, London, 1882, III, p. 164ff.

(٣) أعمال الفرنجه ، ص ١٢٢ . سبق الاشارة إلى أن المصادر أجمعت على أن الجنوية قد انضموا إلى باقى إخوانهم بقيادة « إمبرياكو » تحت لواء ريموند الصنجيلى . إذ لابد من وجودهم — أو جماعات منهم — فى الميمنة مع الصنجيلى بحذاء الساحل . وقد يكون قائدهم إمبرياكو قد ساهم فى تخطيط المعركة ، بحيث يضمن قربه من الساحل وضمانا للحصول على النجدات من السفن الجنوية واللاتينية إذ ما حدث وانهزم اللاتين ، خاصة وأن سياسة الجنوية على امتداد الزحف كانت الاقتراب من الساحل بقدر المستطاع . إرجع إلى ص ٥١ ، ١٥٢ وحاشية ، ص ١٦٢ ، ص ١٦٣ وحاشية ٢ من نفس الفصل .

مهما يكن الأمر ، ففى صباح يوم الجمعة ١٢ أغسطس ١٠٩٩م (٢٢ رمضان ٤٩٢هـ) ، بدأ الفرنج زحفهم لملاقاة الفواطم ، وكان للدواب والعربات والفرسان الأثر فى إثارة زوبعة من الأتربة جعلتهم يبدون كجيش جرار (١) . وفوجىء الجيش الفاطمى وحلفاؤه من العرب (٢) بالفرنجة ، فأصابهم الرعب وشلت قواهم من هول المفاجأة خاصة وأنهم « لم يكونوا على أهبة القتال فنادوا إلى ركوب خيولهم ولبسوا أسلحتهم » (٣) . ولما كان الفرنج والجنوية قد طوقوهم من كل جانب ؛ لذا انهزموا وسقط العديد منهم صرعى ضربات الجنوية واللاتينيين وتشتت جموعهم وغرق بعضهم فى البحر أثناء محاولة الهرب (٤) . كما طارد اللاتين وحلفاؤهم الجنوية من هرب من الفواطم للاحتماء « بشجر الجميز وكان هناك كثيراً فأحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه » (٥) . وهكذا ، بفضل الجنوية ، وللمرة الثانية نجح اللاتين فى دحر الفواطم بعد أن تمكنت سيوفهم من « المسلمين فأتى القتل على

---

(١) William of Tyre, 1, p. 396f.; cf. Michaud, History of the Crusades, I, p. 239; Campbell, The Crusades, p. 152f.

(٢) أشارت المصادر اللاتينية إلى أن الجيش الفاطمى كان يضم أفراداً من أتراك الشام وبغداد والمغاربة والمصريين ، وأن الأفضل تحالف مع أتراك دمشق والعرب لقتال اللاتين : أنظر ؛ William of Tyre, 1, p. 394, cf. Michaud, op. cit., 1, p. 240.

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ١١٨ .

(٤) Roger of Wendover, I, 437, Alexiad, p 280 cf. Michaud, op. cit., 1, p 240f.

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١١٨ ؛ أعمال الفرنجة ، ص ١٢٣ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٢٤ .

الراجل والمطوعة وأهـل البلد وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس ، ونهب العسكر » (١) . بينما فر الأفضل الفاطمى إلى عسقلان ومنها أبحر إلى مصر (٢) .

وبعد المعركة عاد الجنوية والفرنج إلى المعسكر الفاطمى ، فاستولوا على ما به من كميات هائلة من الذهب والفضة والأموال التى لا تحصى ، فضلا عن العديد من الحيوانات والأسلحة ، وأحرقوا ما تبقى وفشلوا فى حمله ؛ كما استولوا على راية وسيف الأفضل (٣) الذى « لم يعد بعد هذه الحركة [أى هزيمة عسقلان] إلى الخروج بنفسه فى حرب [ضد الفرنج] ألبتة » (٤) .

ومهما كانت النتيجة ، بعد المعركة أقام جود فرى الحصار حول مدينة عسقلان التى كادت تستسلم لريموند نظير الأمان . ورفضت الحامية الفاطمية الاستسلام لجود فرى ، لثقتهم فى الأول وتخوفهم مما قام به الأخير من مذابح فى مدينة بيت المقدس . فوافق ريموند وعارض جود فرى خشية استقلال

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ . للاستزادة انظر :
Alexiad, p. 286.

(٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١١٨ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٧ ؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين ، لوحة ٦٢ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٢٤ ؛ ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ١٢ ، قسم ٣ ، لوحة ٢٣٩ أ .

(٣) أعمال الفرنجة ، ص ١٢٤-١٢٥ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٢٤ وأيضا انظر : William of Tyre, 1, p. 397; Cafari, X, p. 57 f.; Roger of Wendover, I, p. 438 cf. Oldenbourg, Les Croisades, p. 169.

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٢٤ . وللاستزادة : Lavaisse et Rambaud, Histoire Générale, II, p. 311.

ريموند بعسقلان كإمارة له قد تعوق اتصال مملكة بيت المقدس بالغرب . وهنا رفع ريموند حصاره ، وانسحب بصحبة روبرت النورماندى وروبرت دى فلاندرز لغضبهما من أطماع جود فرى الذى اضطر لرفع الحصار عن عسقلان بدوره وعاد إلى بيت المقدس (١) وهكذا شاءت الأقدار أن تظل عسقلان - إسلامية لحما ودما على امتداد أربعة وخمسين عاما - شوكة فى جانب اللاتين ؛ وظلت تهدد أمن مملكة بيت المقدس حتى سقوطها فى أيديهم عام ١١٥٣م (٥٤٨هـ) (٢) .

بهذه الصورة انتهت الحملة الصليبية الأولى . ولا مراء أن النجاح الذى حققته يعزى أولا وقبل كل شىء إلى الدور الذى قام به الجنوية ومساعداتهم للفرنج منذ بداية الإعداد للحملة وعلى امتداد تقدمها حتى قيام مملكة بيت المقدس . يضاف إلى ذلك تفكك القوى الإسلامية وتصارعها سياسيا ومذهبيا من ناحية، وعدم تفهم الفواطم لحقيقة الأهداف الصليبية من ناحية أخرى . تلك الأهداف التى غلفها الجنوية واللاتين بمسوح الكهنوت لإخفاء أهدافهم الحقيقية . ولكن سرعان ماسقطت تلك الأغلفة لتتجلى حقيقة الأطماع الشخصية الرامية إلى التوسع على حساب القوى الإسلامية المفككة بالمنطقة وكثلكتها من جانب ؛ ومن جانب آخر ، تجلت الرغبة فى الاستحواذ على المراكز التجارية وتأمين مصالح الجنوية الخاصة بالشرق الادنى. وبهذا كان التحالف بين الجنوية والقوات

---

(١) Grousset, Histoire des Croisades, 1, p. 176, Runciman, A History of the Crusades, 1, p. 297f.

(٢) Grousset, op. cit., 1, p. 176; Oldenbourg, Les Croisades, p. 170

الصليبية ضد المسلمين بعامة والفاطميين بوجه خاص أمراً طبيعياً ومتوقعاً فى هذه الفترة المبكرة من الحركة الصليبية .

وبعد النصر فى عسقلان ، أبحر عديد من الجنوية على إحدى سفنهم إلى جنوة بقيادة وليام إمبرياكسو وشقيقه بريموس ، حاملين معهم كميات ضخمة من الدنانير والدراهم الذهبية والفضية وغيرها من الأسلاب التى غنموها من بيت المقدس ومعسكر ، أمير مصر ، الافضل الفاطمى بعد هزيمة عسقلان . واشد مافرح الجنوية بلقائهم ، وأحسنوا استقبالهم وذلك فى اليوم السابق لميلاد المسيح (عليه السلام) . وقص إمبرياكو على الأهالى كيفية سقوط بيت المقدس ومدى المخاطر والصعاب التى واجهتهم ، نتيجة استبسال الحامية الفاطمية بالمدينة (١) . ونسى الجنويون خلافاتهم على الفور وبدأوا يستعدون لحمل الصليب من جديد إستعداداً للتحرك إلى الشرق (٢) بعد أن ذاقوا حلاوة خيراته . ومنذ ذلك الحين فصاعدا سوف تتوالى الرحلات البحرية فيما بين جنوة ومراكز التجارة بالشرق سنويا ، بحجة مساعدة اللاتين بينما هم يخططون للحصول على المزيد من المكاسب ، وتوطين جالياتهم بمدن الشام الساحلية . ولما كانت تلك المدن لا تزال بيد الفواطم ، ولما كان من المحتم إحتلالها تحقيقاً لتلك الأهداف، كان لا بد أن تتجدد المعارك البرية والبحرية بين الجنوية واللاتين من ناحية ؛ وبين الفواطم من ناحية أخرى . الأمر الذى سيترتب عليه نتائج وآثار خطيرة ستكشف عنها الفصول التالية بمشيئة الرحمن .

---

(١) Cafari, X, p., 57 f.

(٢) Cafari, XI, p., 58.

بسم الله الرحمن الرحيم

« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً »

« النساء : ٧١ »

الفصل الرابع

العلاقات السياسية بين جنوة والفواطم
(١٠٩٩ - ١١١٠م / ٤٩٢ - ٥٠٤هـ)

- الجنوية ودورهم فى إقامة المملكة اللاتينية بالشرق الأدنى .
- أثر الجنوية فى إثارة الروح الصليبية وقيام الحملة اللومباردية عام ١١٠١م (٤٩٤هـ) ونتائجها .
- دورهم فى سقوط مدينة حيفا وتتويج بلدوين ملكا لبيت المقدس .
- جهودهم فى احتلال مدينتى أرسوف وقيسارية عام ١١٠١م (٤٩٤هـ) ، وموقف الفواطم منهم .
- الحملات الفاطمية ضد اللاتين والجنوية عامى ١١٠١م ، ١١٠٢م (٤٩٤ ، ٤٩٥هـ) ونتائجها .
- الجنوية ودورهم فى تأسيس إمارة طرابلس الشام .
- الصراع اللاتينى الجنوى الفاطمى حول عكا عام ١١٠٤م (٤٩٧هـ)
- نتائج اتفاقية عام ١١٠٥م (٤٩٨هـ) اللاتينية الجنوية على العلاقات الجنوية الفاطمية .
- اشتراك جنوة مع اللاتين فى الاستيلاء علـى طرابلس وبيروت وصيدا (١١٠٩ - ١١١٠م / ٥٠٢ - ٥٠٤هـ) وموقف الفواطم منهم .

رأينا فى الفصول السابقة كيف حقق اللاتين أهدافهم بعد دحر الفواطم . ولا غرو أن هذا النجاح الذى حققوه لم يكن مرجعه كفـــاءة وعبقرية قادتهم عسكريا ، أو بسالة جنودهم ـ بقدر ما كان يرجع إلى عدة عوامل أساسية أولها: المساعدات العسكرية القيمة التى قدمتها مدينة جنوة فى البر والبحر منذ بداية الحملة الصليبية بشقيهـــا الشعبى والنظامى . وثانيها : سوء أحوال مصر وتقاعس الفواطم وأسطولهم عن التحرك لمواجهة الأســـاطيل الجنوية والسفن الايطالية اللاتينية الأخرى . وأخيراً تفكك عرى أواصر وحدة الصف بالشرق الأدنى الإسلامى مذهبياً وسياسياً (١) .

على أية حال ، بعد أن أقام اللاتين مملكة بيت المقدس ، بدأوا يخططون لاحتلال مدن الساحل منتهزين فرصة الرعب الذى سيطر على المسلمين بالشرق كرد فعل لانتصاراتهم على السلاجقة ثم الفواطم ، ونظرة المسلمين إليهم كجيش لا يقهر (٢) . والحقيقة أن احتلال مدن الساحل كان مسألة حياة أو موت بالنسبة للفرنجة والجاليات التجارية وعلى رأسها جنوة ، خاصة وأنهم شعروا بخطورة وجودهم وسط شعوب معادية لهم، متحفزة للثأر والانتقام منهم . هذا من ناحية ، ومن ناحيه أخرى شعورهم بخطورة روح الثأر للكرامه المسيطرة على مشاعر الأفضل الفاطمى ، ورغبته فى رد الاعتبار للفواطم باستعادة المدينة المقدسة . أضف إلى ذلك ما لتلك المدن من أهمية كحلقة اتصـــال بين اللاتين بالشرق وبنى جلدتهم فى الغرب ، حيث يمكنهم الحصول على ما يحتاجونه من مدد

---

(١) ارجع فى ذلك إلى : أرشيبالدى لويس : القوى البحرية ، ص٣٨٢؛
LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 346.

(٢) LaMonte, Ibid.; Stevenson, The Crusaders in the East, p. 35.

ومال ورجال وعتاد يوطدون به وجودهم . ومن هنا كانت حتمية الاستعانة بالأساطيل الجنوية أو غيرها من الأساطيل الغربية ؛ لما كان لها من أثر فى تحقيق الانتصارات السابقة التى كوفئوا عليها بالعديد من الامتيازات والتنازلات التى حصل عليها الجنوية وأهالى المدن الإيطالية الأخرى (١). وهكذا أتيحت الفرصة من جديد أمام الجنوية للحصول على مكاسب جديدة مقابل مساعداتهم للفرنجة وإخضاع مدن الساحل الفاطمية . وخلال ذلك حدثت عدة معارك دامية قام الجنوية فيها كعادتهم بعديد من عمليات الإبادة لسكان وحاميـــات تلك المدن الفاطمية الإسلامية. ونظير ذلك سيتسع نفوذهم بالشرق نتيجة للثمن الباهظ الذى حصلوا عليه من اللاتين (٢) . ومنذ ذلك الحين ستزداد مدينة جنوة قوة ، لاتساع نشاطها التجارى شرقى حوض البحر المتوسط وبالتالى زيادة ثرواتها ، خاصة وأن البندقية تركت لها المجال إلى حين ، لانشغالها بتوطيد نفوذها فى البحر الإدرياتيكى ومياه الإمبراطورية البيزنطية . ولا شك أن السنوات التى قاتل فيها الجنوية إلى جانب اللاتين كان لها أثرها فى نهضتها سياسيا نتيجة لما حصلت عليه من ثروات طائلة وامتيازات تجارية هائلة لجالياتها بالشرق (٣) . كما أدى نشاطها إلى تدفق الأموال على خزائن مملكة بيت المقدس المتحصلة من الرسوم

---

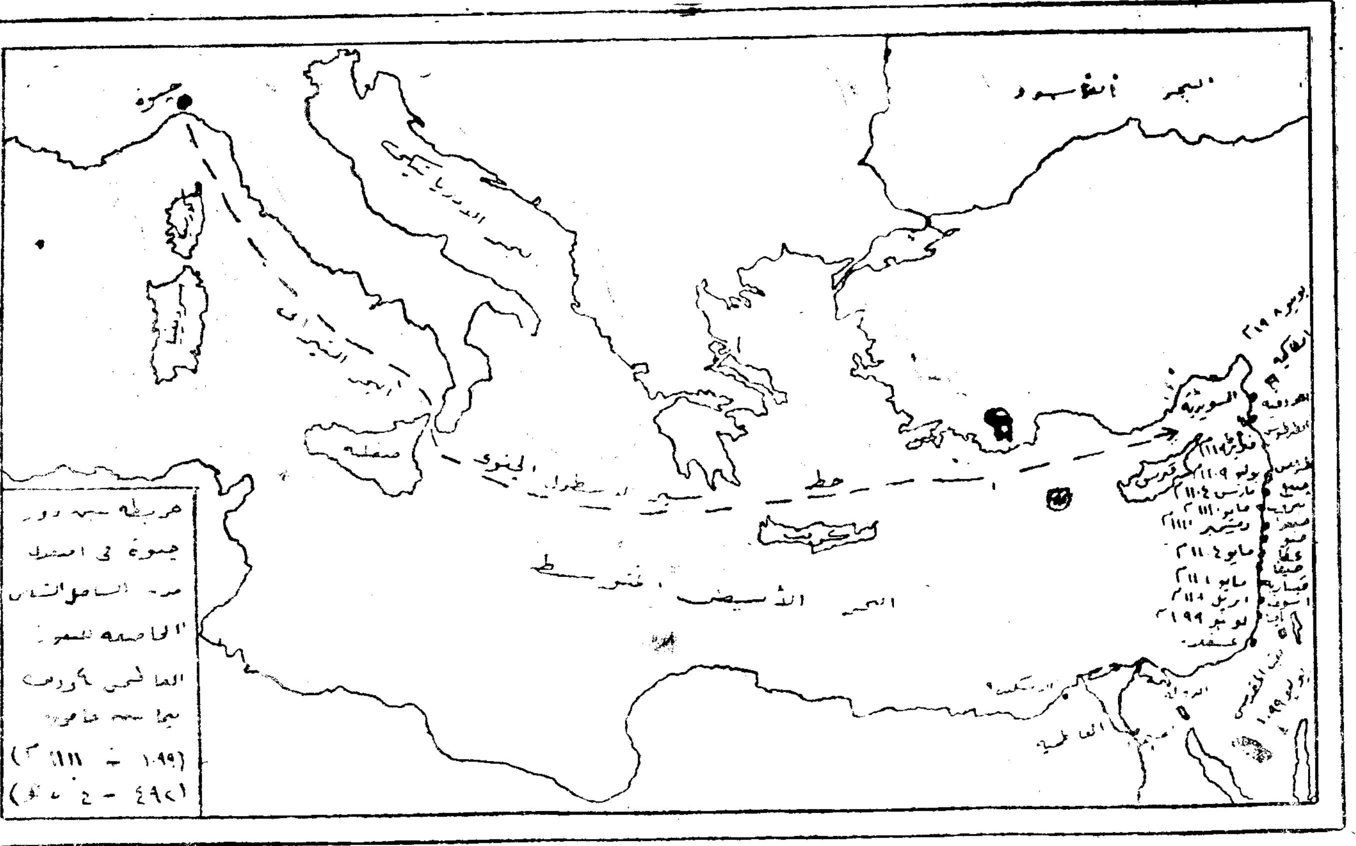
(١) Heyd, Le Coloni Commerciali, I, p. 151ff.

(٢) Heyd, Histoire, du Commerce, I, p. 132; Chalandon, Histoire de La Iére. Croisade, p. 303f.; Runciman, A History of the Crusades, II, p. 16.

(٣) Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 132.

وللاستزادة عن أثر الحروب الصليبية فى نهضة جنوة والمدن الايطالية الأخرى انظر :

Heyd. Histoire du Commerce, I, pp. 131ff,



خريطة رقم (٢)

المفروضة على التجارة بشتى صورها (١) .

هذا ، وسوف تقوم جنوة بدور نشط فى احتلال مدن الساحل الشامى التابعة للفواطم حفاظا على مصالحها الخاصة بالمنطقة وطمعا فى المزيد من الثروة . لذلك نجدها منذ ذلك الحين تواصل إرسال سفنها سنويا إلى موانى الشام (٢) ، دون خوف من رد الفعل لدى الفواطم لثقتها بعجزهم عن الإساءة إلى جالياتها بالاسكندرية ؛ لانشغالهم بمشاكلهم الداخلية ، لرأب الصدع الذى أصاب مكانتهم بمصر . يضاف إلى ذلك حاجة الفواطم إلى المال المتحصل من الرسوم المفروضة على التجارة التى كان الجنوية فيها النصيب الأكبر . لذلك وعلى امتداد الفترة من عام ١٠٩٩-١١١٠م / ٤٩٢ - ٥٠٤هـ قامت الأساطيل الجنوية وغيرها من السفن اللاتينية باحتلال أغلب مدن الساحل الشامى الفاطمية الإسلامية مثل : يافا وأرسوف وقيسارية وعكا وجبيل وجبلة وطرابلس وبيروت وصيدا (٣) . ولولا الدور الذى قام به الأسطول الجنوى بصفة خاصة والأساطيل الايطالية الأخرى عامة ، ما استطاع الصليبيون على وجه الإطلاق احتلال تلك المدن وبالتالى لعجزوا عن تأمين وجودهم بالشرق (٤) .

ومهما يكن من أمر ، وبعد وصول وليام إمبرياكو وشقيقه والجنوية إلى جنوة عائدين من الشرق بعد الإسهام فى القتال مع اللاتين وإقامة المملكة

---

(١) Chalandon, op. cit., p. 303f.; Byrne, Genoese Trade with Syria, p. 195.

(٢) كرد على : خطط الشام ، جـ١ ، ص٢٨٤ .

(٣) Chalandon, op. cit., p. 298.

(٤) Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 135f.

الصليبيـــة (١) ، بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ العلاقات بين جنوة والشرق بوجه عام وبينها وبين الفواطم بخاصة ستكشف عنها تطورات الأحداث .

فبعد مظاهر التكريم المختلفة ، ونتيجة لروايات « إمبرياكو » عن الشرق وثروانه، سارع الكثيرون من الجنوية بحمل شارات الصليب والاستعداد للتوجه إلى الشرق (٢) لتعضيد اللاتين فى الظاهر ، بينما هم يهدفون حقيقة إلى تعضيد جالياتهم وتوسيع نفوذهم هناك للحصول على المزيد من الامتيازات والأراضى. ومن المرجح أن إمبرياكوا قد بالغ فى تصوير الأخطـــار التى تهدد اللاتين والتجار الجنوية بالشرق ، وذلك لإثارة حمية بنى جلدتهم للتوجه إلى الشرق ، بينما هو يهدف إلى تحقيق أطماع خاصة تتمثل فى الحصول على إقطـــاع خاص يحكمه هو وأسرته من بعده فى أى من المدن الساحلية بالشام مثلما فعل غيرهم من اللاتين. وبالفعل حصل إمبرياكو على مدينة جبيل وحكمها هو وسلالته من بعده حكما وراثيا كما سيتضح بعد احتلال طرابلس . يؤيد ذلك أيضا إثارة إمبرياكو اللاتين وبخاصة اللومبارديين للقيام بحملة جديدة ضد الشرق ، وبالفعل تحركت الحملة الصليبية الجديدة فى طريقها الشرق تلك التى عرفت باسم الحملة اللومباردية، وشارك فيها العديد من رجال الدين والأمراء الألمان . ومهما يكن ، فقد هزمت تلك الحملة هزيمة نكراء على أيدى السلاجقة أواخر صيف ١١٠١م (٤٩٤هـ) (٣). وبغض النظر عن نجاح السلاجقة فى الأخذ بالثأر من اللاتين والانتقام لهزائمهم

---

(١) انظر ما سبق ص١٨٧.

(٢) Cafari, X, p. 57f.

(٣) عن تفاصيل إعداد الحملة ومسارها ومصيرها انظر : ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١٢٤ وأيضا : Cafari, XI, p. 58f.; William of Tyre, I, p. 430ff.; Roger of Wendover, I, p. 454f.

بالنصر على الفرنجة فى تلك الحملة ، فإن ما يعنينا من نتائجها هو أن هزيمة الفرنج وانتصار السلاجقة قد أفاد الجنوية وتجار المدن الإيطالية . إذ أن النصر أتاح للسلاجقة فرصة تقوية قبضتهم على طرق التجارة والحج فى البر ؛ فكانت المحصلة أن اللاتين اضطروا للإبحار على السفن الجنوية فى طريقهم للحج والزيارة مما زاد من نفوذ جنوة وغيرها من المدن الإيطالية تجاريا وضاعف ثروتهم (١) . وقد ترتب على ذلك أن ازداد نفوذ جنوة العسكرى والبحرى، مما سيكون له أثره على ميزان القوى بالشرق وجعله فى صالح اللاتين ضد الفواطم .

هذا ، ومن المرجح أن إمبريا كو ومن معه هم الذين نقلوا أخبار سقوط مدينة بيت المقدس للغرب ، تلك الأخبار التى شاءت الأقدار أن يموت أوربان الثانى قبل سماعها (أواخر يوليو ١٠٩٩ م) وخلفه البابا باسكال الثانى (١٠٩٩ - ١١١٨م) (٢) . وقد كان رد فعل تلك الأخبار لدى الجنوية قويا ، حيث حمل الآلاف منهم الصلبان على أكتافهم ونسوا أو تناسوا ما بينهم من صراع وشقاق وأبحروا على أربع سفن حربية ، وست وعشرين مركبا إلى ميناء اللاذقية « لخدمة الرب والحج وزيارة الضريح المقدس » (٣) ؛ وبوصول الاسطول إلى الميناء ألقى مراسيه هناك وظل بها طوال فصل الشتاء . وما أن علم الجنوية خبر وفاة جودفرى دى بويون (١٨ يوليو ١١٠٠م) ووقوع بوهمند أسيرا بأيدى المسلمين (أوائل أغسطس ١١٠٠م / أواخر رمضان ٤٩٣هـ) حتى أدركوا أن « الأرض الشرقية [أى أملاك اللاتين بالشرق] قد أصبحت بدون ملك وبلا

(١) Runciman, A History of the Crusades, II, p. 30.

(٢) Roger of Wendover, I, p. 450.

(٣) Cafari, X-XI, p. 58f.

أمهر ، مثلها مثل الأرملة [التي فقدت بعلها] » (١) وخوفا على مصالحهم من أخطار محققة ، عقد قادتهم اجتماعا وقرروا بالاتفاق مع « موريس كاردينال بورتو وممثل الكرسي البابوي » استدعاء بلدوين شقيق جودفري من مدينة الرها للاجتماع بهم كي يتم تنصيبه ملكا على بيت المقدس حسبما قرر المندوب المندوب البابوي(٢)والمستشارون من القادة الجنوية . وبالفعل وصل بلدوين إلى اللاذقية بصحبة مائتين من الفرسان وثلاثمائة من المشاة . وما أن عرض عليه المندوب البابوي والقادة الجنوية الأمر حتى وافق قائلا : « إذا أردتم أن أصبح ملكا على بيت المقدس فيجب أن تساعدوني خلال هذا الصيف على احتلال مدينتين من المدن الإسلامية ، وبعدها أعدكم بالتوجه شخصيا وفوراً للسيطرة على ملك بيت المقدس » (٣) . فوافق الجنوية واستعد بلدوين للرحيل بعد ما أقسم قادتهم على التعهد بذلك . فشكرهم وقال : « إنني باعتمادى على الله وعليكم ، سأبدأ في التقدم نحو الهدف للحصول على التاج والمملكة ولسوف أبدأ الزحف بعد ثلاثة أيام مصطحبا معى هؤلاء الفرسان والجند » (٤) .

---

(١) Cafari, XI-XII, p. 59; Albert d'Aix, p. 524

(٢) يقال أن هذا المندوب البابوى بعد وصوله بيت المقدس قد أوقف دايمبرت عن ممارسة سلطاته مؤقتا لاتهامه بتشجيع بوهمند على القيام بمحاولة لاغتيال بلدوين أثناء حضوره إلى بيت المقدس للتربع على عرش المملكة . انظر : عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس ، ص ٧٤ .

(٣) Cafari, XI–XII, p. 59f.; cf. Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 137.

الجدير بالذكر أن هايد أشار إلى أن المدينتين كانتا أرسوف وقيسارية . انظر :
Heyd, Ibid. & note No. 4.

(٤) Cafari, XII, p 60.

وبالفعل زحف بلدوين بقواته فى الموعد المحدد وقرب بيرت ألحق الهزيمة ببعض السلاجقة ـ الذين يرجح قدومهم من دمشق القريبة من بيروت ـ وغنم منهم غنائم عظيمة (١) . وما أن وصل بلدوين إلى بيت المقدس حتى استقبله الأهالى مهللين فرحين ، وأسقط فى يد دايمبرت الذى اضطر لتتويجه ملكا فى يوم عيد الميلاد من عام ١١٠١م كأول ملك من ملوك اللاتين بالشرق (٢) . وعلى الفور بدأ بلدوين يخطط لتحقيق أهدافه ، بتوسيع حدود مملكته (٣) بمواصلة سياسة شقيقه جودفرى الرامية إلى احتلال مدن الساحل منتهزاً فرصة وجود الأسطول الجنوى لتنفيذ الاتفاق المعقود مع قادته من قبل .

ولا ريب أن بلدوين يعتبر المؤسس الحقيق لمملكة بيت المقدس ، حيث استطاع توسيع حدودها وتوطيد نفوذ اللاتين بالشرق طوال عهده الذى استمر حوالى ثمان عشرة سنة (١١٠٠-١١١٨م) (٤) ؛ قضاها فى صراع دائم مع المسلمين بعامة والفواطم بصفة خاصة ، ساعدته خلالها الأساطيل الجنوية والإيطالية فى احتلال كل مدن الساحل الفاطمية فيما عدا صور وعسقلان . كما بسط نفوذه على المنطقة الممتدة فيما وراء نهر الأردن ، وتجرأ وهاجم مصر ذاتها عام ١١١٨م (١١١٥هـ) (٥) .

---

(١) Cafari, XII, p. 60.

(٢) Cafari, XII, p. 60; Roger of Wendover, I, p. 451 cf. Campbell, The Crusades, p. 160; LaMonte, Feudal Manarchy, p. 6; Stevenson, The Crusaders in the East, p. 43.

(٣) William of Tyre, I, p. 433.

(٤) LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 343.

(٥) Lamb, The Crusades, p. 188; LaMonte, op. cit., p. 346.

علمنا آنفاً أن جود فرى دى بويون أثناء التقدم الصليبي نحو بيت المقدس قد عارض فكرة احتلال مدن الساحل ، وتأجيلها لحين احتلال بيت المقدس وبعد تتويجه بدأ يسعى لتحقيق الفكرة . ويعتقد أن الجنوية عرضوا عليه مساعداتهم لتحقيق ذلك الهدف لرغبتهم فى السيطرة على المراكز التجارية بالمدن الساحليه وإحراز قصب السبق على بيزا والبندقيـة، ونقل توابل الشرق وبضائعه الموفورة فى مدن الشام الساحلية على سفنهم (١) . يؤيد ذلك إسراع أعداد غفيرة من الحجاج والتجار الجنوية بالإبحار إلى الشام بأساطيلهم عقب سماع أخبار انتصارات بنى جلدتهم فى بيت المقدس ، ومشاركتهم جود فرى نفسه فى قتال المسلمين فى الجليل وهزيمتهم (٢) . كما أن جود فرى ذاته سوف يستخدم هؤلاء الحجاج من التجار الجنوية فى حصار مدينة حيفا ؛ إلا أن المنية وافته فى نفس وقت سقوطها حيث احتلها اللاتين بالسيف بقيادة تانكرد والبطريك دايمبرت . كذلك ساهم البنادقة فى احتلالها كيلا يستأثر الجنوية والبيازنة بالغنائم دونهم (٣) .

والآن ثمة تساؤل يطرح نفسه ملحاً فى طلب الإجابة عنه وهو : ماذا فعل الجنوية بعد اتفاقهم السابق مع بلدوين على مساعدته للتربع على عرش المقدس؟. المعروف أن الأسطول الجنوى بعد تتويج بلدوين ملكا على بيت المقدس قد

---

(١) أرشيبالدى لويس : القوى البحرية ، ص ٣٩١ .

(٢) ارجع إلى : Michaud, History of the Crusades, I, p. 269; Iorga, Histoire des Croisades, p. 73

(٣) Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 136. عن سقوط حيفا ارجع الى : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٩ ؛ ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٣٥ .

أبحر من اللاذقية إلى مدينة حيفا ، فوصلها حوالى منتصف مارس عام ١١٠١ م (جماد أول ٤٩٤ هـ) ، ومن هناك أبحروا إلى يافا فوصلوها فى أبريل ١١٠١م (جماد ثانى ـ رجب ٤٩٤ هـ) حيث إستقبلهم بلدوين بسرور بالغ وشكر لهم حماستهم واستعدادهم « لخدمة الرب » والمملكة ، والوفاء بالعهود . ثم اصطحبهم إلى بيت المقدس حيث زاروا الضريح المقدس «يوم سبت النور» (١) ، فصاموا يومهم على أمل أن يظهر لهم نور المسيح عليه السلام فى «صورة نار» دون جدوى فتشاءموا وصاحوا «كيريا اليسون ، كيريا اليسون» (٢) أى يارب ارحم ، يارب ارحم .

ومهما يكن من أمر ، فقد بقى الجنوية أسبوعا فى بيت المقدس ذهبوا خلاله إلى ناحية نهر الأردن (٣) . ولربما ذهبوا للتعميد فى مياه النهر ، أو لرغبة بلدوين فى استعراض قوته بالمنطقة ، خاصة وأنه كان يطمع فى توسيع نفوذه هناك . وبعد العودة إلى بيت المقدس وقع الجنوية مع بلدوين اتفاقا تعهدوا فيه بمساعدته فى احتلال مدينتى أرسوف وقيسارية الفاطميتين ، نظير حصولهم على ثلث الغنائم والأسلاب من الأسرى والأموال والمنقولات فضلا عن ملكية أحد الشوارع الرئيسية فى سوق المدينة التى سوف يشتركون فى احتلالها (٤) .

---

(١) Cafari, XIII, p. 60f.; William of Tyre, I, p. 433 & note 34.

(٢) Cafari, XIII-XIV, p. 61f. أشار «كفارو» (شرحه) إلى معجزة النار المقدسة كشاهد عيان وأشار إلى ظهورها فيما بعد وفرح الجميع واستعدوا للهجوم على أرسوف وقيسارية بعدها .

(٣) Cafari, XIV-XV, p. 61f.

(٤) William of Tyre, I, p. 434f.

وعلى الفور ضرب الجنوية واللاتين حصارهم حول أرسوف من البحر والبر . والجدير بالذكر أن جودفرى كان قد حاول احتلالها (مارس ١١٠٠م / جماد أول - جماد ثانى ٤٩٣ هـ) وفشل لقلة عدد السفن المساعدة له من البحر (١). وبعد أن تقاعس الفواطم عن حمايتها اتفق حاكمها المصرى الفاطمى مع جودفرى على رفع الحصار عنها مقابل مبلغ من المـــال وتبعيته له (٢) .

المهم أن الجنوية وبلدوين حاصروا أرسوف وضيقوا عليها ، ورغم استبسال حاميتها الفاطمية فى الدفاع عنها ، فسرعان ما دب اليأس فى نفوس أفرادها لعدم وصول النجدات الفاطمية من مصر . فشدد الجنوية واللاتين الحصار ونصبوا السلالم على الأســـوار واقتحموا الأبراج ؛ فسارع السكان بالاختباء وراسلوا بلدوين على الاستسلام نظير الأمان ، فوافق وسمح لهم بمغادرتها إلى عسقلان أواخر أبريل ١١٠١م (جماد ثانى ٤٩٤ هـ) (٣). وبعد سقوط المدينة حصل الجنوية على نصيبهم من الأسلاب طبقا للاتفاقية المعقودة بينهما سالفا ، واتجه

---

(١) Grousset, Histoire des Croisades, I, 181. ومن أهمية أرسوف انظر : William of Tyre, 1, p. 434f.

(٢) Albert d'Aix, p. 511ff.

(٣) اجمعت المصادر اللاتينية والعربية على استسلام أرسوف بالأمان . بينما يذكر « كفارو » أن الجنوية احتلوها بعد قتال دام ثلاثة أيام . ولعل الأرجح رواية « كفارو » كشاهد عيان صادق . كما أن تلك الرواية تتفق وروح الجنوية العدوانية تجاه المسلمين ، وعدم تقديرهم لعهود الأمان كما سيتضح على امتداد البحث انظر : Cafari, XV, p. 63; William of Tyre, 1, p. 434f.; cf. also; Bent, Genoa, p. 30.

انظر أيضا : ابن الاثير ، الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٣٥ ؛ ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٩ ؛ الكتبى : عيون التواريخ ، لوحة ٥١ .

الجميع ـ الجنوية واللاتين ـ إلى مدينة قيسارية فأقاموا عليها الحصار برا وبحراً. وما أن وصل الاسطول الجنوى حتى نزل بحارته فخربوا ودمروا المحاصيل فى الأراضى القريبة للمدينة وعادوا لإحكام الحصار حولها، وشيدوا آلات الحصار وأقاموا الأبراج حولها. ودار قتال دام بين الطرفين، وواجهتهم الحامية الفاطمية بشجاعة على أمل وصول النجدات من قبل الأفضل الفاطمى؛ ولكن دون جدوى. فأرسل قائد الحامية الفاطمية مبعوثيه بعد الاتفاق مع كبير التجار بالمدينة إلى اللاتين التفاهم على أساس الانسحاب وحقن الدماء نظير مبلغ من المال كما يعتقد. إلا أن اللاتين رفضوا واشترطوا تسليم المدينة مقابل تأمين حياة الجميع (١). ووافق التجار على لسان كبيرهم المسمى أركاديو Archadio؛ إلا أن قائد الحامية رفض بإصرار وصاح قائلا: «إننا لن نسلم المدينة ولكننا سنجرب سيوفنا مع سيوف الجنويين ولسوف نهزمهم بعون الله» (٢).

وبعد فشل المفاوضات بين الحامية الفاطمية من ناحية، والقادة الجنوية واللاتين من جانب آخر، عقد الجنوية واللاتين اجتماعا حربيا للتشاور فى الأمر. وقد أورد المؤرخ الجنوى «كفارو» نصا فريدا لما دار فى هذا المجلس الحربى من مناقشات ذكرها كشاهد عيان، قال: «وخلال الاجتماع ألقى البطريك هذه الكلمة على الشعب [يقصد بنى جلدته من الجنوية]: أيها الأخوة لقد جئتم إلى هذه النواحى من أجل خدمة الرب وحبا له وتقديراً للضريح المقدس، وإنه

---

(١) Cafari, XV, p. 62f.

(٢) ذكره «كفارو» تحت اسم «ميرو» (Miro) وربما يقصد بكلمة (Miro) قائد الحامية الفاطمى أو (أمير) المدينة. واعتقد أنها تحريف للكلمة العربية (أمير).
انظر: Cafari, XV, p. 63; William of Tyre, 1, p. 438.

لشىء عادل وطيب أن تطيعوا أوامر الرب وممثليه بصدق وإيمان . وفى الحقيقة لقد أرسلنى الرب إليكم ليأمركم على لسانى بأنه فى فجر يوم الجمعة العظيمة ، يوم ذكرى آلامه الذى مات فيه من أجلكم بالجسد ، فليتناول كل منكم جسد ودم الرب ، وبدون تحصينات وبدون آلات ، وبواسطة السلم وحدها سوف تستطيعون تسلق أسوار المدينة ، فإذا فعلتم ذلك فإنكم بقوة الرب ، وليس بقوتكم سوف تستولون على المدينة وعلى من فيها من رجال ونساء وأموال وكل ما يوجد بداخلها . وفى تمام الساعة الواحدة ظهراً سيئوول كل شىء إليكم » .

وبعد ما انتهى البطريك من كلمته صاح الجميع ، الجنوية واللاتين فى صوت واحد « فليكن كذلك ، فليكن كذلك [آمين ، آمين] » (١) . ويستطرد « كفارو » شارحا تطور الأحداث وموقف الجنوية ، إذ يقول : «وبعد ذلك وقف وليام كابو تماللوا [إمرياكو] قائد الجيش والقنصل الجنوى فقال: «أيها المواطنون، يا جند الرب ، لاتتوانوا عن تنفيذ أمر الرب هـذا الذى سمعتموه من غبطة البطريرك ، لذلك فإننا نأمركم بالتعهد وحلف اليمين على أنكم عند بزوغ الفجر وبعد تمام القداس والاعتراف والتناول من جسد الرب ودمه، وبدون تحصينات وبدون آلات وعن طريق السلالم دون غيرها سوف تتبعونى بلا إبطاء إلى أسوار المدينة ، وبإذن الله سوف أبدأ أنا بتسلق السور والنزول من فوقه وعندما ترونى نزلت لا تتأخروا وافعلوا نفس الشىء » (٢) .

إن هذه الرواية الهـامة التى سردها « كفارو » إن صحت فإنها لا تتعدى الروايات الدينية التى سبق أن اخترعها رجال الدين اللاتين لرفع الروح المعنوية

---

(١) Cafari, XVI, p. 63f.

(٢) Cafari, XVI, p. 64.

فى نفوس الصليبيين والجنوية ككل . فضلا عما لها من قيمة رمزية فقط تنحصر فى الكشف عن دور الجنوية فى إثارة اللاتين ضد الفاطميين. والمهم أنهم صدقوها واستعدوا وقاموا للقتال وفجر يوم الجمعة ١٧ مايو ١١٠١م (١٦ رجب ٤٩٤هـ)؛ وأعدوا السلالم وثبتوها على الســـور » وعلى الفور تقدم «القائد الجنوى وليام إمبرياكو الصفوف وصعد السلم بأسلحته وتبعه كثيرون على نفس السلم،ولكن حدث أنهم بمجرد أن « اقتربوا من نهاية ارتفاع السور حتى انهار السلم وسقطوا جميعا على الأرض» (١) .

ويبدو أن تلك الحادثة قد نبهت رجال الحامية الفاطمية بالمدينة فاستعدوا لما يستجد. والحقيقة أن المدينة كانت محصنة حتى منتصفها فقط بالأسوار ، وكان رجال الحامية والسكان عند كل هجوم يهرعون للاحتماء خلف السور الأوسط(٢). وعلى أية حال ، بعد أن سقط إمبرياكو عاد فنهض وتطلع إلى السماء يدعو ربه لنصرته وإلهامه الرأى السديد . وبلا تردد ، وحتى لا يضيع الوقت سدى ،بدأ يتسلق السلم نحو أحد الأبراج حيث فوجىء بجندى من جنود الحامية الفاطمية ينقض عليه فاشتبكا معا فى قتال بالأيدى ، فاحتضنه وليام حضنا قاتلا كاد يمزق ضلوعه . فصرخ الجندى طالبا الأمان نظير مساعدته على صعود البرج فوافق وليام على الفور . وما أن أصل إلى أعلى البرج حتى صرخ بأعلى صوته مناديا باقى الجند الجنوية للصعود . وبسرعة صعدوا وانقضوا على رجال الحامية الفواطم الذين حاولوا الفرار للاحتماء خلف السور الأوسط للمــــدينة ولكن ضربات سيوف الجنوية عاجلتهم فسقط العديد منهم صرعى (٣) .

---

(١) Cafari, XVII, p. 64.

(٢) Cafari, XVII, p. 64.

(٣) Cafari, XVII, p. 64; cf. also: Bent, Genoa, p. 30.

وبينما كانت الأحداث تجرى هكذا ، كان سكان وباقى حامية المدينة قد احتموا خلف السور الداخلى واستعدوا بسيوفهم ورماحهم لقتال اللاتين والجنوية الذين قدموا حاملين شارة الصليب على الكتف الأيمن ، ثم صعدوا نخلة وقربوها من السور ؛ وبسرعة انقضوا عبره على المسلمين حيث أعملوا سيوفهم فى رقاب وصدور كل من لاقوه . ودارت رحى مذبحة طاحنة فى الشوارع وداخـــل البيوت ؛ وهزم المسلمون ، وفر الباقون من رجال الحامية والسكان إلى المسجد للاحتماء بداخله . وتبعهم الجنوية بصحبة البطريك والقـــائد الجنوى إمبرياكو وحاصروهم بالداخل (١) ، وحاولوا اقتحام المسجد ؛ إلا أن ألفا من كبـار تجار قيسارية سارعـــوا بالصعود أعلى مئذنة المسجد وسطحه واستنجدوا بالبطريرك طالبين الأمان . وحسب رواية « كفارو » وافق البطريق وطالب الجنوية بإعطائهم الأمان ، فوافقوا وتركوا المكان وجالوا وصـــالوا فى المدينة ينهبون ويسلبون كل ما تقع عليه أيديهم من ذخائر وأموال ، وأسروا الرجال وسبوا النساء والأطفال وظلوا على هذه الحال حتى المساء (٢) . ومن الجدير بالذكر أن هناك رواية لاتينية تشير إلى عدم احترام الجنوية العهد ، فقد اقتحموا المسجد غدراً لإشباع هوايتهم بقتل المسلمين . فذبحوا كل من كان بالداخل مكررين نفس المذبحة التى قاموا بها فى المسجد الأقصى من قبل فى مدينة القدس

---

(١) Cafari, XVII, p. 64; Roger of Wendover, 1, p. 455; cf. Lopez & Raymond (eds. & trans.), Medieval Trade in the Mediterranean World, London 1955, p. 88f.

(٢) Cafari, XVII-XVIII, p. 64f.; cf. Lopez & Raymond, op. cit., p. 88f.

الشريفة . وهكذا تحول المسجد إلى بحيرة من دماء المسلمين العزل من السلاح(١). ومن الأفضل الأخــذ برواية ألبرت دكس عن المذبحة مما يتفق وروح العداء المتأصلة فى نفوس الجنوية ضد المسلمين آنذاك. أضف إلى ذلك جشعهم وتعطشهم لجمع الأموال والأسلاب والتخلص من منافسيهم التجار مهما كان لون بشرتهم أو عقيدتهم ؛ لذلك أداروا تلك المجزرة تحقيقا لمصالحهم الخاصة ، وإشباعا لروح التعصب ضد المسلمين . يؤيد ذلك تحويلهم مساجد المدينة إلى كنائس ، واحدة باسم «القديس لورنزو» تكريما للجنوية أنفسهم ، ويعتقد بتخصيصها للجالية الجنوية التى أقامت بالمدينة ؛ وأخرى باسم «كنيسة القديس بطــرس» خصصت للفرنجــة . وتتضح تلك الروح التعصبية العدائية لدى الجنوية تجاه المسلمين فى تعقيب مؤرخهم «كفارو» على بنـاء تلك الكنائس إذ يقول : «وفى تلك الكنائس وفى كل أنحاء المدينة [يقصد قيسارية] كان اسم يسوع المسيح [عليه السلام] يسبح ويحمد ، ومحى ولم يعد يذكر اسم محمد [عليه الصلاة والسلام] (٢) ؛ كبرت كلمةً تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذباً »(٣) .

---

(١) Albert d'Aix, p. 453f ; cf. Michaud, History of the Crusades, 1, p. 277f.; Stevenson, op. cit., p. 44.

وعن احتلال المدينة بحد السيف والمذبحة انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٣٩ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٥ ، ص ١٦٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٣٥ ؛ الكتبى : عيون التواريخ ، لوحة ٥١ ؛ ابن الجوزى : مرآة الزمان ، لوحة رقم ٢٤٣ أ ب . وأيضا انظر : Roger of Wendover, 1, p. 455

(٢) Cafari, XVIII, p. 65,

(٣) الكهف : ٥ .

مهما يكن من أمر ، بعد انتهاء المذبحة وعمليات السلب والنهب ، أبحر الجنويون حيث احتشدت قواتهم بكامل عددها وعتادها ـ وكذلك بحارة الاسطول ـ بالقرب من ميناء السويدية (١) . وبدأوا فى توزيع الغنائم والأسلاب والأموال على بعضهم البعض . ولاشك أنها كانت هائلة رغم أنها لم تتعد ثلث إجمالى الغنائم طبقا لشروط الاتفاق مع بلدوين الذى حصل على الثلثين الباقيين (٢) . ولقد أشار المؤرخون إلى ثراء المدينة التى « كانت بها جميع ثروات الشرق ، وغنية بجوهراتها وحليها وذهبها وأزيائها الفاخرة » (٣) . وقسمت تلك الثروات بين الجند والبحارة وقباطنة السفن الجنويه ؛ «ومنح قائد كل سفينة خمس أو عشر الأموال حسب حجم سفينته وطبقا لما كان متبعا فى هذا العصر وتم تقسيم الأموال الباقية على الجند والبحارة الجنوية ، فخص كل فرد منهم ثمانية وأربعون صولديا بواتيفى Poitevin (٤) وليبرتين من الفلفل (٥) . يضاف إلى ذلك الجهد الذى

---

(١) Cafari, XVIII p. 65 & note, b. cf. Lopez & Raymond, Medieval Trade, p. 89.

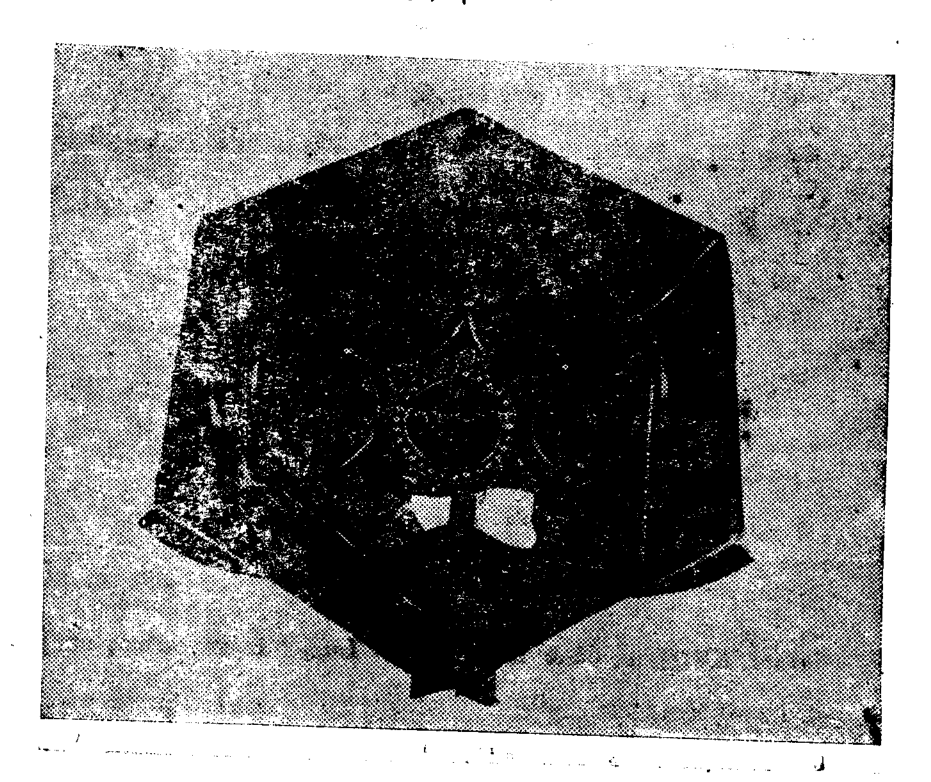
(٢) William of Tyre, I, p. 437.

(٣) Bent, Genoa, p. 30.

(٤) الصولدى البواتيفى عملة فضية من العصر الوسيط ، والصفة (بواتيفى) مشتقة من Poitou (بكتافيا P.ctavi) وهى من بلاد الغالة القديمة . ارجع فى ذلك إلى : Saint-Laurant, ch., Diction. Encyc., Paris, 1858, pp. 1083 (Pictavi), 1107 (Poi); Chamber's, Twentieth Century Dictionary, London 1959, p. 279 (denary-denarius), p. 1050 (Solidus).

(٥) الليبرة تساوى رطلا بالميزان الحالى . انظر : Twentieth Century Dictionary, p. 614 (Libra).

لوحة رقم (٤)



طاسة زجاجية زرقاء اللون يقال أن المسيح شرب منها ليلة العشاء الكبير
(محفوظة فى متحف كاتدرائية القديس لورنز بجنوة)

حصل عليه القناصل والقادة اللاتين وخيرة مقاتليهم » (١) .

وفى ليلة عيد القديس يعقوب أبحر الجنوية فى طريقهم إلى الوطن الأم جنوة فوصلوها فى شهر أكتوبر عام ١١٠١ م (ذى الحجة ٤٩٤ هـ) مكللين بأكاليل النصر (٢). أما بلدوين ذاته فقد ترك حامية بالمدينة وتحرك بقواته إلى مدينة الرملة استعدادا للطوارىء حيث وصلته أخبار خروج الفواطم للقتال (٣) . وهكذا حقق بلدوين هدفه بتوسيع حدود مملكته بعد سقوط أرسوف وقيسارية بفضل الجنويه الذين استفادوا من سقوطها . ومن الممكن القول بأن الجنوية أخذوا الكثير من الأسرى من مدينة قيسارية بالذات وباعوهم فى أسواق الرقيق التى

---

(١) Cafari, XVIII, p. 65; cf. Heyd, Le Colinie Commerciali, 1, 156 & note 4; Lopez & Raymond, op. cit., p. 89; Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 137.

أشار المؤرخون إلى أن أعظم ما حصل عليه الجنوية كان آنية زجاجية نهبوها من المسجد يقال أنها تشبه (الطاسة أو الوعاء) واعتقد وليام إمبريا كو أنها الكأس التى يقال أنها قدمت للسيد المسيح عليه السلام ليلة العشاء الربانى الكبير ويننفى هايد ذلك ويرى أنها ليست إلا كوبا أو كأسا من الزجاج الكريستال ولازالت محفوظة حتى اليوم فى متحف كاتدرائية القديس لورنزو فى مدينة جنوة . انظر لوحة رقم ٤ بالصفحة المقابلة :

Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 137 & note, 7.

فى هذا الشأن انظر أيضا : Roger of Wendover, 1, p. 455;

William of Tyre, 1, p. 437 & note 37; cf. Runciman, A History of the Crusades, 11, p. 73f.; Bent, Genoa, p. 30.

(٢) Cafari, XVIII, p. 65.

(٣) Roger of Wendover, 1, p. 455; William of Tyre, 1, p. 438f.

أقاموها فى قيسارية وغيرها من المدن. وهكذا ، وفى كل معركة شارك فيها الجنوية نلاحظ قوة الدافع المادى والنزعة التجارية المسيطرة على عقولهم (١) .
وهكذا زاد نفوذهم وقوى وجودهم بالشرق نتيجه لتعدد مراكزهم واستيطان جالياتهم فى أرسوف وقيسارية وغيرهما من المدن الساحلية ، وحيث أصبح الجنوية فى تلك المدن سادة أنفسهم (٢) .

ونتوقف هنا لحظة لنستعرض موقف الفواطم من المذابح التى قام بها الجنوية واللاتين واحتلالهم مدن الساحل التابعة لهم . الواقع أن الفواطم بعد هزيمتهم فى عسقلان قد هدأت فورتهم . ولكن بعد أن احتل الجنوية واللاتين مدينتى أرسوف وقيسارية بدأت ثلوج استكانة الفواطم تذوب ، وسارع الأفضل بتجهيز حملة عسكرية للثأر من اللاتين والحيلولة دون احتلالهم لما « بقى فى أيديهم [أى الفواطم] من البلاد الشامية » ، (٣) وتطهير الأرض المقدسة منهم وتقوية نفوذ الفواطم بالشام (٤) . وبالفعل خرجت القوات ووصلت إلى عسقلان بقيادة الطواشى سعد الدولة القواس (أوائل يوليو ١١٠١م/أواخر رمضان ٤٩٤هـ)(٥).

---

(١) Bent, Genoa, p. 30.

(٢) Iorga, Histoire des Croisades, p. 74.

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٤٤ .

(٤) محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ١٥٧ وما بعدها . انظر أيضا :
Michaud, History of the Crusades, 1, p. 278; cf. also : Runciman, A History of the Crusades, 11, p. 74.

(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٣٢ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٥٢ . وأيضا انظر :
Roger of Wendover, 1, p. 455 f.; also : Runciman, op. cit., 11, p. 74.

وقد أضاع سعد الدولة وقتا ثمينا فى الاستعداد وتنظيم صفوفه ، وفى يوم ٤ سبتمبر ١١٠١ م (٨ ذى القعدة ٤٩٤ هـ) خرج على رأس قواته من عسقلان متوجها إلى الرملة لتهديد كل من يافا وبيت المقدس (١) ، ومفاجئة بلدوين الذى كان قد استعد بقواته وأقام فى الرملة لمراقبة تحركات الجيش الفاطمى ، وحتى يكون قريبا من مواصلاته البحرية (٢) ، وكى يستطيع الاعتماد على السفن الجنوية وغيرها من الأساطيل الإيطالية الموجودة بموانى الشام الصليبية إذا ألجأته الحاجة إليها . وعلى الفور قرر مهاجمة الفواطم حيث هزمهم ، واستشهد سعد الدولة فى المعركة ، وفرت فلول الجيش الفاطمى إلى عسقلان ، واستولى بلدوين على كل ما فى المعركة من غنائم وأسلاب واقتسمها مع جنوده (٣) .

هذا ، وما أن علم الأفضل بهزيمة قواته حتى سارع بالاستعداد لإرسال حملة للثأر . إلا أن وفاة الخليفة المستعلى بالله الفاطمى (ديسمبر ١١٠١ م / صفر ٤٩٥ هـ) ، واختيار خليفة له شغلاه عن اتمام استعداداته . وبعد ما أجلس الآمر بأحكام الله على العرش وقوى قبضته على مقاليد الحكم (٤) ، أرسل حملة كبيرة بقيادة ابنه شرف المعالى . كما أرسل الأسطول فى البحر ووصلت القوة إلى

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٢٩٤ .

(٢) Runciman, op. cit., 11, p. 74.

(٣) ارجع فى ذلك إلى : ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، ص١٥٢ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٠ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص٣٢ ؛ William of Tyre, 1, p. 430f. وللاستزادة انظر : محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ١٦٠ وما بعدها ؛ Michaud, op. cit., 1, p. 278f.

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص٢٧، ٣٧ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤١ ؛ الكتبى : عيون التواريخ ، لوحة ٥٧ .

عسقلان يوم ١٥ مايو ١١٠٢ م / (٢٥ رجب ٤٩٥ هـ) (١) ؛ ومن هناك خرج شرف المعالى لتهديد كل من يافا وبيت المقدس ومساعدة ولاة الساحل ضد « منازليهم من أحزاب الفرنج [أى بلدوين والجنويه»] (٢) وعند يازور بالقرب من الرملة التقى الفواطم ببلدوين « فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة » (٣) وسارع بلدوين بالاختفاء « فى أجمة قصب » خوفا من الأسر فهاجمه الفواطم وأحرقوا « الأجمة ولحقت النار بعض جسده (٤). وهكذا انهزم اللاتين وهرب بلدوين إلى الرملة ومنها خرج متنكرا إلى يافا(٥) وهنا سارع الفواطم باحتلال الرملة بعد أن هاجموا الفرنج وقتلوا منهم « أربعمائة صبرا وأرسل ثلثمائة إلى مصر » (٦) .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٣٢ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤١ وأيضا انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ص ٢٩٦ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٥٢ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ص ٣٢ . وأيضا انظر :

Roger of Wendover, 1, p. 456f.; Alexiad, p. 286.

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤١ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٤٤ . وللاستزادة عن المركة ونتائجها انظر :

William of Tyre, 1, p. 443f; also : Michaud, History of the Crusades, 1, p. 279.

(٥) ابن الاثير : شرحه ، ص ١٤٤ . هذا وقد أشار مؤرخو اللاتين إلى أن أحد الشيوخ العرب قد أنقذه لمعروف قدمه بلدوين لزوجته من قبل انظر :

William of Tyre, 1, p. 445; Roger of Wendover, 1, p. 457.

(٦) Michaud, op. cit., 1, p. 280.

وهكذا حقق الفواطم اول نصر على الصليبيين الذين لحقتهم أول هزيمة منذ أن وطأت أقدامهم أراضى الشام (١) . ولما كان النصر يولد الهزيمة والنصر ، فقد تشجع شرف المعالى وحاصر يافا برا وبحر . ولحسن حظ بلدوين الذى كان قد استمد لمواجهة الفواطم حدث أن قدمت عمارة بحرية لاتينية من مائتى سفينة استطاعت أختراق الحصار البحرى الفاطمى ، ووصلت ميناء يافا ع.ا قوى من هزيمة اللاتين (٢) . وعلى الفور عقد بلدوين مجلسا حربيا وقرر مباغتة الفواطم. وفى اليوم السابع والعشرين من مايو ١١٠٢ (٦ أو ٧ شعبان ٤٩٥ هـ) ، خرج بلدوين للقتال والتقى بالفواطم وهزمهم وفرت فلولهم بقيادة شرف المعالى إلى عسقلان (٣) . ولا شك أن هذه الهزيمة قد أنقذت الصليبيين من خطر محقق ، كما أمنت الوجود الجنوى الإيطالى التجارى بوجه عام فى المراكز التجارية بالمدن الساحلية وغيرها من المدن اللاتينية . أضف إلى ذلك أن هزيمة بلدوين السابقة وما كاد يترتب عليها من أخطار ستجعل الإيطاليين وعلى رأسهم الجنوية يلقون بكامل ثقلهم إلى جانب بلدوين ، ومساعدته فى تأمين الوجود الصليبى فى الشام بالإسراع باحتلال باقى المدن الفاطمية بالساحل .

وبالمثل كان للهزيمة وقعا أليما فى نفس الأفضل الذى اشتد غضبه لهزيمة ابنه ، وجهز حملتين : إحداهما برية بقيادة مملوكه تاج العجم ، والثانية بحرية بقيادة أمير

---

(١) Roger of Wendover, 1, p. 457f ;cf. Michaud, op. cit., I,p.280

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٥٢ وأيضا انظر : محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ١٧٠ ؛ Runciman, A History of the Crusades, II, p. 79.

(٣) ارجع إلى : Foucher de Chartres, p. 288; Alexiad, p. 286; William of Tyre, 1, p. 433 ff., cf. also Runciman, op. cit , II, 80.

البحر القاضى بن قادوس (١) . وأبحر الأسطول شمالا فنزل على يافا ، بينما نزل تاج العجم على عسقلان فاستدعاه ابن قادوس إليه ليتفقا على قتال الفرنج » . ويرجح حدوث خلاف بين القائدين أدى إلى أن أرسل تاج العجم إلى ابن قادوس يعتذر عن عدم حضوره لمساعدته « إلا بأمر الأفضل » ، وعندما علم الأفضل بذلك غضب، وتم القبض على تاج العجم وإحلال قائد آخر محله (٢) . وبهذا فشلت الحملة الفاطمية فى تحقيق أهدافها نتيجة الخلاف بين القائدين الفاطميين، بينما أتيحت الفرصة لبلدوين للاستعداد لمواجهة الموقف من ناحية ، وزاد تعضيد الجنوية وأهالى المدن الإيطالية الأخرى للصليبيين من ناحية أخرى ، كما نجت المملكة اللاتينية من خطر جديد تهددها .

وعلى أية حال ، كان بلدوين فى تلك الأثناء يواصل إرسال مبعوثيه ورسائله مستنجدا باللاتين فى أنطاكية والرها . وبالفعل وصلته فى يوم ٢ سبتمبر ١١٠٢م (١٧ ذو القعدة ٤٩٥ هـ) قوات صليبية بقيادة تانكرد الوصى على أنطاكية ووليام دى بورج أمير الرها مقدارها قرابة ألف من الرجالة وخمسمائة فارس (٣) ، قادهم بلدوين وهاجم عسقلان، وسرعان ما آثر اللاتين الانسحاب لعدم وجود قوة بحرية مساندة لهم ، فضلا عن قوة تحصين المدينة (٤) . وبعد انسحاب

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص٣٣ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١٥٢ .

(٢) المقريزى : شرحه ؛ ابن الاثير : شرحه .

(٣) Albert d'Aix, p. 597; cf. Stevenson, The Crusaders in the East, p 46.

وللاستزادة انظر : محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ١٧٠—١٧١ .

(٤) Stevenson, op. cit., p. 46f.; Runciman, A History of the Crusades, 11, p. 80f.

اللاتين من حول عسقلان تبدت أمام الملك بلدوين أهمية المساعدات البحرية كضرورة حتمية لاحتلال مدن الساحل الفاطمية بوجه عام ؛ خاصة وانها كانت تشكل خطرا محققا على الوجود اللاتينى بالشرق . وبالمثل وجد الجنوية فى تلك المدن تهديداً خطير لوجودهم بالشرق من خلال تهديدها للوجود اللاتينى المرتبط بوجودهم ووجود جالياتهم به . لذلك تطلع كل من اللاتين والجنوية وباقى أهالى المدن التجارية الإيطالية إلى احتلال بقية مدن الساحل الفاطمية الإسلامية بالشام ؛ لما لها من أهمية فى تأمين الاتصالات بالغرب وحيث يستطيعون الحصول على المال والرجال والعتاد (١) ؛ يضاف إلى ما تقدم أهميتها للجنوية بصفة خاصة طمعا فى الحصول على المزيد من المكاسب التى تذوقوا حلاوتها بعد أن زادت نتيجة لاتساع نطاق نشاطهم التجارى بعد قيام مملكة بيت المقدس (٢) .

ولقد زاد من تصميم اللاتين على احتلال تلك المدن بمساعدة الأساطيل البحرية الإيطالية الجنوية ما حدث يوم أن جنحت بعض سفن الحجاج اللاتين إلى شواطىء تلك المدن الفاطمية تجاه صيدا وصور وعسقلان ، وكان أن سبى الفواطم وأسروا من فيها من اللاتين ، وباعوهم فى أسواق النخاسة بالقاهرة (٣) . وكانت تلك الحادثة هى الذريعة التى تذرع بها اللاتين لاحتلال تلك المدن . وهنا يتجلى الدور الذى قام به الأسطول الجنوى ، الذى اتضحت أهميته منذ بداية الحملة وبعد إقامة مملكة بيت المقدس ، والذى ينحصر فى خلق وتثبيت دعائم

---

(١) Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 136.

(٢) Michaud, History of the Crusades, 1, p. 260.

(٣) Albert d'Aix, p. 600f.

الوجود اللاتيني . وكان من نتائجه توطيد دعائم النفوذ الجنوى الإيطالى بالشرق نتيجة للمساعدات التى قدمتها الأساطيل الجنوية والتى ترتب عليها سقوط مدن الساحل الفاطمية بأيدى اللاتين مثل يافا وأرسوف وقيسارية وحيفا من قبل وأنطرطوس وعكا و جبيل وطرابلس وصيدا وصور كما سيتضح فيما بعد (١) .

واضح مما سبق أن الجنوية بجدهم وحديدهم وأساطيلهم كانت لهم اليد الطولى فى تثبيت الوجود الصليبي فى الشرق فى بداية الحركة ، وفى تكوين الإمارات الصليبية المختلفة على حساب المسلمين بوجه عام والفواطم بصفة خاصة .وواضح أيضاً دور الجنوية فى توجيه الحملة اللومباردية الفاشلة إلى الشرق. والجدير بالذكر أنه بعد فشل تلك الحملة وفرار بعض رجالها ، وبعد وصولهم إلى بيت المقدس استغل اللاتين فلولهم فى حصار مدينة أنطرطوس .وشجع اللاتين على ذلك وصول أسطول جنوى يتألف من ست عشرة سفينة حربية وناقلة مشحونة بالجنود والحجاج الجنوية بقيادة القنصلين موروِدى بلاتيالونجا **Maure de Platealonag** وباجانوس دى فولتا **Paganus de Volta** وعديد من كبار النبلاء الجنوية (٢) . وبعد الحج والزيارة شاركوا ريموند الصنجيلى حصار أنطرطوس التى استسلمت بعد مقاومة ضعيفة فى فبراير ١١٠١م (ربيع ثانى ٤٩٥ هـ) . وهكذا ساهم الجنوية فى وضع نواة كونتية طرابلس التى كان ريموند

(١) **Iorga, Histoire des Croisades, p. 71.**

(٢) **Cafari, XXIII, p. 69, cf. Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 139.**

الجدير بالذكر أن الأسطول الجنوى الذى ساهم فى حصار واحتلال أرسوف وقيسارية وهو عائد بالغنيمة التقى فى كورفو مع هذا الأسطول . انظر :

Cafari, XXII-XXIII, p. 69cf. Heyd, Ibid. & note 2.

يعلم بتكوينها وحكمها (١) . وبعد ذلك بدأ ريموند يفكر فى حصار طرابلس التى فزع صاحبها فخر الملك أبو على بن عمار من حصار اللاتين لها ، فتودد إليهم ، وهادنهم على مال وخيل ، (٢) فرفع ريموند الحصار عنها ورحل .

فى نفس الوقت استعد بلدوين لمواصلة تنفيذ خططه ضد مدن الساحل الفاطمية . فحاصر عكا فى أبريل ١١٠٣ م (رجب ٤٩٦ هـ) (٣) ، وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والأبراج ، (٤) ؛ فاستنجد حاكمها بالأفضل فى مصر . واستجاب الأفضل النداء ، ووصلت النجدات إلى عكا من ، سائر السواحل ، وهاجم المسلمون الفرنجة فدمروا ، منجنيقاتهم وأبراجهم فأحرقوها وأحرقوا سفنهم أيضاً ، وتراجع بلدوين منسحبا لعدم وجود قوة بحرية مساندة له (٥) . وعاد إلى مقره منتظراً الفرصة المواتية للانقضاض على عكا وغيرها من مدن الساحل بتعضيد السفن الجنوية التى طالما ساعدته . ولشد ما كانت فرحته عظيمة يوم أن علم بوصول العديد من السفن الجنوية إلى ميناء

---

(١) Cafari, XXIII, p. 60, Albert d'Aix, p. 538.

وأيضاً انظر : السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ص ٩٠-٩١ . سبق ان احتل اللاتين انطرطوس أثناء زحفهم نحو بيت المقدس بمساعدة الجنوية . واستطاع ابن عمار استعادتها أثناء « غياب ريموند مع الحملة اللومباردية فى آسيا الصغرى » . انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٤٣ .

(٣) William of Tyre, 1, p. 453 & note 52.

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ١٤٤ .

(٥) ارجع الى : ابن الاثير ، شرحه ؛ Foucher de Chartres, p. 406
William of Tyre, 1, p. 452f.

اللاذقية فى مارس عام ١١٠٤م (جماد ثانى ٤٩٧ هـ) مشحونة بالجنود والحجاج والتجار الذين قدموا إلى الشرق بعد أن سمعوا عن الثروة التى حققها اخوانهم الجنوية الذين استقروا هناك من قبل (١) بعد نجاح اللاتين فى تأسيس إماراتهم. وكان هذا الأسطول نفسه قد استعان به ريموند الصنجيلى فى حصار طرابلس وفشل ، فتوجه معهم لحصار جبيل التى سقطت نظير الأمان ؛ ولكن الجنوية غدروا كعادتهم، وسلبوا المدينة والسكان ونهبوا الأموال وكوفئوا بثلث المدينة(٢) التى ستحولها أسرة « إمبرياكو » إلى إقطاعية وراثية فى سلالة أبنائها (٣) .

وعلى أية حال ، سوف يستعين بلدوين بهذا الأسطول الجنوى فى حصار عكا . ذلك أنه سارع بإرسال رسله والتقى مع هيو إمبرياكو أمير البحر الجنوى واتفق معه على حصار المدينة مذكرا إياه بالدور الإيجابى الذى قام به الجنوية من قبل لصالح اللاتين ، ومشيرا إلى الفوائد التى حصلوا عليها من جراء مساعداتهم فى احتلال قيسارية بصفة خاصة . ووافق الجنوية بعد الاتفاق على حصولهم على ثلث الدخل المتحصل من ثغر عكا ، وامتلاكهم كنيسة وشارعا كالمعتاد . كما وافق الملك وتم توقيع وثيقة بذلك بعد أن أقسم الطرفان على احترامها (٤) . وفى اليوم المحدد نزل بلدوين « فى عسكره على ثغر عكا ومعه

---

(١) Cafari, XXV-XXVI, p. 70.

(٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٥٥ ؛ ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٣ . وأيضا انظر Cafari XXIV, XXVI, p. 70, 72; cf. Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 139; Runciman, A History of the Crusades, II, p. 60.

(٣) Albert d'Aix, p. 605f.; Cafari, XXIV, p. 70.

(٤) William of Tyre, 1, p. 454f.; cf. Patterson, R., The =

الجنويون والمراكب فى البحر والبر .... فى نيف وتسعين مركبا فحصروه من جهاته وضايقوه من جوانبه ولازموه بالقتال » (١) . وكان أن استبسلت حامية المدينة فى الدفاع بقيادة حاكمها الفاطمى الأمير زهر الدولة بنا الجيوش (٢) إلى أن وعجز ورجاله عن حربهم فى البر والبحر (٣) . واشتد الجنوية واللاتين فى القتال وضربوا المدينة بالمنجنيقات والأحجار ودمروا مساكنها واستشهد كثير من المدافعين والسكان (٤). فأرسل الأمير بنا إلى مصر والمدن الفاطمية بالساحل الشامى يطلب سرعة إرسال المدد والنجدات فلم ينجدوه (٥) فما كان عليه إلا أن فاوضهم — مضطرا — على الاستسلام مقابل الأمان له ولأهل الثغر ليأسه من وصول نجدة أو معونة» (٦) . وسمح للقائد الفاطمى بنا بالخروج إلى دمشق بعد تسليمه الثغر (٧) «لعجزه عن حمايته وضعفه عن المراماة دونه » وذلك يوم

Early Existance of the Funda & Catena in the 12th. Century = Latin Kingdom of Jerusalem, Speculum. A Journal of Medieval Studies, Vol. 39, No. 3, July 1964, p. 476 & note 10; Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 138.

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٤٣ـ١٤٤ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص١٥٥ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص١٨٨ . وايضا انظر : William of Tyre, 1, p. 455.

(٢) ابن القلانسى : السابق ، ص ١٤٤ ؛ ابن الاثير : شرحه ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٣٤ .

(٣) ابن القلانسى : شرحه .

(٤) William of Tyre, 1, p. 455.

(٥) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص١٨٨ .

(٦) ابن القلانسى ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٧) المقريزى ، اتعاظ الحنفاء جـ٣ ، ص٣٤ ، ٣٦ .

٢٦ مايو ١١٠٤م (٢٨ شعبان ٤٩٧ هـ) (١) . ومما عرف به الجنوية من حقد وكراهية ضد المسلمين ، ولرغبتهم الجامحة فى الانتقام منهم ، فقد نقضوا العهد الذى قطعه بلدوين على نفسه واجتاحوا المدينة كالإعصار المدمر يقتلون ويذبحون ويسحلون المسلمين ويسلبون وينهبون الثغر الآمن ، وفعلوا بأهله الأفعال الشنيعة ، (٢)؛ وبلغت وحشيتهم حداً من البشاعة لدرجة أن بلدوين نفسه قد احتد عليهم وغضب لما ألم بالسكان من جراء تلك المجزرة، ولولا جهود البطريرك التوفيق بينهم وبينه لتطور الأمر (٣) .

وبمجرد سقوط المدينة سارع بلدوين بتنفيذ شروط الاتفاق السابق عقده مع الجنوية ؛ فحصلوا على جزء من المدينة قريب من البحر بما فيه حقل زراعى وحقهم فى الحصول على مبلغ ستمائة بيزنط (٤) سنوياً من إيراد عكا ، فضلا عن الثلث الممنوح لهم خارجها ، وفيه عينوا نائبا عن القائد الجنوى هيو إمبرياكو

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٥٥ ؛ ابن القلانسى ، السابق ، ص ١٤٤ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٥ ، ص ١٧٠ ، ١٨٨ . وأيضا انظر :

William of Tyre, 1, p. 455.

(٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٥٥ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٤ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ ٥ ، ص ١٨٨ ؛ الكتبى : عيون التواريخ ، لوحة ٦١ . وأيضا انظر :

Runciman, A History of the Crusades, 11, p. 88; Heyd, op. cit ; 1, p. 137f.

(٣) Albert d'Aix, p. 606ff ; cf. Runciman, op. cit., 11, p. 88

(٤) البيزنط أو (النوميزما Nomisma) من الذهب الخالص عيار ٢٤ قيراط شاع استعماله فى القرنين ١٢ ، ١٣ فى فرنسا . انظر :

Saint Laurant, Diction. Encyc.; 1, p. 144 (Bes.).

لحكم هذا الجزء باسم الجنوية ؛ كذلك حصلوا على ثلث الغنائم وشارع وكنيسة (١) ، هذا إلى جانب امتلاكهم ثلث كل من مدينتى أرسوف وقيسارية. وإتفق أيضاً على منحهم ثلث كل مدينه يساهمون فى حصارها مستقبلا بعدد من المقاتلين لايقل عن خمسين (٢) . هذا ، وقد أرجع أبو الفدا سقوط عكا إلى تناحر وتفكك القوى الإسلامية وقتها ، قال : « هكذا سقطت عكا بينما خليفة مصر وملوك الإسلام إذ ذاك مشغولون بقتال بعضهم بعضا ، وقد تفرقت الآراء واختلفت الأهواء » (٣) .

ولا مراء أن سقوط عكا قد أفاد الجنوية واللاتين من ناحية ، وأضر الوجود الفاطمى بالشام من ناحية أخرى . فبالنسبة للجنوية أدى سقوطها إلى ازدياد نفوذهم وقوتهم كنتيجة حتمية لما امتلكوه من مراكز تجارية جديدة فى هذا الثغر ، وبالتالى اتساع مجالات نشاط جالياتهم خاصة وأن عكا لها شهرتها كمركز [illegible] تم الشـ قة القادمة ... الشرق ... دمشق [illegible] ... للـ ... فقد ... دت إلى اتساع مساحه المملكه اللاتينية ولأول مرة أصبح لها منفذا آمنا سهل لها الاتصال بالغرب الأوربى . كما أصبحت عكا لصلاحية ميناءها ملاذا طيبا للسفن اللاتينية

---

(١) Cafari, XXVI, p. 71 & note h, p. 72 & note e; William of Tyre, 1, p. 455f.

(٢) Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 151.

(٣) ابو الفدا : تاريخ ابو الفدا ، المجلد الأول ، ج٢ ، ص٢٢٨ .

(٤) Heyd, Histoire du commerce, 1, p. 138; Runciman, op. cit., 11, p. 88.

للاحتماء به ضد هجمات الأسطول الفاطمي المعادى لها(١) . أضف الى ذلك أن بلدوين نتيجة لدور الجنوية الإيجابي فى احتلال عكا ، وانطلاقا من زاوية المصالح الخاصة التى يسعى إليها الجنوية ، وتحقيقا للمزيد من الاتساع لحدود مملكته ، قام بخطوة جريئة ؛ إذ اتفق مع الجنوية على تقـــديم المساعدات للمملكة اللاتينية ضد الفواطم ، والإسهام بأساطيلهم فى احتلال باقى المدن نظير عدة امتيازات واستثناءات خاصة بجالياتهم . ولاجدال أن الجنوية قد عرفوا شدة احتياج بلدوين إليهم فضغطوا عليه للحصول على المزيد من الامتيازات . فكان أن وقع معهم اتفاقية جديدة فى عام ١١٠٥م . وهكذا بلغ عــــدد الاتفاقيات التى وقعها مع الجنوية ، إحدى عشرة اتفاقية وأعطاهم تسهيلات ضخمة كما كان قد وعدهم بذلك ، وهذه الاتفاقية مدونة فى سجل الجنويين ومن بين هذه التسهيلات أن أصدر بلدوين أوامره بكتابة الانتصارات التى حققها الجنوية بأحرف من ذهب وأن توضع بجوار الضريح المقدس . وبعد أن تمت كتابتها وعد بلدوين هو وثلاثة عشر رجلا من الرؤساء والأمراء [الصليبيين] بأن يحافظوا عليها إلى الأبد ، (٢) . وقد أعد الجنوية على الفور تلك اللوحة التى كلفتهم الفى بيزنط من الذهب تحمل نقوشا ذهبية لقائمة الهبـــات والامتيازات التى منحت لهم تقديرا واعترافا بأفضالهم على المملكة واللاتين . ووضعوها فى صدر كنيسة الضريح المقدس خلف الهيكل كدليل حى على دورهم الإيجابي فى الحرب الصليبية الأولى وأثرهم فى إقـــامة وتدعيم أسس الإمارات اللاتينية فى الشرق . وهـــذه الوثيقة لازالت محفوظة فى السجـــلات الرسمية لجمهورية.

---

(١) William of Tyre, 1, p. 456.

(٢) Cafari, XI, p. 59, XXVI, p. 72; cf. Bent, Genoa, p. 89f.

جنوة (١) . أما أثر سقوط عكا على الفواطم فلا شك أنه أدى إلى تقلص نفوذهم بالشام ، وحرمهم من أهم قواعدهم البحرية هناك (٢) . ولقد كان لموقفهم السلبي من سقوط عكا أثره فى أن أتهم الآمر الفاطمى بالتقاعس والتهاون فى أمر الجهاد حتى استولى الفرنج على أغلب المدن الساحلية فى أيامه (٣) .

والحقيقة أن الأفضل الفاطمى لم يتخل عن مواصلة الجهاد، وإن كان يعاب عليه عدم الخروج بنفسه على رأس جيشه للقتال ؛ إلا أنه من الممكن أن نجد له العذر فى ذلك لخوفه مما كان يسود تلك الحقيقة من مؤامرات وأطماع من أجل الوزارة . وعلى أية حال ، فقد استعد الأفضل بعد سقوط عكا ، وربما بعد ما علم بالاتفاقيات المعقودة بين الجنوية واللاتين ، لاحتلال باقى مدن الساحل . فأرسل حملة برية بحرية للشام ، وخرج ابنه سناء الملك على رأس جيش قوامه خمسة آلاف فارس . واتفق مع طغتكين صاحب دمشق ضد الفرنج ، فأرسل طغتكين عسكراً بقيادة أصبهبذصبا وجارتكين (٤) . ويرى واحد من كبار المؤرخين

---

(١) Cafari, XXVI, p. 72; cf. Heyd, op. cit., 1, p. 138.

والجدير بالذكر أن الملك اللاتينى عمورى (١١٦٢ - ١١٧٣م) أمر بازالة هذه اللوحة وتدميرها فاشتكى الجنوية للباباوات والأمراء اللاتين واستدروا عطفهم للتدخل والحفاظ عليها وعلى نفوذهم فى الشرق . انظر :

Heyd, op. cit., pp. 148, 149 & note 1.

(٢) عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٣٠٣ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج ٥ ، ص ١٧٨ .

(٤) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٣ ، ص ٣٥ ؛ ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ، ص ١٦٥ . وللاستزادة انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٤٨ - ١٤٩ وأيضا انظر : محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ١٧٣ ومابعدها .

الحديثين أن تحالف الأفضل وطغتكين يعتبر أول محاولة عملية اتحد فيها المسلمون بمصر والشام ضد اللاتين عدوهم المشترك (١) وحلفائهم من الجنوية وغيرهم من التجار الإيطاليين .

ومهما يكن من أمر ، بعد أن علم بلدوين بخروج القوات الفاطمية الدمشقية المشتركة لمواجهته ، استعد في يافا لمواجهتهم ، وكان الأسطول المصرى يحاصرها فى ذلك الوقت ، استعدادا للقتال ضد الأساطيل الجنوية اللاتينية إذا تطلب الأمر. وهناك قرب الرملة التقى الفريقان يوم الأحد ٢٧ أغسطس ١١٠٥م (١٤ ذو الحجة ٤٩٨هـ) فانكسرت عساكر المسلمين دون أن تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى ، فقتل من المسلمين ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم (٢) . وما أن علم قائد الأسطول المصرى بالهزيمة حتى سارع بالعودة إلى صور ومنها عرج على صيدا فطرابلس . وأثناء عودته أطاحت عاصفة بعشرين من سفنه إلى الشواطىء الصليبية فأسرها الفرنج (٣) .

وهكذا فشلت الحملة الفاطمية ضد اللاتين . وتعتبر هذه الحملة من أكبر وأخطر المحاولات التى قام بها الأفضل ضد الفرنج لكسر شوكتهم هم وحلفائهم الجنوية فى البر والبحر . ورغم خيبة الأمل التى أصابت الأفضل فإنه لم يتوان عن إرسال قواته لمهاجمة اللاتين وقض مضاجعهم . ففى عام ١١٠٦م (٤٩٩ - ٥٠٠هـ) أغار الفواطم على أحد معسكرات الحجاج اللاتين فيما بين يافا وأرسوف

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٣٠٤ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ص ١٦٥ . وأيضا انظر :

Runciman, A History of the Crusades. 11. p. 89f.

(٣) Foucher de Chartres, p. 414.

منتهزين فرصة انشغال بلدوين بالسيطرة على الأمور وتنظيم أحوال الجليل . وفى عام ١١٠٧م (٥٠٠ - ٥٠١ هـ) هاجمت قوة فاطمية حبرون (الخليل) وكادت تحتلها لولا أن سارع بلدوين لإنقاذها (١) . بل وحاول وأد الخطر الفاطمى بأن هاجم مدينة عسقلان كبرى القواعد الفاطمية بالشام ، ولكنه عدل عن الفكرة لعدم وجود قـــوة بحرية مساندة له (٢) . وهكذا تتضح أهمية الأسطول البحرى الجنوى وأهمية دوره فى تقليص النفوذ الفـــاطمى بالشام . كذلك وصل الفواطم إلى أسوار بيت المقدس عام ١١١٠م (٥٠٣ - ٥٠٤هـ) دون أن تحقق قواتهم شيئاً (٣) .

مهما يكن من أمر ، فلا شك أن الأفضل بذل جهوده لقتال الفرنج وحلفائهم الجنوية ، ولكن عدم ترابط القوى الإسلامية من ناحية ، والمساعدات الفعالة التى قدمها الجنوية للصليبيين من ناحية أخرى؛ فضلا عن الانتصارات التى حققها اللاتين من قبل - ولا زالت لها أصداؤها المدوية فى آفاق الشرق - كل هذا أدى إلى فشل جهود الفواطم للذب عن المدن الساحلية بالشام وتوالى تساقطها بأيدى الجنوية واللاتين .

سبق أن ذكرنا أن الجنوية ساعدوا ريموند الصنجيلى فى احتلال مدينتى أنطرطوس وجبيل اللتين جعلها ريموند نواة لإمارة طرابلس الشام . وبعد

---

(١) Runciman, A History of the Crusades, 11, p. 90f.
راجع أيضا : عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص٣٠٥ — ٣٠٦؛ محمد الشيخ : الجهاد المقدس ، ص١٨٥ .

(٢) Albert d'Aix, p. 635f.

(٣) Albert d'Aix, p. 676f. وأيضا عاشور : المرجع السابق ، ص٣٠٦ .

ذلك هاجم ريموند المدينة وحاصرها ثم رفع حصاره عنها بعد أن هادنه صاحبها «على مال وخيل» . وعاد ريموند بعد ذلك إلى أنطرطوس (١) التى جعلها قاعدة إنطلاق لتحقيق هدفه باحتلال طرابلس . ولإحكام الحصار حولها أقام ريموند حصنا منيعا فى مواجهتها عرف باسم قلعة صنجيل نسبة إليه (٢) . وبموته (٢٨ فبراير ١١٠٥م) خلفه ابن خالته وليام جوردانيس Guillelmus Jordanus (٣) كونت سردينيا الذى واصل حصار طرابلس ، التى دب اليأس فى نفوس سكانها لطول فترة الحصار على امتداد أربع سنوات(٤). فكان أن ذهب ابن عمار إلى بغداد لطلب النجدة من الخليفة المستظهر العباسى (١٠٩٤م- ١١١٨م / ٤٨٧ - ٥١٢هـ) والسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١٠ ص ١٤٣ . وأيضا ص ٢١٩ - ٢٢٠ من هذا الفصل ؛
Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 139.

(٢) عن حصانة طرابلس وجهود ريموند لاحتلالها وبنائه القلعة إرجع إلى :
Cafari, XXIV, p. 70 & note, b.; William of Tyre, 1, p. 454; Albert d'Aix, p. 610.

وأيضا انظر : عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٣٦٠ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ١٧٢ . وأيضا :
Cafari, XXVI, p. 72; Albert d'Aix, p. 610.
مات ريموند فى قلعته متأثرا من حريق أصابه بعد أن هاجم الطرابلسيون القلعة . ولقد أشار سبط بن الجوزى (مرآة الزمان ، لوحة ٢٥١ ب) إلى أن ريموند اتفق قبل وفاته مع ابن عمار على أن «يكون لصنجيل ظاهر طرابلس ولا يقطع الميرة والمسافرين عنها» والرواية يشك فيها لعدم ورودها فى أى مصدر لاتينى أو عربى آخر . انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٣٦١ .

(٤) Setton, A History of the Crusades, 1, p. 396.

(١١٠٤ - ١١١٧م/ ٤٩٧ - ٥١١هـ)(١). ولا شك أن ابن عمار لم يذهب إلى بغداد إلا بعد أن طرح فكرة الاستعانة بالفواطم جانبا خوفا من أطماعهم فى طرابلس (٢).

ذهب ابن عمار إلى بغداد، وعاد كسير القلب خالى الوفاض فى شهر أغسطس ١١٠٨م (محرم ٥٠٢هـ). وفى طريقه إلى طرابلس سمع بسيطرة الفواطم على المدينة التى كان سكانها قد ضاقوا ذرعا ويأسوا من قدوم النجدات لحمايتهم، فأرسلوا إلى الأفضل الفاطمى، يلتمسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة فى البحر فسير إليهم [الأفضل] شرف الدولة ابن أبى الطيب واليا عليهم ومعه الغلة وغيرها مما تحتاج إليه البلاد فى الحصار. فلما صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمار وأصحابه وأخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع إلى مصر فى البحر» (٣). وهكذا سيطر الفواطم على طرابلس وأصبحوا من جديد وجها لوجه أمام الجنوية واللاتين بينما سار ابن عمار إلى دمشق ومنها ذهب إلى جبلة، فدخلها وأطاعه أهلها» (٤).

---

(١) عن رحلة ابن عمار إلى بغداد لطلب النجدة ونتائجها انظر: ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٦٠؛ الكتبى: عيون التواريخ، لوحة ١١٣؛ ابن الاثير: الكامل، جـ١٠، ص١٩٠-١٩١.

(٢) عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، ص ٣٦٢؛ السيد سالم، طرابلس الشام، ص٩٩-١٠٠.

(٣) ابن الاثير: المصدر السابق، ص١٩١؛ سبط بن الجوزى: مرآة الزمان، لوحه ٢٦٠ ب؛ ابن القلانسى، المصدر السابق، ص ١٦١. للاستزادة السيد سالم: المرجع السابق، ص ١٠٩ وبعدها.

(٤) ابن الاثير، المصدر السابق، ص ١٩١.

ومهما يكن من أمر ، فما أن سمع وليام جوردانيس ذلك ، حتى شدد حصاره على طرابلس ، وأرسل مبعوثيه إلى مدينة جنوة يخبر الجنوية بموت ريموند ويستدعيهم « لمساعدته فى احتلال مدينة طرابس إكراما للرب ، وحبا للضريح المقدس » (١) . حدث ذلك فى نفس الوقت الذى رحل فيه برترام بن ريموند الصنجيلى إلى مدينة جنوة للتفاوض مع قادتها بنفسه ، لمساعدته على استعادة أملاك والده من وليام هذا ، وتحقيق أهدافه باحتلال طرابلس (٢) . وهنا أسقط فى يد الجنوية الذين فضلوا كفة برترام الراجحة ، واتفقوا معه على مساعدته لانتزاع طرابلس من أيدى الفواطم نظير امتيازات هائلة (٣) . وأعدوا أسطولا كبير العدد يتراوح تعداده ما بين ستين وسبعين سفينة بقيادة الشقيقين هيو وأنسالدوا إمبرياكو . ومع بداية عام ١١٠٩ (٥٠٢هـ) أبحر الأسطول الجنوى متجها إلى الشام بصحبة برترام . وفى الطريق عرجوا على القسطنطينية فأحسن ألكسيس كومنين استقبالهم وتحالف معه برترام وأعلن له الولاء والطاعة (٤) . ومنها أبحر الجنويون إلى ميناء القديس سيمون فأنطرطوس .

---

(١) Cafari, XXVI, p. 72.

(٢) Cafari, XXVII, p. 72f.; cf. Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 140; Setton, A History of the Crusades, 1, p. 396.

(٣) Cafari, XXVII, p. 72; cf. Heyd, op. cit., 1, p. 139f.

(٤) Cafari, ibid., Albert d'Aix, p. 664; William of Tyre, 1, p. 476f. & note 38.

ذكر ابن تغرى بردى (النجوم ، جـ ٥ ، ص ١٧٩) أن الفرنجة نزلوا مع ريموند ابن صنجيل (يقصد برترام) على « طرابلس فى ستين مركبا » . انظر أيضا . ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٣ وبعدها . وللاستزادة عن تلك الأحداث انظر ، السيد سالم : طرابلس الشام ، ص ١١٥ وبعدها . وعن برترام ونشأته انظر : =

وهناك استقبلهم وليام جوردانيس الذى رفض إعطاء برترام أملاك والده واستنجد بقوات تانكرد ؛ وإجابة على ذلك استنجد برترام ببلدوين بعد أن أعلن تبعيته له (١).

وسارع بلدوين بالحضور واستطاع حل الإشكال بين الطرفين (٢). واتحد اللاتين وضربوا الحصار حول طرابلس من البر وأحكم الجنوية حصارها من من البحر، تعاونهم السفن البروفنسالية. هذا ولتعدد رسائل شرف الدولة حاكم المدينة الفاطمى إلى الأفضل طالبا النجدة؛ سارع الأفضل بإعداد الأسطول وشحنه بالمقاتلين والميرة والعتاد. إلا أن المنازعات بين قادته أعاقته عن الإبحار من موانى مصر، وعند الإقلاع أعاقته الرياح عن التحرك، فتعذر عليهم [أى الفواطم] الوصول إلى طرابلس ليقضى الله أمراً كان مفعولا، (٣).

فى نفس الوقت دب اليأس فى نفوس الحامية الفاطمية، واضطر شرف الدولة أمام شدة ضغط الجنوية واللاتين على المدينة إلى أن يرسل مبعوثيه

=Cafari, XXIV, XXVI-XXVII, pp. 70, 72f.; William of Tyre, 1, p. 475 & note 35.

(١) Cafari, XXVIII, p 72f.; Albert d'Aix, p. 665ff.; William of Tyre, 1, p. 475; cf. Setton, op. cit., 1, p. 397.

(٢) اتفق على أن تكون جبيل وطرابلس وقلعة الصنجيلى من نصيب برترام، وتكون عرقه وأنطرطوس وتوابعهما من نصيب وليام جوردانيس. وفى حالة الوفاة ستئول الأملاك إلى الحى منهما. انظر: William of Tyre, 1, p. 475f.; Albert d'Aix, p. 667f.; Cafari, XXVII, p. 73.

(٣) ابن الاثير: الكامل، جـ١٠، ص٢٠٠-٢٠١؛ ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٦٣. وأيضا، ابن تغرى بردى: النجوم، جـ٥، ص١٧٩.

للتفاوض معهم على الاستسلام مقابل تأمين حياة الحامية والسكان ، وحرية الخروج فى أمان لمن يريد الخروج ، وتأمين حياة وأملاك من يريدون البقاء فوافق بلدوين (١) : وبالفعل فتحت الأبواب للفرنجة فدخلوا المدينة (١٢ يوليو ١١٠٩م / ١١ ذو الحجة ٥٠٢هـ) ، وسمح لشرف الدولة حاكم المدينة الفاطمى وبعض حراسه بمغادرتها فى أمان إلى دمشق (٢) ،

وبما عرف عن الجنوية من كره وحقد على المسلمين ، تناسوا الاتفاق السابق واقتحموا المدينة - كعادتهم - بحد السيف ، إشباعاً لميولهم فى ذبح وقتل وسحل المسلمين . فقتلوا وذبحوا ، ونهبوا من الأموال « ما لا يحد ولا يحصى فإن أهلها [أى طرابلس] كانوا أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة،وأسروا الرجال وسبوا النساء والأطفال بل وأحرقوا مكتبة طرابلس المشهورة وتركوها طعمة للنيران بما فيها من كتب ونفائس علمية (٣) .

---

(١) William of Tyre, 1, p. 478; cf. Grousset, Histoire des Croisades, 1, p. 357.

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ؛ William of Tyre, 1, p. 478 & note 42.

اختلفت الآراء فى تحديد تاريخ سقوط المدينة . وآثرت الأخذ بالتاريخ الذى أورده الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٢٧٢ ؛ السيد سالم : طرابلس الشام ، ص١٢٠-١٢١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٠١ ؛ ابن الجوزى : مرآة الزمان ، لوحة ٢٦٢أ ؛ الكتبى : عيون التواريخ ، لوحه ١٢٨ ؛ ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٨٠ . أشارت المصادر اللاتينية إلى حرق اللاتين والجنوية المصاحف الموجودة بالمكتبة مما يؤيد حقيقة القول بشدة تعصبهم وكرههم الدفين للمسلمين. من حرق المكتبة والمصاحف=

وبهذه النهاية الأليمة سقطت طرابلس ، والعجيب أن الأسطول المصرى وصل إليها بالعصا كرفوجدوها قد أخذت ، فعادوا كما هم ، (١) . ولا غرو أن موقف الفواطم السلبي هذا كان له أكبر الأثر فى احتلال الجنوية واللاتين المدينة التى استبيحت وسلبت وأحرقت ، وقتل سكانها بواسطتهم . ولقد ألقى ابن تغرى بردى اللوم على الفواطم فى سقوطها ، وحدد عوامل السقوط فى النقاط الآتية :

أولا : تقاعس الفواطم عن المسيرة لنجدة طرابلس طوال تلك المدة .

ثانيا : ضعف القوة العسكرية التى أرسلوها مع الأسطول ، ولو كان لعسكر الأسطول قوة ، لاستطاع مواجهة اللاتين والجنوية ودحرهم فى البر والبحر .

ثالثاً : عدم خروج الأفضل شاهنشاه بنفسه وقيادة العساكر المصرية ، كما كان يفعل والده بدر الجمالى ، وذلك رغم قوة الفواطم ، من العساكر والأموال والأسلحة ، (٢) . وثمة عامل رابع لا يجب إغفاله أدى إلى سقوطها ، ألا وهو المساعدات الفعالة التى قدمها الجند والقادة الجنوية بقيادة إخوان إمبرياكو سواء فى البر أو فى البحر .

= Albert d'Aix, p. 668; cf. Michaud, History of the Crusades, I, p. 288 & note 2; Archer, The crusades, p.156ff.; Grousset, op. cit., 1, p. 358. انظر :

(١) ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٥ ، ص ١٨٠ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ٢٠١ .

(٢) ابن تغرى بردى : شرحه ، ص ١٧٩ — ١٨٠ ؛ وللاستزادة انظر : السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ، ص ١٢٢ وبعدها .

وبطبيعة الحال لم ينس هيو إمبرياكو وجنوده الحصول على نصيبهم من الغنائم ؛ وطبقاً للشروط المعقودة بينهم وبين برترام حصلوا على ثلثى مدينة جبيل الباقيين، وكان الثلث الأول قد منحه لهم ريموند الصنجيلى - والد برترام - كما سبق ذكره . وبذلك أصبحت جبيل جنوية لحما ودما ، وأخذ هيو إمبرياكو ثلثيها بينما أخذ أنصاره الثلث الباقى . وخصص الجنوية ممثلين عنهم لحراستها هى والأراضى وغيرها من الممتلكات التى حصلوا عليها خارج طرابلس وداخلها ؛ وتم تسجيل كل ما حصل عليه الجنوية فى السجلات الرسمية (١) . كذلك حصلوا على ثلث مدينة طرابلس القريب من البحر بما فى ذلك منطقة الميناء المواجهة له ؛ ومنحهم برترام أيضاً قصر القائد (الكونستابل) روجر على بعد اثنى عشر ميلا من طرابلس فيما بين نيقين وباترون ، وحصل برترام على ثلثى المدينة الباقيين (٢) . وبهذا شاءت الأقدار أن تصبح جبيل مستعمرة ، وملكا مشاعا للجنوية جميعهم - على الأقل - طالما ظل الصليبيون سادة بالشام (٣) .

---

(١) Cafari, XXVII, p. 73.

(٢) Cafari, XXVII, p. 73; cf. Heyd, Histoire du Commerce, 1, pp. 140, 141 & note 2.

للاستزادة انظر ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص١٦٣ .

توجد إشارة بأن الجنوية بعد احتلال طرابلس زاروا الضريح المقدس وعند عودتهم وجدوا برترام قد « طرد بخسته ممثل مدينة جنوة ولم يراع فى ذلك وعوده التى أعلنها مسبقا بل ضرب بها عرض الحائط » واهتم الجنوية بجبيل وطالبوا إمبرياكو « بالبقاء بها لرعايتها ثم عادوا ظافرين إلى جنوة » انظر :

(٣) Cafari, XXVII, p. 73.
=Heyd, op. cit., 1, p 141.

هكذا ، ونتيجة لتدخل الجنوية سقطت طرابلس واكتمل بنـــاء إمارة طرابلس التى اتحدت داخل نطاق مملكة بيت المقدس الصليبية ولكن كانت لا تزال هناك ثغرات خطيرة وسط هذا النطاق اللاتينى ، حيث كانت المسافة فيما بين عكا الحد الشمالى ، ومدينة جبيل الحد الجنوبى للإمارة تتخللها جيوب فاطمية هددتها ، وهى تتمثل فى عدة مدن ساحلية لم تحتل بعد ، وهى مدن بيروت وصيدا وصـــور . ومنذ ذلك الحين تركزت اهتمامات ملوك بيت المقدس على احتلال تلك المدن وانتزاعها من أيدى الفواطم . وفى غضون عام ١١١٠م (٥٠٣ - ٥٠٤هـ) نجح بلدوين فى احتلال مدينتى بيروت وصيدا (١) . وجدير بالذكر أن تانكرد أثناء عودته إلى إمارته بعد سقوط طرابلس احتل بانياس بعد مقاومة بسيطة (٢) . كما ساعده الأسطول الجنوى فى احتلال مدينة جبلة، وسمح لابن عمار بمغادرتها آمنا إلى دمشق حيث أقطعه طغتكين « أعمـــال الزبدانى » (٣) ولا شك أن الجنوية قد استفادوا من تلك المساعدات التى

= هذا وبموت هيو إمبرياكو عام ١١٣٥م حكمت ذريته من بعده . نظير إيجار سنوى يدفع لجنوة المدينة الأم ، وقد خلصها صلاح الدين منهم عام ١١٨٧م (٥٨٣هـ) وفى عام ١١٩٣م استعادها الجنوية ثانية انظر :

Heyd, op. cit., 1, p. 162f., Grousset, op. cit., 1, p. 359 & note 2.

وأيضا انظر : السيد عبد العزيز سالم « طرابلس الشام » ص ١٤٧ وحاشية ٣٠ .

(١) Heyd, op. cit., 1, p. 141f.

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٣-١٦٤ ؛

Grousset, op. cit., 1, p. 362.

(٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢٠١ ؛ ابن القلانسى : شرحه ، ص ١٦٤ ؛ وأيضا انظر : السيد عبد العزيز سالم « طرابلس الشام » ص ١٣٠ ؛

Grousset, Ibid., Heyd, op. cit., 1, p. 141.

قدموها لتانكرد ، ليس حبـــا لشخصه، بل من أجل تأمين وتدعيم وجود جالياتهم فى أنطاكية ، ذلك الوجود الذى بدأ مع اتفاقية يوليو ١٠٩٨م .
وبهذا تتضح الأسباب الشخصية والنفسية والاقتصادية التى أدت إلى إلقاء الجنوية بثقلهم فى خضم الحركة الصليبية منذ البداية حتى النهاية ؛ وتتضح أيضا أسباب وقوفهم إلى جانب الصليبيين الغربيين من بنى جلدتهم ضد الفواطم فى مصر والشام . ومن هنا تولد العداء بين الدولة الفاطمية فى طور انكماشها وبين الجنوية بعد أن تحكمت مصالحهم فى تحديد موقفهم من القوى المتصـــارعة فوق مسرح الأحداث فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى .

مهما يكن من أمر ، بعد سقوط طرابلس تطوع برترام لمساعدة بلدوين فى احتلال مدينة بيروت تقديراً للدور الذى قام به الأخير فى مساعدته الحصول على أملاك والده واحتلال طرابلس . فأرسل عدة سفن بروفنسالية لمساعدته فى حصارها واقتحامها ، وتقليم أظـــافر النفوذ الفاطمى بالساحل الشامى تمهيداً للقضاء عليه تماماً . وكان بلدوين قد ضرب عليها الحصار منتهزاً فرصة قضـــاء بعض السفن الجنوية والبيزية فصل الشتاء فى موانى الشام (فبراير ١١١٠م / رجب-شعبان ٥٠٣هـ) (١)؛ وقد قاومت الحامية الفاطمية الهجوم بشدة . وأثناء الحصار ولخوف الفواطم على ما تبقى لهم من نفوذ ومدن ساحلية بسيطةأرسلوا أسطولا جمعوه من موانى صيدا وصور شحنوه بالزاد والعتاد وأشجع المقاتلين(٢)، وكان قوامه تسعة عشر مركباً حربية فظهروا على الإفرنج، واستولى المصريون

---

(١) William of Tyre, 1, p. 484-85 & note 53; cf. Grousset, Histoire des Croisades, 1, p. 363.

(٢) William of Tyre, op. cit., 1, p. 485.

على بعض سفنهم (١) ، وبعدها سهل على الأسطول الفاطمى دخول ميناء بيروت وإمداد الحامية والأهالى بالميرة والعدة ، فقويت نفوس من فيها ، على القتال(٢). وكانت الصدمة قاسية الوقع على بلدوين الذى سارع بإرسال رسائل عاجلة إلى ميناء « السويدية يستنجد بمن فيهـا من الجنوية فى مراكبهم » (٣) . ولبى الجنويون النداء تحقيقاً لهدفهم فى الحصول على مزيد من الامتيازات ، وانتقاما لبنى جلدتهم الذين هزمهم الفواطم من قبل ؛ وأقلعت سفنهم فوصلت « منها إلى بيروت أربعون مركباً مشحنة بالمقاتلة » (٤) . ولشد ما فرح بلدوين الذى نظم صفوفه وأحكم حصار المدينة تسانده السفن الجنوية وغيرها من ناحية البحر . وفى يوم الجمعة ١٣ مايو ١١١٠م (٢١ شوال ٥٠٣ هـ) شدد الجنوية واللاتين الهجوم مستعينين بالأبراج الخشبية التى برع الجنوية فى بنائها . وحمى وطيس القتال واستماتت رجال الحامية الفواطم فى الدفاع ، كما قاتل رجال الأسطول الفاطمى بشجاعة « وقتل مقدم الأسطول وكثير من المسلمين » ؛ وبلغ من وحشية المقاومة الفاطمية أنه « لم ير للفرنج فيما تقدم أشد من حرب هذا اليوم » (٥) . وظل القتال على أشده ، لدرجة أن الحامية الفاطمية لم تتوقف عن النضال فى البر

(١) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٨ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ٤٥ .

(٢) ابن القلانسى : شرحه ؛ المقريزى : شرحه .

(٣) ابن القلانسى : شرحه ؛ المقريزى : شرحه .

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٨ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ٤٥ ؛ William of Tyre, op. cit., 1, p. 485 & note 53

(٥) المقريزى : شرحه ؛ ابن القلانسى : شرحه . وأيضا : William of Tyre, op. cit., 1, p. 485.

والبحر ليل نهار حتى ولو لساعة واحدة (١) . وبلغ من فظاعة القتال أن دب اليأس فى نفس حاكم المدينة الفاطمى ، وخارت قواه فسارع بالفرار ليلا إلى جزيرة قبرص (٢) ، فزاد يأس الحامية . وإيمانا بحتمية الانهيار خاصة بعد اندحار الأسطول واستشهاد قائده الفاطمى ، اضطرت الحامية الفاطمية إلى التفاوض مع بلدوين على الاستسلام مقابل تأمين حياتهم فوعدهم بالأمان(٤). ولكن الجنوية - كعادتهم - اقتحموا المدينة وامتلكوها قهراً بالسيف ؛ ونهبوا وسلبوا وسبوا وأسروا من فيها . وقبلما يستطيع بلدوين السيطرة على الأمور أحدث الجنوية مذبحة بشرية راح ضحيتها سكان بيروت الأبرياء الذين سقطوا صرعى بسيوف الجنوية واللاتين فيما بين البر والبحر (٤) . وحدث أن وصلت قوة فاطمية من « ثلثمائة فارس » كانت قادمة النجدة إلا أن اللاتين هزموها « إلى الجبال فهلك منهم جماعة » (٥) .

---

(١) William of Tyre, op. cit., I, p. 485.

(٢) ابن العبرى : مختصر الدول ، ص ٣٤٦ ؛ ابن القلانسى : السابق ، ص ١٦٨ وأيضا : Albert d'Aix, p. 670ff.

(٣) Albert d'Aix, Ibid.

(٤) ابن القلانسى : شرحه ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ٤٥ . وأيضا انظر : Albert d'Aix, p. 671, William of Tyre, 1, p. 485f., cf. Michaud, History of the Crusades, 1, p. 288.

وللاستزادة انظر : صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ، تحقيق الاب لويس شيخو اليسوعى ، ط ٢ ، بيروت ١٩٢٧م ، ص ١٧ .

(٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص ٤٥ ؛ ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٨ .

وبعد اقتحام المدينة اقتسم الجنوية واللاتين الأموال والذخائر ، ثم رحل بلدوين منتهزا الفرصة لحصار مدينة صيدا وراسل أهلها بتسليم البلد فاستمهلوه مدة عينوها ، فأجابهم وأخذ منهم مالا وعاد إلى القدس بسبب الحج (١) . وهكذا ، خسر الفواطم بيروت نتيجة جهود الجنوية الذين ساعدوا على تقطيع أوصال الفواطم ، وحطموا نفوذهم بالشام من خلال مساعداتهم الفرنجة ، ليس حبا وتطوعاً ، بل حفاظا على مصالحهم الخاصة بالمنطقة ، وطمعا فى المزيد من المراكز التجارية لجالياتهم حيث حصلوا على أحد الأحياء الهامة ببيروت طبقا للاتفاقيات السابقة (٢) .

وبعد سقوط بيرت ، فكر بلدوين فى احتلال مدينة صيدا . وجدير بالذكر أنه سبق له أن حاصرها عام ١١٠٦م (٤٩٩ - ٥٠٠هـ) منتهزا فرصة قدوم جماعات من الحجاج الدانيين والانجليز والنرويجيين وغيرهم من الشماليين . إلا أن حاكم صيدا كسب وده بمبلغ كبير من المال ، فرفع بلدوين الحصار وتركها فى سلام (٣) . وفى أغسطس عام ١١٠٨م (محرم ٥٠٢هـ) حدث أن قدم عدد كبير من السفن الإيطالية المختلفة من جنوة وبيزا والبندقية وأمالفى . فوجدها بلدوين فرصة ذهبية ؛ وعلى الفور شرع بمساعداتهم فى ضرب الحصار حول مدينة صيدا من البر والبحر (٤) ؛ وهاجم بلدوين المدينة من البر والأساطيل

---

(١) ضبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، لوحة ٢٦٤ ب .

(٢) Heyd, le Colonie Commerciali, 1, p. 157.

(٣) Albert d'Aix, p. 632ff. cf., Runciman, A History of the Crusades, II, p. 91.

(٤) Albert d'Aix, p. 652 f.

الجنوية والإيطالية الأخرى من البحر ، وحقق الجنوية واللاتين بعض النجاح . ولكن سرعان ما تحول ميزان القوى لصالح الحامية الفاطمية بالمدينة حيث وصل أسطول فاطمى كان قد أرسله الأفضل للثغر فوصل الأسطول المصرى للدفع عنه والحماية له فظهروا على مراكب الجنوية ، وغيرها من السفن اللاتينية ، فدمرها وهزم الجنوية شر هزيمة (١) . أما فى البر فقد استطاعت الحامية الفاطمية الصمود ومقاتلة بلدوين بشجاعة ؛ وسرعان ما آثر الانسحاب إلى عكا بعد هزيمة الجنوية والايطاليين بالبحر وقدوم نجدات برية ضخمة أرسلها طغتكين حاكم دمشق(٢) وجدير بالذكر أن حاكم صيدا كان قد استنجد بطغتكين ضد الفرنج مقابل مبلغ من المال ، ورفض الصيادنة دفعه ؛ فهدد طغتكين باستدعاء الفرنج ، فاضطروا للإذعان ودفعوا له مايقارب ثلث المبلغ (٣) . وقدره أحد المؤرخين بثلاثين الف دينار (٤). وهكذاهزم الفواطم الجنوية شر هزيمة نتيجة للدور الإيجابى الذى قام به الأسطول الفاطمى ؛ أما بلدوين فقد عاد بخفى حنين . ولا شك أن الفضل فى ذلك يرجع إلى استبسال حامية صيدا فى الدفاع تساندها

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٦٢ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٤٣ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص ١٩٢ ؛ وايضا انظر : أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية فى مصر والشام ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ١١٢ . وأيضا :

Grousset, Histoire des Croisades, I, p. 253; Runciman, A History of the Crusades, II, p. 91.

(٢) ابن الاثير : شرحه ، ص١٩٢ ؛ ابن القلانسى : شرحه ، ص ١٦٢ ؛ وأيضا عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٣٠٩ .

(٣) Albert d'Aix, p. 653ff. وأيضا : عاشور : شرحه ، ص ٣١٠ .

(٤) Runciman, op. cit., II, p. 91.

السفن الفاطمية فى البحر والدماشقة فى البر .

ولقد ظلت فكرة ثأر بلدوين والجنوية من الفواطم واحتلال صيدا وبقية المدن الفاطمية بالساحل الشامى تراود خواطرهم . وفى عام ١١١٠م (٥٠٣ - ٥٠٤هـ) حانت الفرصة المواتية بقدوم أسطول كبير مشحون بالحجاج النرويجيين بقيـــادة الملك سيجورد جورسالافارى Sigurd Jorsalfary (١١٠٣م - ١١٣٠م) (١) . فاتفق معهم بلدوين على حصار صيدا ، وبالفعل تم حصارها فى أكتوبر ١١١٠م (ربيع ثانى ٥٠٤هـ) وساهم فى الحصار أسطول بندق كان قد وصل بقيـادة الدوج أورديلاتو فاليير Ordelato Falier بعد توقيعه اتفاقية مع بلدوين وشدد اللاتين هجومهم على المدينة (٢) . وسرعان مادب اليأس فى نفوس الحامية الفاطمية لتأخر وصول النجدات من مصر ، واضطرت للتفاوض مع بلدوين على التسليم نظير الأمان ، فوافق وتسلم المدينة فى يوم ٤ ديسمبر ١١١٠م (٢٠ جمادى الأولى ٥٠٤هـ) بعد أن « خرج الوالى والزمام » ورجال الحامية وخلق كثير منها « وتوجهو إلى دمشق » (٣) . ورجع النرويجيون إلى

---

(١) المقريزى : نفس الجزء ، ص ٤٥ ؛ ابن الاثير : نفس الجزء ، ص ٢٠٢ ؛ ابن القلانسى : السابق ، ص ١٧١ ؛ William of Tyre, 1, p. 486 & note 55; cf. Heyd, Histoire, du Commerce, 1; p. 142; Stevenson, The Crusaders in the East, p., 59.

(٢) Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 142; cf. Stevenson, The Crusaders in the East, p. 59f.

وللاستزادة عن البنادقه واتفاقياتهم مع بلدوين وامتيازاتهم عامة . انظر :

Daru, P , Histoire de la Republic de Venice, t. 1, p. 110.

(٣) المقريزى : نفس الجزء ، ص ٤٦ ؛ ابن القلانسى : السابق ،

بلادهم عبر القسطنطينية محملين بالغنائم (١) . وبالمثل حصل البنادقة على نصيبهم طبقا للاتفاق السابق .

هذا ، ومن المرجح اشتراك بعض السفن الجنوية فى الحصار الأخير لمدينة صيدا واحتلالها، وذلك كيلا تترك الفرصة أمام البنادقة للاستئثار بالامتيازات فى صيدا من ناحية ، وكى ينتقم الجنوية من الفواطم لهزيمة أسطولهم وتدمير المصريين له (أغسطس ١١٠٨م / محرم ٥٠٢هـ) أمام صيدا من ناحية أخرى . يضاف إلى ذلك شهرة الجنوية والحاجة الماسة إليهم لبناء آلات الحصار وخاصة الأبراج؛ يؤيد ذلك الرأى ماذكره المؤرخ نيقولا يورجا من أن السفن الجنوية قد شاركت اللاتين فى حصار واحتلال عدة مدن ساحلية منها مدينة صيدا (٢). كذلك أشار ابن القلانسى إلى وصف برج متحرك يتفق والأبراج التى اشتهر الجنوية بصناعتها وكان له الأثر فى فزع الصيادنة وإسراعهم بالتفاوض مع اللاتين على الاستلام (٣) . وبسقوط صيدا لم تعد هنـاك ثمة موانى خاضعة للفواطم

= ص ١٧١ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ١٠ ، ص٢٠٢–٢٠٣ ؛ العبادى وسالم: تاريخ البحرية ، ص ١١٦ ؛ وللاستزادة انظر :

William of Tyre, 1, p. 488; Roger of Wendover, 1, p. 465.

(١) William of Tyre, 1, p. 488 & note 60.

(٢) Iorga, Histoire des Croisades, p. 71.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧١ . يؤيد ذلك الرأى أيضا الوجود الجنوى الدائم بالموانى الشامية ، وقدوم أساطيلهم منذ بداية الحركة الصليبية – على الدوام – سنويا إلى الشام كما أن الأساطيل الجنوية عادة كانت تغادر جنوة إلى الشام فى شهر أبريل وتعود فى شهر أكتوبر مما يتفق وحصار بلدوين الأخير للمدينة (أكتوبر – ديسمبر ١١١٠م) وليس مايمنع من أن تشارك تلك السفن قبل عودتها فى مثل هذه الحمايات لما فيها من صالح الجنوية . انظر : كرد على : خطط الشام ، جـ١ ، ص ٢٨٤ ؛

Byrne, Genoese Trade with Syria, p. 196.

بالساحل الشامى سوى عسقلان وصور ، وقد بدأ بلدوين يخطط لغزوهما ؛ إلا أن الأقدار شاءت أن يموت عام ١١١٨م أثناء محاولة جريئة لغزو مصر دون أن يحقق حلمه باحتلالهما . وقد سقطت الأولى عام ١١٢٤م (٥١٨هـ) والثانية عام ١١٥٣م (٥٤٨هـ) وضاع بسقوطها آخر موطىء قدم للفواطم بالشام .

لا مراء أن سقوط المدن الساحلية يرجع إلى الدور الكبير الذى قامت به الأساطيل الإيطالية بصفة عامة والجنوية بخاصة . فقد ساهم الجنوية فى احتلال غالبية مدن الساحل الفاطمية وقضوا على النفوذ الفـــاطمى بالشام قضاء يكاد يكون تاما . أما البنادقة فقد كانت لهم اليد الطولى فى سقوط مدينة صور . وهناك روايات تقول بإسهـــام البيازنة مع الجنوية فى احتلال مدن أرسوف وقيسارية وعكا وطرابلس ؛ إلا أن هناك شكوكا فى تلك الروايات على أساس أن الجنوية كانوا يطمعون فى السيادة على النشاط الاقتصادى والحركة التجارية بالشرق الأدنى ، مما يتنافى والسماح للبيازنة أو غيرهم من منـــافسيهم التجار الإيطاليين بمشاركتهم ثمار تلك المساعدات نتيجة لتضاد وتنافر مصالحهم مع الآخرين (١) . هذا من ناحيـة ، ومن ناحية أخرى ، ضمانا للوصول إلى مركز السيادة على عرش التجارة العالمية فى حوض البحر المتوسط وقتذاك ، تلك المكانة التى حققتهـــا الجنوية بالفعل نتيجة لإسهامهم فى الحركة الصليبية بروح التجار المقاتلين وليس بروح رجال الدين (٢) .

---

(١) Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 146

(٢) Bertolini, Storia d'Italia, p. 560; Byrne, Genoese Trade with Syria, p. 219.

وللاستزادة عن أهمية المكاسب التى حصل عليهـا الجنوية نتيجة لاسهـامهم فى الحرب الصليبية انظر: Salvatorelli, A Concise History of Italy p. 161ff.; Jamison, Italy, Medieval & Modern, p. 43; Pirenne, Medieval Cities, P. 63 ff.; Heyd, op. cit., 1, p. 131 ff.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن هذه السياسة العدائية التى اتبعها الجنويون بخاصة ، والإيطاليون من أهالى المدن التجارية الأخرى بصفة عامة تجاه الفواطم من خلال المعارك الضارية التى خاضوها ضدهم فى البحر والبر ، لم تؤثر على اهتمامات الجنوية وغيرهم بالتجارة مع مصر الفاطمية ، وظل التبادل التجارى قائما على أشده فى أوقات الهدن المسلحة بين الطرفين . يؤيد ذلك أن سجلات جيوفانى سكريبا الجنوى Giovanni Scriba تشير إلى تضاعف عدد عملائه الشغوفين بالتجارة مع الاسكندرية فى الفترة من ١١٥٥ - ١١٦٦م (٥٥٠ - ٥٦٢هـ) ، وبالمثل هؤلاء التجار الجنوية المهتمين بالتجارة مع الإمارات اللاتينية بالشرق الأدنى الإسلامى (١) . والحقيقة أن كلا الطرفين الجنوى الايطالى من جانب ، والفاطمى من جانب آخر لم يكن يرغب فى توقف العلاقات التجارية بينه وبين الطرف الآخر ، وإن كانت السلطات الفاطمية فى بعض الأحايين ، وأثناء القتال مع اللاتين توصد بواغيزها فى وجه السفن اللاتينية إلا أنها سرعان ماتعود وتسارع بفتحها ثانية ، حرصا على الإبقاء على تلك العلاقات الاقتصادية لأهميتها كمصدر دخل كبير لها ، ولما تجنيه من ورائها من أموال متحصلة من الرسوم المفروضة على السلع المختلفة (٢) .

وهكذا ، فى ظل الصراع الجنوى الصليبي ضد الفواطم لم تتوقف العلاقات

---

(١) فى هذا الصدد ، ولمزيد من التفصيلات ، انظر مصطفى الكناني : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١-١٢٩١م / ٥٦٧-٦٩٠هـ)، ص ٣٦٠ والحواشى ، ولوحة رقم(١٠) ص ٣٦٢ . انظر أيضا :

Runciman, A History of the Crusades, 111, p. 355; Beazley, The Dawn of Modern Geography, 11, p. 422f.

(٢) Runciman, op. cit., 111, p. 355,

الاقتصادية بين الطرفين طوعا أم كرها ، واستمرت طوال عهد الفواطم وحتى سقوط دولتهم عام ١١٧١م/٥٦٧هـ . ولعل الرغبة فى الحفاظ على تلك العلاقات هى التى أبعدت الجنوية عن الإسهـــام علنا فى حصر مدينتى صور (١) وعسقلان الفاطميتين ، وإن كان لا يستبعد إشتراكهم « بخمسين مقاتلا » بصفة رمزية طبقا للاتفاقيات السابقة ، وضمانا للحصول على مواطىء أقدام لجالياتهم فى المدينتين ، وآية ذلك ماذكره وليام هايد من أن رؤية القوات الجنوية وغيرها من مقاتلى الجاليات الإيطالية وهم يقاتلون المسلمين فى صفوف الملوك اللاتين « لم يكن شيئـا نادرا » ، وكثيرا ماشوهدوا يقاتلون المسلمين معهم (٢) . ولا شك أن الدافع لذلك هو الإبقاء على قوة العلاقات الجنوية الفاطمية التجارية، تلك العلاقات التى لا زالت بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة (٣) .

---

(١) يرجح عدم إسهام الجنوية بفعالية فى احتلال صور لانشغال أساطيلهم بالحرب ضد البيازنة فى مياه البحر التيرانى . انظر :

Boose, Kingdoms & Strongholds of the Crusaders, p. 37.

(٢) Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 150, 157.

(٣) انظر تفصيلات تلك العلاقات فى كتابى : العلاقات بين جنـوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١-١٢٩١م /٥٦٧ - ٦٩٠هـ) ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨١م .

بسم الله الرحمن الرحيم

« هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب »

« ابراهيم : ٥٢ »

الفصل الخامس

تقييم العلاقات الجنوية الفاطمية

فيما بين عامى ١٠٩٥ و ١٠٧١م (٤٨٨هـ و ٥٦٧هـ)

- تلاحم تاريخ نهضة جنوة الاقتصادية مع تاريخ الفواطم والمسلمين .
- قوة الروح الصليبية لدى الجنوية وآثارها على علاقاتهم بالفواطم فى الشرق .
- دور جنوة فى الحملة الصليبية الأولى ، ومدى ماحققته من مكاسب .
- ماذا لو لم يساهم الجنوية فى الصراع الصليبي الفاطمى ؟ .
- سياسة جنوة ذات الوجهين تجاه الفواطم واللاتين ، ونتائجها .
- آثار دور جنوة الصليبي على علاقاتها التجارية مع الفواطم .
- حملة بلدوين الاول على مصر عام ١١١٨م (٥١١هـ) ودور جنوة فيها .
- سياسة الأفضل الفاطمى تجاه الجنوية ونتائجها .
- دور الجنوية فى المؤامرات الفاطمية للإطاحه بحكم صلاح الدين الأيوبى .

بعد أن تعرضنا في الفصول السابقة لنهضة جنوة وتطورها كقوة تجارية بحرية صليبية وعلاقاتها بالشرق الأدنى بصفة عامة ، والفواطم بخاصة قبيل الحركة الصليبية وفى أثنائها ؛ وبعد أن كشفنا سياستها تجاه الصراع الصليبي الإسلامى الفاطمى ، وبالتالى طبيعة العلاقات التى كانت قائمة بينها وبين الفواطم ، ننتقل إلى تقدير الآثار الناتجة عن إشتراك جنوة فى الحرب الصليبية خلال الفترة موضوع البحث ؛ وكشف مدى ما حققته من وراء سياستها التى اتبعتها تجاه كل من اللاتين والفواطم الشيعة . ولامراء أن ذلك لن يتأتى إلا بتحليل وتقييم وتقنين العلاقات المتشابكة المتداخلة فى بعضها ، التى نشأت بين تلك القوى الثلاث وقتذاك ، وأعنى بها القوى الصليبية والجنوية من جانب والفواطم من جانب آخر . إذ لا يتسنى كشف علاقة الجنوية بالفواطم إلا من خلال الصراع السياسى العسكرى بينهم وبين اللاتين ، وبذلك تكتمل صورة تلك العلاقات من كافة الزوايا والاتجاهات .

فمنذ أواخر العقد الأخير للقرن الحادى عشر وعلى امتداد القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد (أواخر القرن الخامس وخلال القرنين السادس والسابع من الهجرة) شهد الشرق الأدنى الإسلامى حروبا ومعارك دامية شنها الغرب اللاتينى ضد العالم الإسلامى ؛ ولقد كان للدور الذى قامت به المدن الإيطالية بصفة عامة وأهالى مدينة جنوة بخاصة الأثر الواضح فى نجاح أولى الحملات الصليبية ، بحيث يمكن القول بأنه لولا هذا الدور ما نجح اللاتين فى تحقيق أهدافهم أو إقامة ممالكهم بالشرق والبقاء به حتى أواخر القرن الثالث عشر من الميلاد (أواخر القرن السابع الهجرى) .

ولاشك أن معالم تطور ونهضة مدينة جنوة اقتصادياً كقوة بحرية تجارية

لها مكانتها قد تحددت مع نهاية القرن العاشر الميلادى وبداية القرن الحادى عشر. ويرجع الفضـــل فى ذلك إلى احتكاكات جنوة بالمسلمين فى المغرب والمشرق الإسلاميين، ذلك الاحتكاك الذى ظهر فى بدايته عسكريا أكثر منه اقتصاديا سلميا. فكان مظهرا من مظاهر جهود الأشراف الجنويين من أجل طرد المسلمين من مراكزهم (١)، والثأر مما لحق بهم على أيدى الفواطم من تدمير وخراب من قبل (٢). ولم يتعد الجانب الاقتصادى من هذه الحركة الثأرية الرغبة فى الحصول على المغانم والأسلاب. يضاف إلى هذين العنصرين وهما عنصرى الحرب والسلب عنصر ثالث دينى لم يكن موجودا فى معظم الاشتباكات التى حدثت من قبل مع المسلمين حتى القرن الحادى عشر. ويرى أرشيبالدى لويس أن تحديد زمان هذا العنصر الدينى من الصعب معرفته إذ ربما كان أثرا سياسيا دنيويا للإصلاح الدينى الكولونى [فى الغرب]، وربما كان رد فعل انهب المنصور بن أبى عامر مشهد القديس يعقوب فى كمبوستلا وتدمير الخليفة الحاكم لكنيسة القيامة ببيت المقدس(٣). والأرجح أن الجنوية قد انتهزوا فرصة تدمير الحاكم كنيسة القيامة، وما اتبعه من سياسة تعصفية ضد أهل الذمة والمسلمين بصفة عامة؛ فبدأوا يثيرون الروح التعصبية ضد الفواطم بحجة حماية وتخليص الضريح المقدس من استبداد الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م)، بينما هم فى الحقيقة يخططون لقيام حمـــلة صليبية ضد الفواطم لحماية وتأمين مراكزهم وجالياتهم التجارية، تخوفا من سياسة الحاكم الفاطمى. يؤيد ذلك الرأى أن الجنوية نسوا بل تناسوا عن عمد الدعوة لحماية الأماكن المقدسة فى أسبانيا (فى كمبوستلا)

---

(١) أرشيبالدى لويس، القوى البحرية، ص ٣٤٤.

(٢) ارجع الى ص ٧٩ ومابعدها من الفصل الأول.

(٣) ارشيبالدى لويس: القوى البحرية، ص ٣٤٤.

لعدم أهميتها تجاريا ، بينما جدوا لإعداد حملة صليبية بتعضيد البابوية فى روما .
وبالفعل قام الجنوية يعاونهم البيازنة وملك أرلس بحملتهم الصليبية - بمعناها الصحيح - ضد الفواطم وهاجموا سواحل الشام وذلك قبل نهاية العقد الأول من القرن الحادى عشر الميلادى (أوائل القرن الخامس الهجرى) . ومهما كانت النتيجة فلاشك أنها تعد أول هجمة عسكرية جنوية ضد الفواطم سعيا وراء مصالحهم الخاصة ويمكن أن تعتبر فى مفهومها ومضمونها حملة صليبية حقيقية(١).
ومن هنا بدأت روح الجنوية الصليبية تطغى عليهم ، ونظروا للحركة الصليبية كوسيلة يمكن استغلالها كسلاح تحمى به مصالحها الخاصة من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانت حملاتهم ضد المسلمين والفواطم فى الشمال الأفريقى فى البداية والشام فيما بعد ، وما حصلوا عليه من أسلاب ومغانم دافعا وعاملا قويا أديا إلى اشتغال الجنوية بالقرصنة المسلحة ضد السفن الإسلامية بصفة عامة (٢) ولعلنا قد أوضحنا فيما سبق روح القرصنة لدى الجنوية ، تلك الروح التى تغلغلت إلى أعمق أعماقهم.
ولعل هذا يفسر المذابح التى قاموا بها ضد المدن الإسلامية الفاطمية على الساحل الشامى وفى بيت المقدس وأنطاكية كما ذكرنا من قبل .

ولا مراء أن العمليات الانتقامية التى قام بها الجنويون فى بداية القرن الحادى عشر (الخامس الهجرى) ، تعبر عن قوة الروح الصليبية لديهم ، تلك الروح التى تبلورت فيما بعد فى صورة مشروع حملات على نطاق أوسع بلغت ذروتها فيما اتفق على تسميته بالحروب الصليبية . فضلا عن أن تلك الحملات الانتقامية التى قامت

---

(١) ارجع الى ماسبق ص ٨٠ – ٨١ (الفصل الأول) .

(٢) ارشيبالدى لويس : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ . وللاستزاده عن روح الجنوية الصليبية وحملاتهم ضد المسلمين قبيل الحركة الصليبية . انظر : ص ٨٠ – ٨٦ من الفصل الأول .

بها الأساطيل الجنوية ضد النفوذ الفاطمى فى شمالى أفريقيـة والشام قد فتحت الباب على مصراعيه أمام مدينة جنوة للإثراء من التجارة التى تذوقت حلاوتهـا من قبل فى الشرق . وزاد تطلعها وطمعها فى المزيد من المكاسب بعد ما حصلت على العديد من الأسلاب والمغانم بعد الانتصارات التى حققتها فى غربى البحـر المتوسط . وقد يكون للمكاسب التجارية التى حصلت عليها مع البيـــازنة نتيجة الاتفاقيات المعقودة مع صاحب المهدية بعد حملتها عليها عام ١٠٨٧م (٤٨٠هـ) الأثر فى تفكير الجنوية فى استخدام نفس الطريقة ، والاستحواذ على مكاسب مماثلة من الفواطم بالشرق ســـواء بالسياسة أو بحد السيف ، وتأمين جالياتهم المنتشرة فى الاسكندرية وموانى الشام . (١)

لذلك ما أن سمعت جنوة بمؤتمر بياكنزا ودعوة البابا أوربان الثانى للتحرك لنجدة المسيحيين الشرقيين ، وتحرير الضريح المقدس ، حتى سارعت للإسهام فى الحركة الصليبية بالرجال والعتاد وبأسطولها الحربى . وهنا ألقت جنوة بكامل ثقلها إلى جانب اللاتين بعد أن كانت علاقاتها بالفاطميين فى الشرق الأدنى طيبة يسودها الهدوء والتفاهم (٢) . ولا شك أن إسهام أهالى مدينة جنوة فى الحركة الصليبية منذ بداية الإعداد لها ، وبعد تحركها وحتى نجاحها فى تحقيق أهدافها ، كان له أثره الكبير على مجريات الأمور وتطور الأحداث ، بل وعلى خط سير المعارك الحربية ، وبالتالى على الأحـــوال والأوضاع السائدة فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى منذ ذلك الحين فصاعدا إلى سنوات عديدة لاحقة. ذلك أن وجود

---

(١) Michaud, History of the Crusades, I, p. 11.
عن هجمات الجنوية على الفواطم والمسلمين للثار وسيطرتهم على البحر التيرانى انظر ص ٨٠ وبعدها (الفصل الأول) .

(٢) ارجع الى ماسبق ص ١٠٧ ومابعدها (الفصل الثاني) .

الجنوية بجندهم وحديدهم وأسطولهم ، وبما لديهم من خبرة بهندسة بناء آلات الحصار ، وبالذات الأبراج المتحركة ، كان لها أكبر الأثر فى تحطيم القوى السلجوقية السنية فى شمالى الشام ، ثم تدمير القوى الفاطمية الشيعية واحتلال بيت المقدس وموانى الساحل الشامى (١) .

ولا شك أن وجود الجنوية كقوة بحـــرية برية ضاربة فى صفوف الجيش اللاتينى من ناحية ، ووجودهم كجاليات تجارية تقيم فى الاسكندرية وموانى الشام التابعة للفواطم من ناحية أخرى ، حتم على أهالى مدينة جنوة أن يتخذوا سياسة خاصة تتفق ومصالحهم أولا وقبل كل شىء ، كما دفعهم إلى السعى الدائب إلى تقوية نفوذهم بالشام وتعميق وجودهم بمصـــر الفاطمية بشتى السبل ، مع التخطيط بسرعة لاحتلال مدن الساحل الشامى مع اللاتين تمهيداً لتقوية نفوذهم التجارى بالمنطقة ؛ مستغلين حاجة الفـــواطم للأموال المتحصلة من الجمارك بتنشيطهم للتجارة وتشجيعهم التجار على الإقامة بمصر (٢) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، استغلوا حاجة اللاتين للأساطيل والرجال وأخذوا يخططون للحصول على عديد من الامتيازات والحقوق فى المدن الشامية بالساحل ، وفى مدينتى بيت المقدس وأنطاكية نظير تقديم المساعدات العسكرية لهم (٣) . وكان

---

(١) إرجع الى الفصول (الثانى ، والثالث ، والرابع)

(٢) **Conder, The City of Jerusalem, p. 268; Heyd, Le Colonie Commerciali, I, p. 147ff.; *Michaud*, History of the *Crusades*, 1, pp. 11, 23.**

وللاستزاده انظر الفصل الأول ، ص١٠٩-١١٢ والحواشى .

(٣) **Cafari, VIII, p. 56 cf. Bent, Genoa, pp. 30,92.**

وللاستزاده انظر ماسبق ص ١١٢، ١١٥-١١٦ (الفصل الثانى) وكذلك الفصل الرابع .

من الطبيعى أن يكون هناك ثمة تشابك واختلاط بين تاريخ جنوة وتاريخ الصراع الصليبى الفاطمى الإسلامى إبان تلك الحقبة من التاريخ ؛ وذلك أمر حتمى متوقع نتيجة للظروف المتداخلة والمعقدة . وذلك أيضا نتيجة منطقية طبيعية حيث أن كل معسكر من هذه المعسكرات الثلاثة سواء كان المعسكر الجنوى أم الصليبى أم الفاطمى، كانت له أهداف وآمال متداخلة التحمت أحيانا، وتباينت وتنافرت بل وتباعدت بشدة أحيانا أخر . ولا غرو أن فترات السلام أو العداء هذه ، كانت وليدة المصالح والظروف الموضوعية المحيطة . فنى نفس الوقت الذى كان الجنوية يستعدون فيه للإسهام فى الحركة الصليبية كانت جالياتهم فى موانى مصر والشام الفاطمية تقيم فى نزل وفنادق خاصة بهم ، وتتعامل تجاريا فى مصر والشام فى ظل حماية الفواطم لهم . هذا بينما كان الجنوية يشيرون الروح الصليبية ويقاتلون فى البر والبحر إلى جانب اللاتين طمعا فى المزيد من المكاسب والامتيازات التجارية بالشرق . فهم يتعاملون مع الفواطم وعلى علاقات سلمية معهم ،فى الوقت الذى كانوا فيه يشتركون مع بنى جنسهم من اللاتين ضد الفاطميين فى منطقة الشرق الأدنى .

هذا ، ولقد سبق الإشارة إلى قوة الوجود الجنوى الإيطالى فى مصر والشام قبيل قيام الحركة الصليبية . وقد ظلت الجالية الجنوية وغيرها من الجاليات التجارية الإيطالية تباشر نشاطها التجارى بميناء الاسكندرية وغيره من موانى الشام الفاطمية بالرغم من الدور الفعال الذى قام به الجنويون فى الحملة الصليبية الأولى، وإسهامهم فيها بالأسطول والرجال وإمدادهم إياها بالسلاح والزاد والعتاد ، والخبرة فى إقامة آلات الحصار وبخاصة الأبراج المتحركة المشهورة . وبالرغم من ذلك الدور الخطير فإن السلطات الفاطمية لم تقم بأى أعمال عدائية تجاه أفراد الجالية الجنوية أو غيرهم ممن يقيمون فى موانيها بمصر والشام . والحقيقة

أن الفواطم قد كتموا مشاعرهم ضد الصليبيين عامة بما فيهم الجنوية ، وخاطروا بعدم كسب رضاء العقول المتعصبة فى البلاد، وتغاضوا عن الإهانات والاتهامات التى ألصقت بهم ، نتيجة تعاملهم التجارى مع مثل هؤلاء التجار رغم ثبوت اشتراكهم الفعلى إلى جانب اللاتين ضدهم وضد المسلمين بصفة عامة ، مما كان له كبير الأثر فى زوال النفوذ الفاطمى وضياعه من بيت المقدس ومدن الساحل الشامى بعد عدة هزائم فى البر وفى البحر . ولو لا تلك المساعدات ما نجح اللاتين فى دحر وطرد الفواطم من تلك المراكز الهامة (١) .

وإنه لقول حق أن الفواطم بصفة عامة قد تقاعسوا عن القيام بدورهم فى مواجهة اللاتين منذ بداية وصولهم أرض الشام ، رغم إمكاناتهم العسكرية والمالية ، مما أتاح الفرصة الصليبيين لاكتساح الشام بتعضيد المقاتلين والأساطيل الجنوية ، ووقوع أولى القبلتين وثالث الحرمين بأيديهم . ولا جدال فى أن ذلك يرجع إلى عدم تفهمهم حقيقة الأهداف اللاتينية الجنوية التى تتلخص فى احتلال بيت المقدس ظاهريا ، بينما الهدف الحقيقى يتمثل فى احتلال مدن الساحل ومدن الشام التجارية لإقامة مراكز لجالياتهم يقيمون فيها ويمارسون فيها أوجه النشاط التجارى المختلفة والاتجار فى سلع وبضائع الشرق النفيسة ؛ وتأمين طرق التجارة أولا وأخيراً (٢) . وبلغ من شدة تعصب الفواطم وكرههم للمذهب السنى ؛ أنهم أرسلوا سفارتهم المشهورة إلى المعسكر اللاتينى الجنوى أمام أنطاكية على أمل التحالف معهم ضد السلاجقة عدوهم المشترك . ويعتقد أن اللاتين بمساعدة الجنوية قد نجحوا فى التمويه على أفراد السفارة الفاطمية ؛ وأخذوا

---

(١) انظر الفصول السابقة .

(٢) انظر ما سبق ص ١٠٧ وما بعدها (الفصل الثانى) .

عنهم حقيقة الأهداف الجنوية اللاتينية وأطماعهم الحقيقية فى بيت المقدس ومدن الساحل . ولاشك أن الجنوية كانت لهم اليد الطولى فى تلك الخدعة على أساس قوة الوجود الجنوى فى مصر والشام من قبل الحملة ، وثقة الأفضل الفاطمى فى الجنوية ودورهم فى زيادة ثروة البلاد بما تحصله الدولة من رسوم جمركية من جراء معاملاتهم التجارية بالبلاد . يؤيد ذلك أن رئيس السفارة اللاتينية التى أرسلها اللاتين مع السفارة الفاطمية ، كان أحد رجال الدين الجنوية ويدعى يوحنا الخادم . وقد أبحروا جميعا على سفينة جنوية كما سبق ذكره فى رحلة العودة إلى مصر (١) .

هكذا اتبع الجنوية سياسة ذات وجهين متباينين، ونجحوا فى تطبيقها أيما نجاح فبينما هم يتعاملون تجاريا مع الفواطم فى الشرق الأدنى ويقيمون فى ميناء الاسكندرية وموانى الشام تحت رعاية وحماية السلطات الفاطمية ، نجدهم فى نفس الوقت يخططون ويساهمون مع الصليبيين للقضاء على النفوذ الفاطمى فى الشام . ولاشك أن حدث تعارض بين مصالح جنوة التجارية من ناحية ، وبين الصراع الصليبى الفاطمى الذى أسهمت فيه جنوة بدور هام من ناحية أخرى . إلا أن مصالحها الاقتصادية الخاصة ، وتهديد السلاجقة للوجود الجنوى بالشرق دفعها للقيام بهذا الدور ، وطوعا أم كرها كانت حتمية الصدام مع الفواطم .

وثمة تساؤل يفرض نفسه أثناء تناول العلاقات الجنوية الفاطمية بالدراسة

---

(١) Cafari, IX, p. 56. أثبتنا بما لايدع مجالا للشك وجود اتفاق مسبق بين الفواطم والصليبيين ضد السلاجقة، قدمت بمقتضاه الحملة الصليبية الأولى، وكان للجنوية اليد الطولى فى انجازه . لمزيد من التفصيلات انظر كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١ - ١٢٩١م/٥٦٧ - ٦٩٠هـ) ، ص٨٦ وما بعدها .

والتحليل ، وهو : ماذا كان يعنى عدم إسهام أهالى مدينة جنوة فى الحركة الصليبية والصراع الصليبى الفاطمى ؟ . لاريب أن اللاتين ما كانوا يستطيعون تحقيق أهدافهم باحتلال بيت المقدس أو مدن الساحل ومواجهة الأسطول الفاطمى ، لولا المساعدات الكبيرة التى قدموها لهم أهالى مدينة جنوه فى البر والبحر على امتداد الزحف الصليبى ، ابتداء من سقوط أنطاكية وحتى توالى سقوط مدن الساحل الشامى بعد سيطرة الفرنجة على بيت المقدس . فبينما كان الفواطم يغطون فى نوم عميق حتى لحظة وصول اللاتين إلى أول حدودهم شمالى بيروت ، أحسوا وقتها بخطورة الزحف الجنوى اللاتينى المشترك برا وبحرا . وبدأ الأفضل الفاطمى يستعد لمواجهة الخطر المحدق بالجيش والأسطول ، ولكن بعد فوات الأوان ، وانطلاء الخدعة عليه .

ومهما يكن من أمر ، ورغم ذلك فقد أحسن الفواطم إلى الجاليات الجنوية على مضض ، وذلك لحاجتهم الماسة إلى الأموال التى كانوا يحصلونها من الرسوم المفروضة على السلع والبضائع المختلفة التى كانوا يتاجرون فيها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، أضطروا إلى اتخاذ تلك السياسة لحاجتهم الشديدة إلى الأخشاب والمعادن والعبيد اللازمين لإعداد الجيش والأسطول (١) ، وذلك

---

(١) توجد اشارة الى قدم اشتغال التجار الايطاليين بما فيهم الجنوية بصفه عامة فى تجارة الرقيق قبيل الحركة الصليبية وحتى نهاية القرن الثانى عشر مع مصر ، حيث كانوا ينقلون العبيد إلى ميناء الاسكندرية . ولاشك أن الفواطم — إلى حد ما — قد شجعوا تلك التجارة لحاجتهم إلى هؤلاء لاعداد جيشهم بدليل تعدد طوائف الجند كما هو معروف بالجيش الفاطمى ، تلك الطوائف التى كانت صراعاتها فيما بينها وبالاعلى الدولة ومن أسباب انهيارها . انظر :

Treece, The Crusades, p. 234f.

ترقبا للفرصة المواتية للانقضاض على اللاتين واستعادة نفوذهم الضائع. يؤيد ذلك أن تلك السياسة سوف يتبعها حكام مصر المتحمسون لقتال اللاتين فيما بعد سقوط الدولة الفاطمية، حيث واصلوا سياسة الفواطم تلك، وأحسنوا وأكرموا وفادة التجار الجنوية وغيرهم من التجار الغربيين لما كانوا يجلبونه من أخشاب ومعادن ضرورية لبناء الأسطول المصرى. هذا بالإضافة إلى ماكانوا يبيعونه لمصر من قار وقطران وغيرها مما كانوا يحتاجونه فى قتالهم ضد اللاتين (١).

ولقد كان لسياسة الفواطم هذه أثرها فى توافد وإقامة الجنوية وغيرهم وبإعداد ضخمة فى مدينة الاسكندرية بهدف إدارة شئونهم التجارية والإشراف على مصالحهم. وبطبيعة الحال تطلب وجود تلك الأعداد الضخمة من التجار الجنوية وغيرهم أن يكون هناك من يشرف على شئونهم الخاصة، ويحل ما ينشب بينهم من صراعات ومشاكل ويكون حلقة وصل بينهم وبين السلطات الفاطمية. وكان أن تم تعيين مايعرف باسم الموظفين التجاريين أو القناصل للإشراف على كل هذه الأمور، وذلك بعد موافقة السلطات الفاطمية عليهم. ولاشك أن مثل هؤلاء كانوا عاملا من عوامل تهدئة الفواطم، وتمويه حقيقة الأمور عليهم، وإبعاد الشبهات عن حقيقة دور الجنوية فى الحركة الصليبية، وإشاعة صدق الروايات التى تقول بقدوم اللاتين وحلفائهم الجنوية من أجل تطهير الشام من خطر الاتراك السلاجقة. ولعل ذلك كان من

---

(١) انظر: القلقشندى: صبح الاعشى، جـ١٣، ص ٨٨؛ شارل ديل: البندقيه جمهورية ارستوقراطيه، ص ٢٠، ٣٥-٣٦، ٣٩؛ عمر كمال توفيق: الجاليات الأوربية فى الاسكندرية، ص ٢٨٠-٢٨١؛ جوزيف نسيم: علاقات مصر بالممالك الايطالية، ص ٦٣-٦٤. وأيضا انظر:

Thatcher, A General History of Europe, p. 187.

أهم دوافع إرسال الافضل اسفارته إلى اللاتين وعرض فكرته بالتحالف معهم(١) بعدما ابتلع الطمع ومقط فى شبكة متاهات عديدة نصبها له هؤلاء الجنويون بمكر وحبكة. وهكذا ترك الجنوية يمارسون أنشطتهم التجاريه ، ونشطت حركه التجارة مع مصر والشام . وكثيراً ما كانت تشاهد سفنهم تمخر عباب مياه البحر المتوسط عبر مضيق مسينا فى طريقها إلى موانى مصر والشام للتجارة كما كانت أساطيلهم تنقل الحجاج اللاتين إلى ثغر يافا، ومنها يتجهون إلى بيت المقدس للحج والزيارة. وهكذا كان التجار الجنويين يترددون على ميناء الاسكندرية، ينزلون أهلا بين بنى جلدتهم أفراد الجالية الجنوية بالفندق المخصص لهم ، ويلقون سهلا من السلطات الفاطمية؛ حيث كانوا يشترون من أسواقها الفلفل وجوز الطيب والقرنفـــل والشب والنطرون وهى السلعة التى كان الفواطم يحتكرون تجارتها (٢) .

---

(١) فى ذلك الشان وعن نظام القناصل والفنادق الخاصة بالجنوية والجاليات الايطالية بعامة فى ميناء الاسكندرية ونشاط الجنوية التجارى مع مصر والشام قبيل وبعد الحركة الصليبية انظر كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١ - ١٢٩١م/٥٦٧-٥٦٩٠هـ) ، ص٢٩١-٣٨١ (الفصلين ٤،٥) وأيضا انظر :
Heyd, Histoire du Commerce I, pp. 390, 414f.; Atiya, Crusade, Commerce & Culture, p. 194f.;
عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس ، ص١٠٨ .

(٢) ارجع الى : حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦١١-٦١٢؛ جمال الدين سرور : سياسه الفاطميين الخارجية ، ص ٢٥٠؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦١، ص ٦٩-٧٠؛ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٠٨-١٠٩ ؛ جوزيف نسيم : علاقات مصر بالممالك الايطالية ، ص٦٣-٦٤، العبادى وسالم : تاريخ البحرية الاسلامية ، ص ١٧٤؛
Heyd, op. cit., I, p. 124; Chalandon, Histoire de La lere Croisade, P. 360; Runciman, op. cit., III, p. 355.

من دراستنا السابقة نخلص أيضاً إلى تأكيد حقيقة الوجود الجنوى فى مصر الفاطمية ومدنها بالشام على امتداد العصر الفاطمى ، قبيل وأثناء تقدم اللاتين بالشرق الأدنى وبعد إقامة ممالكهم الأربع بالشرق ، حيث كان الجنوية بخاصة ، والتجار الإيطاليين بصفة عامة ، يتمتعون بممارسة أوجه أنشطتهم التجـــارية مستفيدين من حسن نوايا الفواطم ، وذلك رغم سنوات العداء المسلح التى مرت بالعلاقات الجنوية الفاطمية أثناء قدوم الحملة وما تبعها من فقدان الفواطم لنفوذهم وسلطانهم فى الشام ، وحتى سقوط مدينة صيدا فى الفترة من ١٠٩٩ - ١١١٠ م (٤٩١ - ٥٠٤ هـ) . ولقد أظهر الجنوية أثناء تلك الفـــترة من البراعة والدهاء والدبلوماسية ، ما استطاعوا به إمساك العصا من المنتصف إبان الصراع الصليبي الفاطمى ، حرصا على مصالحهم الخاصة ، وحفاظا على الامتيازات والحقوق التى اكتسبوها من اللاتين من جهة ، ومن جهة أخرى تأمينا لوجودهم القوى فى موانى مصر الفاطمية بصفة خاصة . ورغم ما قاموا به من مذابح ومجازر بشرية ضد سكان وحاميات المدن التابعة للفواطم أثناء تلك الفترة ، بدءاً بمذبحة بيت المقدس ، وانتهاء بمذبحة بيروت وسقوط صيدا عام ١١١٠ م(١) ؛ وبعدها لم يعد للفواطم بالشام سوى مدينتى صور وعسقلان ، وقـــد سقطت الأولى عام ١١٢٤ م (٥١٨ هـ) والثانيه سقطت عام ١١٥٣ م (٥٤٨ هـ). ورغم عدم وجود إشارات صريحة عن إسهام الجنوية فى احتلال هاتين المدينتين إلا أنه يرجـــح إسهامهم فى احتلالها ؛ يؤيد ذلك ما ذكره « يورجا » عن إسهامهم فى احتلال صور . ومن ناحية أخرى يمكن الأخذ بهذا الرأى على أساس حتمية إسهام جنوة فى احتلالها تأكيدا لالتزامها تجاه اللاتين بالإسهام فى احتلال تلك المدن بخمسين

---

(١) انظر ماسبق (فصل ٣ ، ٤) .

مقاتلا على الأقل طبقا للاتفاقيات السابق توقيعها مع اللاتين وبخاصة بلدوين الاول (١)؛ مع ملاحظة أنه يستحيل على الجنوية أن يتركوا الفرصة تفوتهم الحصول على مواطىء أقدم لجالياتهم فى مدن مثل مدينة عسقلان أو مدينة صور ذات الأهمية التجارية (٢) . وإذا كان أهالى مدينة جنوة قد قبلوا القيام بهذا الدور إلى جانب اللاتين ، فما لاجدال فيه أنهم ماقاموا به إكراما لوجه الرحمن، ولا بسبب وحدة العقيدة التى تربطهم وإياهم ، بل قاموا به فى المرتبة الأولى مقابل ثمن غال تجلى فى عديد من الاتفاقيات التى حصلوا عليها ، والتى توجت أخيراً باتفاقيات عام ١١٠٥ م التى عقدوها مع بلدوين وبلغ تعدادها إحدى عشرة اتفاقية . ولقد امتلك الجنوية بمقتضى تلك الاتفاقيات العديد من الأحياء والشوارع والوكالات التجارية الضخمة ، بل وامتلكوا أراضى زراعية وأفران وحمامات وأبار وكنائس خصصت لهم . أضف إلى ذلك حصولهم على ثلث دخل بعض المدن سنويا مثال عكا . ولقد حصلوا على كل هذه الحقوق فى مدن الشام المختلفة مثال : أنطاكية وميناء القديس سيمون واللاذقية وبيت المقدس ويافا وحيفا وأرسوف وقيسارية وعكا وطرابلس وبيروت وصيدا وصور . كما امتلكوا

---

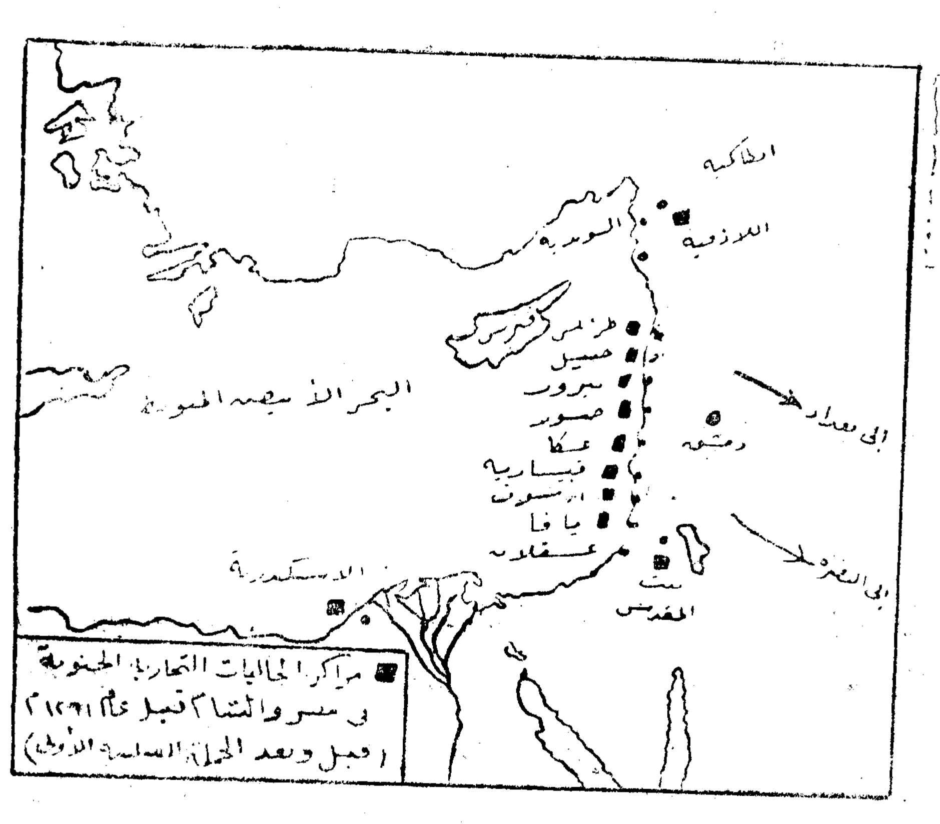
(٢) Cafari, XI, p. 59, XXVI, p. 72; cf. Bent, Genoa, p. 89f.; Iorga, Histoire des Croisade, p. 71.

(٢) عن اهمية عسقلان واحتلال الفرنج لها انظر :

William of Tyre, II, pp. 217—34.

وعن اهمية صور وسقوطها انظر : ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٧٨؛ وايضا :

Wiel, Venice, p. 90 ff.; Iorga, op. cit., p. 71.



خريطة رقم (٣)

نقلا عن :

Thomposon, J, Economic and Social History, I, p. 403.

مدينة جبيل ملكية كاملة وحكمها آل « إمبرياكو » حكما وراثيا (١) . وهكذا نجحت سياسة الجنوية الماكرة ، فواصلوا التجارة مع الفواطم وظلوا على علاقة قوية بهم فى المجالات الاقتصادية حتى سقوط دولتهم عام ١١٧١ م (٥٦٧ هـ) . وازداد توافد أهالى مدينة جنوة على مدن الشام الساحلية بأعداد ضخمة. إلا أن عدد من وفد منهم على ميناء الإسكندرية كان ضعف عدد أخوانهم المهتمين بالتجارة مع الإمارات اللاتينية فى الشرق (٢) . إذ أن الجنوية بالرغم من ضخامة الامتيازات التى حصلوا عليها بالشام قد عقدوا صفقات تجارية فى ميناء الاسكندرية أكبر حجما من تلك التى عقدوها فى الشام (٣) . لذلك أقاموا بأعداد كبيرة فى الاسكندرية داخل فنادقهم الخاصة بهم، وبالرغم من الرقابة الشديدة المفروضة عليهم ، فقد كانوا سعداء بما كانوا يحققونه من أرباح هائلة جمعوها من تلك الصفقات التجارية.

---

(١) و بالمثل حصل البيازنة والبنادقة على عدة امتيازات مماثلة لما حصل عليه الجنوية. فى هذا الشأن انظر : **Chalandon, Histoire de La Iere. Croisade, p. 320f.; Daru, Histoire de La République Venice, I, p.110f.; Jamison & Vernon, Italy Medieval & Modern, p. 43; Heyd, Histoire du Commerce, I, p. 131 ff.**

(٢) **Runciman, op. cit., III, p. 355; Heyd, op. cit., I, p. 390**

للاستزادة عن نشاط الجنوية التجارى بالاسكندرية والشام فى العهد الفاطمى الثانى انظر: **Byrne, H., Commercial Contracts of the Genoese in the Syrian Trade of the 12th. Century, Quart. J. of Economics, Vol. 31 (1916—1927), p. 134; Beazley, op. cit., 11, pp 422f., 458ff.**

(٣) توفيق اسكندر : بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، المقالة الرابعة ، ص ١٧٥ — ١٧٦ . بالنسبة لأهمية الاسكندرية آنذاك انظر :

Heyd, op. cit., 1, p. 383f.

وبالمثل استفاد الفواطم من تلك الحركة التجارية النشطة من الرسوم المفروضة عليها ، ومن هنا كانت سياسة الفواطم السامية تجاه هؤلاء التجار كوسيلة تشجيع لهم على الإقامة بمدينة الإسكندرية التى تكدست فيها سلع الشرق النفيسه، القادمة من الهند والصين والجزيرة العربية ؛ كنتيجة منطقية لتحول طرق التجارة العالمية من منطقة الخليج إلى موانى البحر الأحمر المصرية، ومنها إلى القاهرة ثم الاسكندرية حيث كان ينقلها هؤلاء التجار الجنوية وغيرهم من التجار الإيطاليين إلى موانى الغرب الأوربى (١) . ومن هنا تتضح أهمية الموانى الفاطمية فى مصر والشام فى نظر التاجر الجنوى . تلك الموانى التى كانت تعتبر أهم مصادر الثروة التى كانت تمول المدينة الأم جنوة (٢) .

لعلنا نخلص مما سبق أن هناك ثمة أكثر من مبرر لاتباع التجار الجنوية تلك السياسة المتباينة فى معاملاتهم السياسية ، وعلاقاتهم التجارية مع الفواطم بمصر، واللاتين بالشام ؛ ولقد تمثلت سياستهم تلك فى إلقائهم بكامل ثقلهم إلى جانب اللاتين فى خضم الصراع الإسلامى الصليبى من ناحية ،ومن ناحية أخرى فى توددهم إلى الفواطم ونجاح سياستهم فى هذا المضمار ، منتهزين فرصة احتياج الفواطم للأموال والعبيد والأخشاب والمعادن وغيرها مما تحتاجه الدول لإعداد الجيوش والأساطيل الحربية والتجارية . ولعل سياسة الفواطم السلمية هذه تجاه الجنوية وغيرهم من تجار المدن الإيطالية ، رغم دورهم العدائى السافر فى الصراع الصليبى الإسلامى، قد تجعل البعض يطرح تساؤلا وهو : هـــل تعنى تلك السياسة التى

---

(١) Mas Latrie, Traites de Paix et de Commerce, p. 13.

من دلائل قوة النفوذ التجارى الفاطمى اكتشاف عملة فاطمية فى جزيرة مدغشقر .

انظر : توفيق اسكندر : بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، المقالة الثانيه ، ص ٦٧ .

(٢) Byrne, Genoese Trade, p. 201f.

اتبعها الأفضل الفاطمى تجاه هؤلاء أنه قد فضل الثروة والجانب المادى على الجهاد الحق ضد أولئك القوم ؟ وهل ارتضى الحفاظ على علاقاته الاقتصادية معهم رغم ما قاموا به من مذابح فى المدن الفاطمية بالشام ؟ . الحقيقة أن الأفضل كان مغرما بحب جمع المال والتحف والجواهر والأحجار الكريمة وغيرها من الأشياء التى كان يجلبها ويتاجر فيها مثل هؤلاء التجار ، ومن هنا يمكن القول بأن حب الأفضل هذا وشغفه بالثروة قد جعله يتبع تلك السياسة ، وفى نفس الوقت لا يجوز التغاضى عن القول بأنه قد اتبع تلك السياسة وتقرب إلى الجنوية وغيرهم كوسيلة سياسية تصبو إلى هدف أسمى ، كى يضمن الحصول على العبيد والأخشاب والمعادن كالحديد والنحاس وغيرهم . مما تطلبه عمليات إعادة بناء الجيش والأسطول ، هــــذا من جهة ، ومن جهة أخرى الحصول على المزيد من الأموال لاستخدامها فى كسب ود الدماشقة وغيرهم من السلاجقة فى الشام توحيدا للصف الإسلامى وتمهيدا للانقضاض على اللاتين والثأر لهزائمه السابقة وكرامته التى جرحت فى عسقلان ،وغيرها من المعارك الحربية فى البر والبحر ، فضلا عن نكثهم للعهود والمواثيق التى عقدها معهم من قبل . يؤيد ذلك تعدد الحملات التى أرسلها الأفضل وعدم توانيه عن مقاتلة اللاتين وحلفائهم الايطاليين بصفة عامة سواء فى البر أو فى البحر . مثال ذلك الحملات التى خرجت للقتال ضد اللاتين فى الأعوام ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٥م (٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٨ - ٤٩٩هـ) ؛ بل لقد أرسل عدة حملات أخرى فيما بعد . وتعتبر الحملة التى أعدها وسيرها فى البر والبحر عام ١١٠٥م (٤٩٨ - ٤٩٩هـ) بعد ما اتفق مع طغتكين صـــاحب دمشق ، من أخطر وأهم تلك الحملات . إذ تعتبر أول محـــاولة عملية اتحد فيها المسلمون فى مصر والشام ضد العدو اللاتينى المشترك (١) وحلفائه من الجنوية

---

(١) عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٣٠٤ .

وغيرهم . وكان رد الفعل لتلك المحاولة الوحدوية التي قام بها الأفضل أن تفهم بلدوين خطورة تلك الجهود وفكر في غزو مصر ذاتها . وفي عام ١١١٨م (٥١١هـ) قام بلدوين بحملته المشهورة ضد مصر وتوغل في البلاد حتى وصل الفرما ونهبها بعد أن دمرها وأحرق جامعها . إلا أنه عاد دون أن يكمل حملته بعد ما أصابه مرض فقضى نحبه أثناء عودته ودفن في بيت المقدس (١). وهنا ينبغي ان نتمهل لمناقشة ظروف تلك الحملة وأسبابها وأهدافها ؛ فهل كانت تهدف إلى احتلال مصر ذاتها ؟ أم كانت ترنو إلى إستعراض قوة اللاتين وإشعار الفواطم بإمكانية الهجوم على مصر ؟ . من المرجح أن بلدوين قام بهذه الحملة لجس النبض وكشف مدى إمكانيات الفواطم بعد ما علم بضعفهم ، وذلك تمهيدا لجمع شمل القوات الصليبية بالشام والانقضاض على مصر واحتلالها ، مستعينا بالأساطيل الجنوية في البحر ، ومعتمدا على ما كانت تصله من تقارير توضح سوء أحوال مصر السياسية والاقتصادية آنذاك وهنا أيضا تتضح خطورة الدور الذي كان يلعبه الجنوية كطابور خامس معاد للفواطم ، وكجواسيس وعيون للفرنجة ، على أمل أن يحتل اللاتين مصر ويحصل الجنوية على مركز الصدارة في الميدان التجاري بمصر وبخاصة في مدينة الاسكندرية . يؤيد ذلك الرأي رغبة اللاتين أنفسهم في تأمين وجودهم بالشرق باحتلال مصر حتى قبيل احتلال بيت المقدس يوم أن فكروا في التوجه إليها مباشرة ، ثم العودة بعد احتلالها لحصار القدس على أساس أن مفاتيحها في القاهرة . هذا من جهة ، ومن

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، جـ ١٠ ، ص ٢٢٩ ؛ ابن تغري بردي : النجوم ، جـ ٥ ص ١٧١ . وأيضا انظر :

Albert d'Aix, p. 605f; cf. Lamb, The Crusades, p. 188; Setton, A History of the Crusades, 1, p. 407.

جهة أخرى ، هناك إشارة هامة أوردها مؤرخ الحوليات الجنوى المعاصر «كفارو» كشاهد عيان تؤكد اتفاق الجنوية مع بلدوين على احتلال مصر نظير حصولهم على ثلث البلاد ، ولربما ثلث مدينة الاسكندرية أو دخلها حيث قال : «وهو [أى بلدوين] من جهته قد وافق على السماح الجنوية بالحرية فى مدينة بيت المقدس ويافا ، ومنحهم ثلث مدينة أرسوف وأيضاً ثلث بابليون [أى مصر] Babiloniae وذلك فى عام ١١٠٥م (١) ، وسجل هذا فى السجل لدى تانكرد كما تشير بذلك أوراق كفارو» (٢) . يضاف إلى ذلك دليل آخر يؤيد ما وصلنا إليه من رغبة بلدوين فى احتلال مصر بعد أن أعد للأمر عدته بالاتفاق مع الجنوية واللاتين ، وهو ما ذكره المؤرخ الكبير ابن الأثير حيث قال : «فى ذى الحجة من سنة إحدى عشرة وخمسمائة توفى بغدوين ملك القدس وكان قد سار إلى

---

(١) من الملاحظ أن زمن توقيع تلك الاتفاقية يتفق وزمن حملة الأفضل ـ طغتكين المشتركة (١١٠٥م/٤٩٨-٤٩٩هـ) ضد اللاتين ؛ مما يدعو الاعتقاد أن بلدوين قد أفزعته جهود الأفضل الوحدوية تلك فسارع بعقد تلك الاتفاقية مع الجنوية ، وتوحيد صفوف اللاتين استعدادا لغزو مصر واحتلالها والقضاء على الأفضل ، وبالتالى وأد جهوده قبلما تثمر ويتسع اللاتين بين فكى الكماشة الفاطمية السلجوقية فى مصر والشام ؛ مما ينذر بخطر داهم يتهدد الوجود اللاتينى كله بالمنطقة . انظر مادة (بابليون - بابيلون) - فى : دائرة المعارف الاسلامية - الترجمة العربية ، ص ٤٥٣-٤٥٤ . وأيضا ارجع الى : Encyc. of Islam, 1, p. 844f. (Babalyun); La Grande Encyc., IV, p. 1050 (Babylone-Babylonie).

(٢) «qui privilegium postae concessit Januensibus in Jerusalem, et en Jopem, et tertiam partem Arcufri, et tertiam partem Babiloniae anni Domini MCV, in Registro, et Tanclerium... sicutipraesens scriptura Cafari narrat.» Cafari, XI, p. 59.

ديار مصر ... قاصداً ملكها والتغلب عليها وقوى طمعه فى الديار المصرية» (١).

مهما يكن من أمر، فإن سياسة الأفضل المتباينة بالتقارب والتحالف مع الدماشقة السنيين ضد اللاتين من جهة، وسياسته السلمية تجاه التجار والجاليات الجنوية فى مصر رغم مواقفهم المداثية تجاه الفواطم ونفوذهم بالشام من جهة أخرى، كان لها نتائجها فى ضوء ما ذكرنا. أضف إلى ذلك مشاعر الخطر التى تملكت النفوس نتيجة حملة بالدوين السابقة على مصر، وقد تبلورت نتائج ذلك كله فى مؤامرة دبرها الآمر بأحكام الله الفاطمى أودت بحياة الأفضل شاهنشاه. وإن كانت أغلب المصادر تقول بتدبير الآمر للمؤامرة، إلا أن هناك من الروايات ما تؤكد أن الآمر لم يكتف بتدبير المؤامرة بل أكملها بأن أزهق روح الأفضل الذى كان قلبه لازال ينبض بالحياة بعد أن نقل إلى داره. ويقول ابن القطان فى هذا الشأن ما يؤكد أن الآمر قد دس على الأفضل « رجالا وأمرهم بقتله ووعدهم بالعطاء الجزيل » فهاجموه بالسيوف. ورغم ذلك تحامل الأفضل على نفسه ونقله أصحابه إلى « داره وبه رمق فلما علم الآمر جاءه وكأنه زائر له، فخرج عنه الناس وبقى معه وحده فقيل أنه جعل على وجهه مخدة وقعد عليه حتى طفئه [أى أزهق روحه] ولم يخرج من عنده إلا وهو قد مات » (٢).

---

(١) الكامل، جـ١٠، ص ٢٢٩.

(٢) نقلا عن جزء من كتاب نظم الجمان لابن القطان، تحقيق د. محمود على مكى، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة محمد الخامس - الرباط، (بدون تاريخ) ص٢٤-٢٥. وأيضا انظر: ابن الاثير: الكامل، جـ١٠، ص ٢٥٠ — ٢٥١؛ ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص ٦٠؛ الوثائق الفاطمية، ص ١٤٠ وبعدها.

ولاشك أن سياسة التقارب بين الأفضل والجنوية من جهة ، وتحالفه مع الدماشقة من جهة أخرى ، قد أدت النهاية الحزينة وهناك روايات عديدة تؤيد ذلك ؛ كما تشير إلى رغبة الآمر فى الاستحواذ على ثروة الأفضل التى بلغت من الضخامة حداً كبيرا (١). وعن سبب وفاته لتقاربه مع السنيين يقول ابن الأثير « وكان الإسماعيلية يكرهونه لأسباب منها تضييقه على إمامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها ترك معارضة أهل السنة فى اعتقادهم والنهى عـــن معارضتهم وإذنه للناس فى إظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر » . وكان موته يوم ٥ ديسمبر ١١٢١ م /٢٣ رمضان ٥١٥ هـ (٢) . وكان من أهم نتائج مصرع الأفضل أن شعر اللاتين بزوال خطورته وشددوا مـن ضغطهم على مدينة صور خاصة بعد ما عزل الآمر مسعودا الذى كان يحكمها من قبل طغتكين نتيجة لاتفاق الأفضل معه ، وعين واليا فاطميا بدلا منه « وكانت عاقبة خروجه [أى مسعود] منها وسوء التدبير فيها خـــروجها إلى الإفرنج وحصولها فى مملكتهم » (٣) .

---

(١) يقال أن الآمر ظل ينقل تلك الثروة إلى قصره طوال أربعين يوما . انظر : ابن الاثير : نفس الجزء ، ص ٢٥١ ؛ ابن أيبك : درر التيجان ، ورقه ٤٠٥ ، ٤٠٦ ؛ ابن رسول : نزهة العيون فى تاريخ طوائف القرون ، ج١ ، ورقه ٥٣٢—٥٣٣ . وأيضا انظر : المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ٦٩ وبعدها . وللاستزادة انظر : عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص٥١٧ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، ج١٠ ، ص ٢٥٠-٢٥١ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٠٧ . وللاستزادة انظر : ابن تغرى بردى ، النجوم ، ج٥ ، ص١٨٣ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص١٠٧ . وعن سقوط صور ودور البنادقه فيه انظر :

وعلى أية حال ، فلسوف تضطرب الأمور فى البلاد بعد مصرع الأفضل وما تبعه من استبداد الآمر الذى عرف « بالظلم والفسق » (١) . وقد توحى تلك الأوضاع السيئة بتوقف التجارة والعلاقات التجارية بين الجنوية من جانب والفواطم من جانب آخر ، إلا أن الثابت أن تلك العلاقات قد نشطت بعد فترات ركود بسيطة وعادت أقوى مما كانت عليه . ويبدو أن خلفاء مصر الفواطم منذ ذلك الحين وحتى سقوط الدولة الفاطمية عام ١١٧١ م (٥٦٧ هـ) قد ازداد تشجيعهم للجاليات الجنوية على الاهتمام بالتجارة لما فى ذلك من أهمية بالنسبة الفواطم بسبب الأموال التى يجنونها من هذا السبيل . بدليل عدد من روايات شهود العيان التى تؤكد عظمة وفخامة قصر الخلافة الفاطمى (٢) . ويؤيد قوة العلاقات التجارية آنذاك بين الجنوية والفواطم ما جاء فى كتابات مسجل العقود الجنوى Giovanni Scriba من أن عدد التجار الجنوية الذين كانوا يتاجرون مع الاسكندرية قد أصبح فى الفترة من عام ١١٥٥ إلى عام ١١٦٦ م (٥٥٠-٥٦٢هـ) ضعف عدد زملائهم المهتمين بالتجارة مع الإمارات اللاتينية بالشرق (٣) ، مما

=Foucher de Chartres, p. 4̀32ff.; Roger of Wendover, I, p. 475; cf. Wiel, Venice, p. 90ff.; Runciman, A History of the Crusades, 11, p. 166ff.

(١) باخرمه ، قلادة النحر ، لوحة ٦٨١ .

(٢) أورد المؤرخ (الصورى) وصفا طريفا عن فخامة قصر العاضد الفاطمى نقلا عن لسان أعضاء سفارة لاتينية أرسلها عمورى الأول لتوقيع اتفاقية مع الفواطم . والجدير بالذكر أن تلك السفارة لم تذكرها أية مصادر أخرى وما يهمنا وصف عظمة البلاط الفاطمى كدليل على ثراء الفواطم نتيجة الرواج التجارى الناتج عن نشاط التجار الجنوية والغربيين بصفة عامة انظر : William of Tyre II, p. 319ff.

(٣) Runciman A History of the Crusades, III, p. 355; Heyd, Histoire du Commerce, 1, p. 390.

لايدع مجالا للشك فى حقيقة قوة الوجود الجنوى بمصر الفاطمية بعد الحملة الصليبية الأولى وإقامة الممالك اللاتينية بالشرق ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يؤكد قوة علاقة الجنوية الاقتصادية بمصر الفاطمية منذ ذلك الحين وحتى سقوط الدولة الفاطمية . وثمة دليل آخر يؤكد اهتمام الفواطم بتقوية علاقاتهم بالإيطاليين بصفة عامة ، والمقصود بذلك مهاجمة بعض القراصنة البيازنة سفنا تجارية مصرية حيث قتلوا بعض الرجال ونهبوا البضائع وسبوا النساء والأطفال ، والخوف بيزا على وجودها بمصر أرسلت سفارة إلى البلاط الفاطمى ، حيث أعلنت أسفها لما حدث وتعهدت بالاقتصاص من المذنبين ، بل وعقدت معاهدة تجارية مـــع الظافـــر الفاطمى (١١٤٩ - ١١٥٤ م / ٥٤٤ - ٥٤٩ هـ) ، وسمح للبيازنة بالعودة إلى فندقهم الخاص بالاسكندرية (١) . وما يعنينا من أمر تلك السفارة أنها تعد دليلا هاما على اهتمام الفواطم بتقوية العلاقات التجارية مع الجاليات الإيطالية المقيمة بمصر ، نظرا لأهميتها كمصدر من مصادر الدخل للدولة . ولعل تلك الرغبة فى الإبقاء على قوة الدفع من أجل الحفاظ على تلك العلاقات هى التى جعلت الجنوية وغيرهم من أفراد الجاليات التجارية الإيطالية الأخـــرى يبذلون قصارى جهودهم لكسب ود الفواطم ، حرصا على مصالحهم الخاصة وكان أن مل الجنوية وغيرهم من الإيطاليين مشاركة اللاتين قتال الفواطم بصفة خاصة والمسلمين بعامة ، لتعارض ذلك مع مصالحهم فى مصر .

لذلك فإن آخر ما كانوا يرغبون فيه هو مواصلة القتال ضد المسلمين ، حفاظا على سيولة تجارتهم (٢) ، وضمانا للكسب والثروة التى كانوا يجنونها من التجارة

---

(١) عن هذه الحادثة ونتائجها ، ولمزيد من التفاصيل ارجع الى :
Heyd, op. cit., 1, pp. 392ff.

(٢) عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس ، ص ١٦٤ .

فى ميناء الاسكندرية الفاطمى ، ومن البضائع التى كانت تنصب فى مستودعاتهم التجارية المملوكة لهم فى موانى الشام اللاتينية (١) . فالجنوية كانوا تجارا أولا وآخراً . ولذلك كانوا يحرصون أشد الحرص على الإبقاء على علاقاتهم التجارية مع مصر قوية بأى وضع وبأية وسيلة ، حرصا على مكاسبهم ومصالحهم الاقتصادية فى منطقة الشرق الأدنى . وتعتبر المؤامرة التى حاولت بقايا الدولة الفاطمية القيام بها الإطاحة بحكم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب واشتراك الجنوية وغيرهم من اللاتين فيها دليلا قاطعا على مدى ارتباط مصير الجاليات الجنوية بالدولة الفاطمية إما قوة أو ضعفا ، وبالتالى إما بقاء أو فناء .

ولاغرو أن سقوط الدولة الفاطمية عام ١١٧١ م (٥٦٧ هـ) ، وقيام الدولة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبى ، قد وجد فيه الجنوية مكمن الخطر على تجارتهم ووجودهم فى الشرق ، بل وعلى كيانهم كجمهورية تجارية بحرية ، خاصة لما اشتهر به صلاح الدين من عزم وإصرار على طرد اللاتين من الشرق واستعادة البيت المقدس ، ورفعه راية الجهاد المقدس ، وتخطيطه لذلك بتوحيد الجبهتين المصرية والشامية فى ظلال الكتاب والسنة تمهيداً لحصر اللاتين داخل فكى الكماشة الإسلامية من الشمال والجنوب ثم الانقضاض عليهم ودحرهم .

ولذلك جن جنون الجنوية بصفة خاصة ؛ وحرصا على مصالحهم آلفوا بكامل ثقلهم إلى جانب أعوان الحكم الفاطمى السابق ، حتى لاتضيع مكاسبهم

---

(١) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ ، ١٦٤ . للاستزادة عن أهمية مدينة الاسكندرية عامة انظر : الادريسى : « صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس » مأخوذة من « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، نشر دى غويه ودوزى ، ليدن ١٨٦٦ م ص ١٣٨ وما بعدها .

التى جنوها وتذوقوا حلاوتها على امتداد الحكم الفاطمى فى مصر والشام، قبيل وأثناء وبعد قدوم الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق الأدنى الإسلامى. ولقد أشار صلاح الدين بنفسه إلى دور الجنوية فى تلك المؤامرة وذلك فى رسالته التى أرسلها إلى الخليفة العباسى المستضىء بالله (١).

ومهما يكن من أمر، فمن الممكن الجزم بفعالية الجهود التى بذلها الجنوية لإحكام تدبير المؤامرة، وتسهيل سبل الاتصال بين الفواطم المتآمرين وبين اللاتين والروم. وبطبيعة الحال رحب اللاتين بالفكرة تطلعا إلى تحقيق أسمى أحلامهم ألا وهو احتلال مصر «خزانة الأرض كلها» (٢)؛ وكثيرا ما حاولوا غزوها ولكنهم فشلوا فى محاولاتهم (٣). ولقد تمثلت تلك المؤامرة فى فتنة مؤتمن الخلافة عام ١١٦٩م (٥٦٤ هـ) وكان العاضد لا يزال يحكم مصر، وذلك بأن قام الأسطول الجنوى اللاتينى الرومى بحصار مدينة دمياط من البحر، بينما قدم عمورى بقواته لحصارها برا فى أكتوبر - نوفمبر ١١٦٩ م (محرم - صفر

---

(١) جوزيف نسيم: علاقة مصر بالممالك الايطاليه، ص٨٢ وبعدها.

(٢) الكندى: فضائل مصر، ص ٤٤. وللاستزاده عن أهمية مصر الاقتصادية والتجارية انظر: الكندى: شرحه، ص٤٤ وبعدها، ٥٥، وبعدها، ٧٠ وبعدها.

(٣) حاول عمورى احتلال مصر عدة مرات منتهزا فرصة ضعف الفواطم وسوء أحوال مصر؛ إلا أن نور الدين محمود وقف له بالمرصاد وأرسل قائده أسد الدين شيركوه الذى حال دون الفرنج ودون تحقيق آمالهم، واستوزره العاضد (١١٦٩م/ ٥٦٤هـ). وبموته فى نفس العام (١١٦٩م) خلفه ابن اخيه صلاح الدين فى الوزارة واستطاع جعل الخطبة للمستضىء العباسى. وبموت العاضد (١١٧١م /محرم٥٦٧هـ) سيطر على حكم البلاد وبدأ عهد الدولة الأيوبية. انظر: ابن شداد: سيرة صلاح الدين، تحقيق الشيال، القاهره ١٩٦٤، ص ٣٦—٤١؛ ابن الاثير: الكامل، ج١١، ص ١٢٣—١٢٥، ١٤٥—١٤٧، ١٥٠—١٥٥.

٥٦٥ هـ) (١) . وهناك محاولة أخرى تمثلت فى الفتنة التى أعد لها عمارة اليمنى فى يوليو ١١٧٤ (ذى الحجة ٥٦٩ هـ) (٢) ؛ تلك الفتنة التى أعقبها هجوم الفرنج على دمياط تعضدهم الأساطيل الرومية والجنوية والإيطالية الأخرى. إلا أن صلاح الدين استطاع أن يصد المحاولتين . وفشلت المؤامرة التى دبرها الجنوية والبيازنة واللاتين والروم بالتعاون مع بقايا الفواطم ، وتم إنقاذ مدينتى دمياط والاسكندرية من خطر محقق كاد يحدق بها (٣) . ويؤيد الدور الخطير الذى قام به الجنوية فى هاتين المؤامرتين تلك الرسالة التى أرسلها صلاح الدين للخليفة العباسى وفيها يقول: « وفى أثناء ذلك استنجدوا [أى الفواطم] علينا الفرنج دفعة إلى بابليس ، ودفعة إلى دمياط ، فى كل منهما وصلوا بالعدو المجهر ، والحشد الأوفر ، وخصوصا فى نوبة دمياط فإنهم نازلوها بحرا فى الف مركب مقاتل وحامل ، وبرا فى مائتى ألف فارس وراجل ، وحصروها شهرين يباكرونها ويراوحونها ، ويماسونها ويصابحونها القتال الذى يصليه الصليب ، والقراع الذى ينادى به من مكان قريب ، ونحن نقاتل العدوين : الباطن [أى الفواطم] والظاهر [أى الجنوية واللاتين] .

---

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص٣١١—٣١٢ ، ٣١٥—٣١٦ وايضا :
William of Tyre, 11, p. 362ff.

(٢) ابن شداد : سيرة صلاح الدين ، ص٤٨ - ٤٩ وأيضا : ميشيل آمارى : المكتبة الصقلية ، نصوص فى التاريخ والبلدان ، جمعها وحققها ميخائيل آمارى ، ليبسك ١٨٥٧، ص٣٣٥—٣٣٧ ؛ أمبرتو ريتزيتانو : صفحة من تاريخ العلاقات بين وليام الثانى النورماندى وصلاح الدين ، مجلة آداب اسكندرية ، ١٩٤٩، المجلد ٥، ص ٥٣-٥٤

(٣) للاستزادة من تلك المؤامرة انظر : عماره اليمنى : النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية ، تصحيح هرتويغ درنبرغ ، مدينة شالون ١٨٩٧ ، ج٢ ، ص٤٩١ وبعدها ؛ المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق زيادة ، ج١ — القسم الأول ، ص٥٥ وبعدها ،

ونصابر الضدين : المنافق [أى أعوان الفواطم] والكافر [أى الجنوية واللاتين] حتى أتى الله بأمره، وأيدنا بنصره، وخابت المطامع من المصرين [أعـــوان الفواطم] ومن الفرنج ومن ملك الروم ومن الجنويين وأجناس الروم ؛ لأن أنفارهم تنافرت، وأنصاراهم تناصرت، وأناجيـل طواغيتهم رفعت، وصلب صلبوتهم أخرجت، (١) ولا شك أن إشارة صلاح الدين صراحة إلى دور الجنوية لدليل قاطع على صحة ما ذكرناه آنفا.

وبعد فشل هاتين المؤامرتين، وبما عرف عن الجنوية من مكر ودهاء وفطنة وذكاء، وبعد أن وجدوا ألا مناص من زعزعة حكم صلاح الدين، سارعوا إلى كسب وده ملوحين بإمكانية قيامهم بمساعدته فى تكوين الجيش والأسطول، ضاربين عرض الحائط بمصالح اللاتين. وبدأوا يحضرون لصــلاح الدين مايحتاجه من سلاح وعتاد وأخشاب ومعادن وقار وقطران وغيرها مما يستخدم فى تجهيز الجيوش وإعدادها وبناء الأساطيل، واضعين نصب أعينهم مصالحهم الخاصة أولا وقبل كل شىء. يؤيد ذلك ماجاء فى نفس التذكرة التى أرسلها صلاح الدين إلى الخليفة العباسى حيث قال : ...... ومن هؤلاء الجنويين الذين يسيرون الجيوش البنادقة البياشنة [أى البيازنة] - الجنوية كل هؤلاء تارة لا تطاق ضراوة ضرهم، ولا تطفأ شرارة شرهم، وتارة يجهزون سفارا يحتكمون على الإسلام فى الأموال المجلوبة، وتقتصر عنهم يد الأحكام المرهوبة . وما منهم الآن إلا من يجلب إلى بلدنا آلة قتاله وجهاده، ويتقرب إلينا بإهداء طرائف أعماله وبلاده، وكلهم قد قررت معه المواصفة، وانتظمت معه المسالمة ؛ على ما نريد ويكرهون،

(١) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ١٣، ص٨٥ . ولمزيد من تفصيلات المؤامرات التى حاكها أعوان الفواطم فى مصر بالتعاون مع الجنوية واللاتين والروم، للاطاحة بصلاح الدين واعادة حكم الفواطم، انظر كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى (١١٧١-١٢٩١م/٥٦٧-٦٩٠هـ)، ص١٣٤-١٤٢ والحواشى.

وتؤثر ولا يؤثرون »(١) .

وهكذا يمكن القول بأن الدور الذى قام به الجنوية فى الصـــراع الصليبي الفاطمى ، والذى على أساسه استخلصنا حقائق العلاقات الجنويه الفاطمية منذ قيام الحملة الصليبية الأولى وحتى نهاية الحكم الفاطمى فى مصر والشام ، كان له أكبر الأثر على مسرح الأحداث فى منطقة الشرق الأدنى الإسلامى . وقد ترك بصماته على المنطقة حتى إجلاء آخر دخيل صليبي من الشرق بسقوط عكا على يد الأشرف خليل بين قلاون (١٨ مايو ١٢٩١ م / جمادى الأولى ٦٩٠ هـ)(٢) . وعلى امتداد حكم الفواطم بمصر والشام ، وخلال الفترة موضوع البحث (١٠٩٥ - ١١٧١ م / ٤٨٨ - ٥٦٧ هـ) ، اتبع الجنوية فى علاقاتهم مع كل من الفواطم واللاتين سياسة ذات وجهين ، كلها مكر وختال بهدف الحفاظ على مصـــالحهم ممسكين بالعصا من المنتصف ، ونجحوا إلى حد كبير فى سياستهم تلك . ورغم ما قاموا به من دور فعال فى تحطيم النفوذ الفاطمى ، بل وفى إنهـــائه من الشام ، ورغم المذابح التى كانت لهم اليد الطولى فيها ، فقد استطاعوا أن يكسبوا ود الفواطم حتى انتهاء دولتهم . والعجيب أنهم رغم اشتراكهم فى مؤامرات الإطاحة بحكم صلاح الدين استطاعوا كسب وده ، وأجبروه على التعامل معهم تجاريا حفاظا على مصالح الطرفين الجنوى والأيوبى . وكما كان الحال بالنسبة للعلاقات

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج١٣ ، ص٨٨ وللاستزاده عن دور الجنويه عامة آنذاك انظر : عمر كمال توفيق : الجاليات الأوروبيه فى الاسكندرية ، ص٢٨١ -٢٨٢ ، ٢٨٦ - ٢٨٧ ؛ جوزيف نسيم : علاقة مصر بالممالك الايطالية ، ص٨١-٨٦ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم ، ج٨ ، ص٦ . وللاستزاده عن سقوط عكا آخر المعاقل اللاتينيه بالشرق . انظر : نفس المصدر والجزء ، ص ٥-١٠ .

الجنوية الفاطمية ، فقد استمرت العلاقات الجنوية الأيوبية المملوكية قـــوية تجاريا . وهكذا ظلت علاقات الجنوية بالشرق الأدنى بصفة عامة ومصر والشام بصفة خاصة فى عصر الحروب الصليبية - بل وعلى امتداد التاريخ الوسيط - قائمة حتى أثناء فترات الخصام والعداء . وهذه قضية أخرى تناولناهـا بالتفصيل فى بحث آخر (١) .

---

(١) انظر كتابى : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى ، (١١٧١ - ١٢٩١م / ٥٦٧-٦٩٠هـ) ، ٢ ، أضواء جديدة على الحركة الصليبية ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨١م .

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنَّ هذه تذكرةٌ ، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً »

« الإنسان : ٢٩ »

الخاتمة

- أهم النتائج التى أمكن التوصل إليها .
- أهم المشاكل والقضايا التى تم بحثها .
- استمرار العلاقات الاقتصادية بين جنـــوة والشرق الأدنى الإسلامى بعد سقوط الدولة الفاطمية .

الحمد لله فاتحة كل خير، وتمام كل فضل، وبعد.

أوضحنا فى الفصول السابقة كيف أن تاريخ مدينة جنوة السياسى والاقتصادى قد اندمج وارتبط بقوة بتاريخ الفواطم فى مصر والشام من ناحية، كما ارتبط بتاريخ الحركة الصليبية قبيل وبعد مؤتمر كلير مونت د ١٠٩٥م من ناحية أخرى. ومع نهاية القرن الحادى عشر وبداية القرن الثانى عشر الميلاديين (أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس من الهجرة)، أضحت جنوة قوة عسكرية اقتصادية، وسلاحا صليبيا فتاكا، استخدمه اللاتين بذكاء لتحقيق أهدافهم التوسعية الاستيطانية الاستعمارية فى الشرق الأدنى الإسلامى على امتداد الزحف الصليبى، منذ بدايته وحتى نهايته. وهكذا أصبح الجنوية قوة يحسب المسلمون واللاتين حسابها. ونجحت فى تحقيق أهدافها الخاصة من وراء الإسهام فى الصراع الصليبى الإسلامى الفاطمى، بفضل سياستها ذات الوجهين التى قامت على أساس الفتك بكافة القوى التى تعترض طريقها، بغض النظر عن جنسيتها أو عقيدتها حتى ولو كانت قوى مسيحية كاثوليكية مثلها، طالما أن ذلك يحقق أهدافها، ويكفل الأمان لجاليتها، ووجودها التجارى بالشرق.

ومن دراستنا السابقة، يتضح أن تاريخ العلاقات الجنوية الفاطمية يعد إحدى أهم مراحل الصراع المرير بين الشرق الإسلامى والغرب اللاتينى إبان الحقبة الوسيطة من تاريخ العصور الوسطى، تلك الحقبة التى كانت لها سماتها ومقوماتها الخاصة بها. ولا ريب أن الباحث المدقق فى تاريخ العلاقات بين جنوة والفواطم، يجد أنها ترجع إلى ما قبل الغزوة التى قام بها اللاتين ضد الشرق الأدنى فيما عرف باسم الحملة الصليبية الأولى بعشرات السنين. وكانت تلك العلاقات تتأرجح ما بين العداء تارة والوئام تارة أخرى. ولكن يبدو أنها كانت فى أول

أمرها علاقات عدائية ، حيث هاجم الأسطول الفاطمى مدينة جنوة وسواحلها مراراً ودمرها عدة مرات ، وذلك إبان وجود الفواطم بالمغرب قبيل انتقالهم إلى مصر (١) . والعجيب أن تلك الهجمات كانت من بين العوامل التى أدت إلى نهضة جنوة العسكرية السياسية والاقتصادية . وبعدها تحولت جنوة من الدفاع إلى الهجوم ،وأخذت سفنها تشق عباب مياه البحر الأبيض المتوسط بحد السيف؛ من أجل الثروة والثأر من الفواطم والمسلمين عامة ،واضعة نصب أعينها الحصول على المال والسيطرة على المراكز التجارية والتفوق على البنادقة والبيازنة أخطر منافسيها .

ومهما يكن من أمر ، فلا جدال أن الحركة الصليبية عند قيامها قد وجدت فى الجنوية الأرض البكر التى استغلتها أيما استغلال ، تحقيقا للأهداف الصليبية ، خاصة وأن الجنوية قد أثبتوا ما لا يدع مجالا للشك أنهم كانوا صليبيين عتاة بل وأشد صليبية من الصليبيين أنفسهم ؛ وإن كان اتجاههم الصليبي ذا طابع خاص يتفق وروحهم التجارية . وسبق أن قطعوا شوطا كبيراً فى مضمار الدعوة للحركة الصليبية ، وإذكاء نيران الصراع اللاتينى الإسلامى فى الشام وفى شمال أفريقية قبيل الحملة الصليبية الأولى . والحقيقة أن تاريخ العلاقات الجنوية الفاطمية ، لا يمكن بأى حال من الأحوال فصله عن تاريخ الصراع الصليبي الإسلامى فلقد كان للوجود الجنوى منذ بداية الحملة الصليبية الأولى وعلى امتداد زحفها أكبر الأثر فى نجاح اللاتين . لذلك نلحظ تشابك مصالح هذه الأطراف الثلاثة ،

---

(١) انظر : ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٤ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، ص ١٠٨ ؛ الذهبى : دول الاسلام ، جـ١ ، ص١٩٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم ، جـ٣ ، ص ٢٤٩ ؛ ابن الاثير : الكامل ، جـ٨ ، ص١١٨ ؛ ابن الخطيب : أعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، القسم الثالث ، ص٥٣ .

وتداخلها بقوة لدرجة يصعب علينا معها أن نتصدى لتاريخ العلاقات بين جنوة والدولة الفاطميه بدون أن نربط بين هذه الأطراف الثلاثة : اللاتينيه والجنوية الفاطمية . وبمعنى آخر لا يمكن الفصل بين تاريخ الصراع الصليبي الإسلامي وبين الصراع الصليبي الفاطمي فى بداية الحركة ، هـذا الصراع الذى أعاننا على استخلاص واستقراء تاريخ العلاقات بين جنوة والفواطم إبان الفترة موضوع البحث .

وقد تبين أن العلاقات بين أهالى مدينة جنوة والفواطم من ناحية ، وبينهم وبين اللاتين من ناحية أخرى لم يكن يسودها الوئام على طول الخط. بل كنا نرى الجنوية تارة يتحدون مع اللاتين ضد الفواطم ، وتارة يقفون على الحياد ولا يؤازرون اللاتين ضد خصومهم الفاطميين ، وفى أحيان أخرى يقفون صراحة مع المسلمين ضد الصليبيين ضاربين بالهدف الصليبي عرض الحائط ، طالما تعارض ذلك مع خططهم ومشاريعهم ومصالحهم الاقتصادية . وهكذا ، وكما سبق ذكره اتبعت جنوة سياسة الرياء والنفاق فى معاملاتها التجارية والسياسية مع كل من الفواطم واللاتين حسبما كانت تقتضيه الظروف وطالما كان هناك صالح لها، حتى أننا كنا نلحظ أحيانا قوة علاقات جنوة بالفواطم ، بالرغم من مواقفها العدائية ضدهم .

ولقد واجهتنا أثناء البحث بعض المشاكل والقضايا الهامة التى تمس الصراع الصليبي الإسلامى ، وبالتالى تمس العلاقات الجنوية الفاطمية مسا مباشراً ، لما لها من تأثير على مسار الأحداث ومجريات الأمور . وتوصلنا بمشيئة الرحمن إلى عدة استنتاجات ، استطعنا بها أن نسد الفجوات وأن نجد إجابات واضحة محددة لعديد من التساؤلات. ومن أهم هذه القضايا التى تصدينا لها تطور ونشأة جنوة ونهضتها سياسيا واقتصادياً ، ومدى ارتباط تقدمها بعلاقاتها مع الفواطم ، سواء

سلما أو حربا قبيل وبعد الحرب الصليبية الأولى ، تلك الحرب التى كانت حجر الزاوية فى صرح بناء جنوة الاقتصادى وزعامتها التجـــارية . كذلك ناقشنا الأسباب الاقتصادية والنفسية التى حدت بالجنوية للإسهام فى الحملة الصليبية الأولى، لفتح الطريق أمام تجارهم ، وتأمين وجودهم بالشرق الأدنى من ناحية ، ومن ناحية أخرى الثأر من المسلمين لما كان قد أصابهم منهم من قبل . أضف إلى ذلك تطلعهم إلى التربع على عرش السيادة على التجارة العالمية . كما أثبتنا بفضل الله ، قوة الدور الذى قام به الجنوية فى الحملة الصليبية الأولى وأثره فى كفالة النجاح للفرنجة ، ودحر القوى السلجوقية والفاطمية ، وتأمين الوجود اللاتينى بالمنطقـــة .

كذلك توصلنا إلى فكرة أخـــرى ، وأعنى بها فكرة التحالف بين أهالى مدينة جنوة وملك بيت المقدس اللاتينى بلدوين الأول لغزو مصر نظير حصولهم على ثلث البلاد . وقد يكون المؤرخ الجنوى المعاصر « كفارو » يعنى مـــدينة الاسكندرية وثلث دخلها . والجدير بالذكر أن اتفاقية عام ١١٠٥م / ٤٩٨ — ٤٩٩ هـ التى جاءت تلك الإشارة ضمن شروطها على لسان « كفارو » ، والتى على أساسها قلنا بفكرة التحالف تلك ، لم ترد فى أى مصدر لاتينى آخر . ولعل ذلك يرجع إلى أحد أمرين : أولهما احتمال حرص بلدوين والجنوية على سرية الاتفاق ، منعا من تسربه للفواطم ، وبالتالى فشل الغزوة من ناحية ، وفقدانهم مراكزهم التجارية والإســـاءة إلى جالياتهم بالاسكندرية من ناحية أخرى . وثانيهما احتمال أن المؤرخين اللاتين قد أهملوا الإشارة إلى الاتفاق عن عمد ؛ كيلا يظهر الجنوية فى صورة السند القوى الوحيد للفرنجة ، خاصة وأن كثيراً من اللاتين وعلى رأسهم بطريرق بيت المقدس كانوا يكرهون الجنوية لدورهم القوى فى تنصيب بلدوين ملكا على مملكة بيت المقدس رغما عن أنف البطريرق .

كما ناقشنا مختلف الآراء التى ثارت حول دور المقاتلين الجنوية وأسطولهم فى الصراع الصليبى الفاطمى، منذ بداية الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط مدينة صيدا الفاطمية عام ١١١٠م (٥٠٤ هـ)، ومدى نجاح سياسة الجنوية الازدواجية فى علاقاتهم مع اللاتين من جانب، والفواطم من جانب آخر. ووصلنا إلى أن نجاح الجنوية فى سياستهم هذه، وتسامح الأفضل الفاطمى معهم قد أودت بحياته؛ أضف إلى ذلك محاولاته للتحالف مع السلاجقة ضد اللاتين وحلفائهم الجنوية والإيطاليين فيما بعد. وخلصنا إلى أن الأفضل الفاطمى فى سياسته تلك كان يصبو إلى كسب الوقت للحصول على المال المتحصل من الرسوم الناتجة من معاملات الجنوية التجارية معه من ناحية، وشراء الأسلحة والأخشاب والحديد الوارد بواسطتهم، تمهيداً لإعداد الجيش والأسطول اللازمين لطرد اللاتين، واستعادة نفوذ الفواطم الضائع بالشام من ناحية ثانية. هذا بالإضافة إلى مسائل أخرى عديدة قمنا بمناقشتها فى ثنايا البحث عند عرضنا لتفاصيل الوقائع والأحداث. ولا ريب أن ذلك لم يتم إلا بفضل من الله ونعمة منه.

وأخيراً وليس بآخر، هناك ثمة نتيجة أخرى وصلنا إليها، وهى إننا إذا نظرنا إلى مدى ما حققته الجاليات الجنوية والسلطات الفاطمية من نتائج، من خلال علاقاتهم إبان الفترة موضوع البحث. يمكن الجزم بقوة العلاقات الاقتصادية بين الطرفين على امتداد عصر الفواطم فى مصر والشام، وحتى أثناء فترات العداء والصراع السياسى بين الجنوية واللاتين من ناحية، وبين الفواطم من ناحية أخرى. وظلت تلك العلاقات وطيدة حتى سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية سنة ١١٧١ م / ٥٦٧ هـ. وكان الجنوية يمارسون أوجه النشاط التجارى المختلفة فى مصر الفاطمية، واستفادوا من حسن نوايا الفاطميين تجاههم وتجاه التجار المسيحيين بصفة عامة. وأيدنا هذا الرأى بالدور الخطير

الذى قام به الجنوية فى مؤامرات الفواطم ضد صلاح الدين الأيوبى ، لإسقاطه وإعادة حكمهم إلى مصر ؛ لاتفاق حكمهم الضعيف والمصالح الجنوية ، ولخوفهم من سياسة صلاح الدين الوحدوية ضد اللاتين وجهوده لتوحيد القوى الإسلامية بمصر والشام ، تلك السياسة التى وجد الجنوية فيها خطرا محققاً على اللاتين عموما وبالتالى عليهم هم أنفسهم ، مما يؤكد أن وجودهم كان مستمدا من الوجود اللاتينى ذاته ، أو بمعنى آخر أكثر وضوحا أن وجود كليهما كان متمما الآخر ، وإنه لم يكن لأى منهما غنى عن حليفه . ولعل ذلك الشعور يمثل إلقاء الجنوية بدلوهم إلى آخر الشوط إلى جانب اللاتين منذ بداية الحملة حتى إقامة الممالك اللاتينية بالشرق من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى يؤكد ما وصلنـــا إليه من القول بصعوبة - بل استحالة - الفصل بين الوجود اللاتينى والجنوى بالشام ، وبالتالى صعوبة الفصل بين الصراع والعلاقات الصليبية الفـــاطمية من جانب ، وبين العلاقات الجنوية الفاطمية من جانب آخر . ومن هنا كان تشابك العلاقات بين الأطراف الثلاثة كما أسلفنا .

ومهما يكن من أمر ، فقد ظلت علاقات الجنوية الاقتصادية بالفواطم قائمة . وبحسن سياستهم ، وبما عرف عنهم من « دهاء وفطنة » ، ورغم اشتراكهم فى التآمر ضد صلاح الدين الأيوبى ، فقد استطاعوا كسب ثقته . وظلوا يتعاملون مع مصر الأيوبية تجارياً كما كان وضعهم مع مصر الفاطمية من قبل والمماليك من بعد . ولعل صلاح الدين قد عاملهم بنفس طريقتهم الماكرة ، وهادنهم حرصاً على مصالحه الخاصة لحاجته إلى ما كانوا يجلبونه من رقيق وأخشـــاب وحديد وأشياء ضرورية لإعداد الجيش والأسطول اللازمين لطرد اللاتين ، يؤيد ذلك ماجاء من إشارات فى رســـالته إلى الخليفة المستضىء العباسى (١) . وقد ظلت

(١) انظر ما سبق . الفصل الخامس ، ص٢٧٤-٢٧٨ والحواشى .

العلاقات السياسية والاقتصادية بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى قائمة على امتداد سنوات الصراع الصليبي الإسلامى منذ بداية الحملة الصليبية الأولى فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى حتى طرد آخر جندى صليبي من عكا فى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى (١) . وأخيراً ، فليكن قول الحق جل وعلا خير ختام لبحثنا هذا : « رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، وَاعْفُ عَنَّا ، وَاغْفِرْ لَنَا ، وَارْحَمْنَا ، أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ » (٢) .

---

(١) انظر تفصيلات تلك العلاقات فى كتابى (العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١ - ١٢٩٠م/٥٦٧-٦٩٠هـ) ، ٢ ، أضواء جديدة على الحركة الصليبية،الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٨٠م .

(٢) البقرة : ٢٨٦ .

الملاحق

١ - دعوة أوربان الثاني الجنوية للإسهام فى الحملة الصليبية الأولى ، وموقفهم من الدعوة .

نقلا عن المؤرخ الجنوى المعاصر « كفارو الكاسكيفلونى » فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية جـ ٥ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

٢ - استيلاء الجنوية واللاتين على بيت المقدس ، وموقف الفواطم منهم .

نقلا عن المؤرخ الجنوى المعاصر « كفارو الكاسكيفلونى » فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية جـ ٥ ، ص ٥٦ - ٥٧ .

٣ - موقعة عسقلان ، ودور الجنوية فيها .

نقلا عن المؤرخ الجنوى المعاصر « كفارو الكاسكيفلونى » فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية جـ ٥ ، ص ٥٧ - ٥٨ .

٤ - استيلاء الجنوية واللاتين على طرابلس ، وموقف الفواطم منهم .

انظر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان .

جـ ١٢ (القسم الثالث عشر) لوحة ٢٦٢ أ ب .

٥ - استيلاء الجنوية واللاتين على بيروت ، وموقف الفواطم منهم .

انظر سبط بن الجوزى « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » .

جـ ١٢ (القسم الثالث عشر) لوحة ٢٦٤ ب .

رأينا تذييل البحث بعدد من الملاحق الهامة التى ترتبط بالموضوع ارتباطاً مباشراً، ولها أهميتها فى إلقاء الضوء على بعض قضاياه ومشاكله . والملاحق الثلاثة الأول تتضمن نصوصاً مدونة أصلا باللغة اللاتينية ، وقد قمنا بنقلها إلى لغة الضاد مراعين الدقة فى الترجمة مع وضوح المعنى . وتوجد نصوص تلك الملاحق فى كتاب « تحرير مدن الشرق » للمؤرخ الجنوى المعاصر « كفارو الكاسكيفلونى » ، والكتاب موجود فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية . ولتلك النصوص أهميتها ، خاصة وأن « كفارو » قد أمدنا بعديد من المعلومات والوقائع التى لم ترد فى أى مصدر لاتينى آخر ، أضف إلى ذلك أنه كان من شهود العيان المعاصرين للأحداث . والملحق الأول يتناول الأحداث التى صاحبت قدوم مبعوثى أوربان الثانى إلى مدينة جنوة لدعوتها إلى الإسهام فى الحملة الصليبية الاولى ، وما تلا ذلك من قيام الجنوية بحمل الصلبان وإبحارهم إلى الشرق للقتال فى صفوف اللاتين ضد المسلمين . ويمتاز النص بأهميته الخاصة لما تضمنه من معلومات تاريخية قيمة ، أغفلتها المصادر اللاتينية القديمة والمعاصرة للفترة موضوع البحث أو المتأخرة عنها زمنياً . فالنص يوضح بجلاء لا لبس فيه سرعة استجابة الجنوية لنداء البابا أوربان الثانى ودعوته إياهم للإسهام فى الحملة اللاتينية . كما يؤكد أهمية دور « الجنوية جند المسيح وأعداء الإسلام » - على حد قول المؤرخين الغربيين - فى الحملة منذ البداية ، وأثر ذلك الدور فى ترك بصماته بوضوح على العلاقات اللاتينية الإسلامية بصفة عامة وعلى العلاقات الجنوية الفاطمية فى الفترة موضوع البحث (١٠٩٥-١١٧١م/٤٨٨-٥٦٧هـ) بصفة خاصة . أضف إلى ذلك أن النص قد تضمن ثبتا فريدا فى نوعه بأسماء بعض القادة والزعماء الجنوية الذين ساهموا فى الحملة الصليبية وحملوا لواء الدعوة لها

منذ البداية . مما يؤكد حقيقة القول بأن المستار قد أزيح عن الحملة الصليبية الأولى فى ميناء جنوه .

أما الملحق الثانى ، فهو عبارة عن نص تناول دور مدينة جنوة فى الاستيلاء على مدينة بيت المقدس والآثار المترتبة على ذلك الدور كتحطيم الحامية الفاطمية بالمدينة ، وإسهام الجنوية فى المذبحة التى راح ضحيتها سكان المدينة . كما تناول النص موضوع السفارة اللاتينية إلى الأفضل الفاطمى ، والتى كانت برئاسة يوحنا الخادم أحد كبار رجال الدين الجنوية . ومن خلال قراءة سطور النص أمكننا أن نستشف الدور الذى قام به الجنوية فى التمويه على الأفضل الفاطمى ، وإخفاء حقيقة أهداف اللاتين من الحملة ، مما كان له أكبر الأثر فى نجاح الزحف الصليبى ، وسقوط بيت المقدس (يوليو ١٠٩٩ / شعبان ٤٩٢هـ) . ويكشف النص من ناحيه أخرى عن دور الجنوية بقيادة القائد الجنوى «هيو إمبريا كو» وشقيقه «بريموس» فى إقامة «الآلات» (الأبراج) وغيرها من معدات القتال؛ التى لولاها ما نجح اللاتين فى احتلال المدينة المقدسة ، وبالتالى ما نجحوا فى إقامة مراكز استيطان لهم فى الشرق .

أما الملحق الثالث ، فهو عبارة عن نص ، له أهميته ، خاصة وإنه النص اللاتينى الوحيد الذى أشار صراحة إلى دور الجنوية وقادتهم فى إلحاق الهزيمة بجيش الأفضل الفاطمى فى عسقلان (أغسطس ١٠٩٩ / رمضان ٤٩٢هـ) ، مما كان له أثره فى عدم خروج الأفضل بنفسه مرة ثانية فى حرب ضد الفرنج ألبته من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان لذلك الدور أهميته فى تثبيت دعائم الوجود اللاتينى بالمنطقة ، وإقامة المملكة اللاتينيه بالشرق . أضف إلى ذلك أن النص فيه إشارات صريحة لحصول القادة والجند الجنوية على آلاف الدنانير والدراهم

الذهبية والفضية وغيرها من الغنائم والأسلاب التي غنموها وسلبوها من الفواطم في معركتي بيت المقدس وعسقلان ، كمقابل لما قدموه من مساعدات للصليبيين. مما يؤكد أهمية العامل الاقتصادى الذى دفع الجنوية للإسهام فى تلك الحملة .

أما الملحقان الرابع والخامس ، فهما نقلا عن مخطوطة « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » للمؤرخ سبط بن الجوزى ، فالملحق الرابع يتضمن نصاً يعالج قصة استيلاء الجنوية واللاتين على مدينة طرابلس عام (١١٠٩م / ٥٠٢هـ) والنتائج التى ترتبت على ذلك من ناحية ، وموقف الفواطم من تلك الأحداث من ناحية أخرى . والنص له أهميته حيث يلقى الضوء على فترة غامضة فى فى تاريخ العلاقات الجنوية الفاطمية إبان الفترة موضوع البحث . أضف إلى ذلك أنه يوضح خطورة الدور الذى قام به الأسطول والقادة الجنوية فى الصراع اللاتينى الفاطمى ، وأثر ذلك فى القضاء على النفوذ الفاطمى فى الشام ، وإقامة الإمارات اللاتينية بالشرق .

أما الملحق الخامس والأخير ، فهو يشير أيضاً إلى دور الجنوية فى احتلال مدينة بيروت (١١١٠م / ٥٠٣هـ) وإسهامهم فى المذبحة التى دارت رحاها هناك ، وراح ضحيتها أفراد حامية المدينة الفاطمية وآلاف من السكان الآمنين ، كما يشير النص إلى رد الفعل لدى الفواطم وجهودهم الرامية إلى مواجهة الخطر الجنوى اللاتينى المشترك ، ونتائج ذلك .

الملحق الأول

دعوة أوربان الثانى للجنوية للإسهام فى الحملة الصليبية الأولى وموقفهم من الدعوة

نقلا عن المؤرخ الجنوى المعاصر «كفارو الكاسكيفلونى» فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (١)

النص الأصلى باللغة اللاتينية

Ante enim quam praedicti principes de partibus illis in quibus crucem et apostolicam benedictionem susceperant recessissent, apostolicus duos episcopos, scilicet Gratianopolitanum Aurisiacensem, prece eorum, Januam misit. Episcopi namque Januam sine mora venerunt, in ecclesia Beati Siri populum Januensem insimul primitus venire fecerunt, ibique apostolicam Legationem de servitio Dei et Sancti Sepulcri, sicuti apostolicus praeceperat, in remissione omnium peccatorum narraverunt, ita quidem ut ad deliberandam viam Sepulcri Domini cum galeis ad Orientales partes irent, et in societate praedictorum principum viriliter starent et pugnarent; unde aeternae vitae praemium praedicti episcopi habere affirmant. Sermone enim peracto et apostolica legatione audita, multi de melioribus Januensibus illa die crucem susceperunt, scilicet isti: Anselmus Rascherius, Obertus, Lamberti de Marino filius, Obertus Bassus

(١) انظر: Cafari, R.H.C.- H.Occ., V, III, p. 49f.

ولمزيد من التفاصيل عن «كفارو» وكتاباته انظر ما سبق: المقدمة التحليلية لمصادر ومراجع البحث. ص ٢٠ وحاشية (١) ٢١ — ٢٢.

de Insula, Ingo Flaonus, Dodo de Advocato, Lanfrancus Roca, Pascalis Noscentius Astor, Guillermus de Bono Seniore, Opizo Mussus, et reliqui plures, qui tanti fuerunt quod duodecim galeas et sandanum unum de fortissimis bellatoribus viris armaverunt, et mense julii versus Orientales partes iter inceperunt. Paucis enim diebus transactis, flumen Solini venerunt et intraverunt, qui vocatur Portus Sancti Symeonis.

الترجمة العربية للنص

والآن ، وقبل أن يغادر الأمراء (١) السابق ذكرهم مكانهم حيث تسلموا الصليب والبركة الرسولية (٢) ، أرسل رئيس الأساقفة إلى مدينة جنوة أسقفين: أسقف جراتسيا نوبولى ، وأسقف أريسيا انشنسى ، ليكونان (٣) فى خدمة هؤلاء الأمراء . ولقد وصل الأسقفان إلى مدينة جنوة بلا تأخير ، وهناك جمعا كل السكان الجنويين فى كنيسة القديس سيرو ، وصرحا للشعب [الجنوى] بأنهما مرسلان إليهم كخدام لشعب الله (٤) ، ولخدمة قبر المسيح [عليه السلام] ، وذلك لغفران الخطايا . ومن هنا بدأ الذهاب إلى أرض الشرق بواسطة السفن [الجنوية] لتحرير الطريق المؤدى إلى قبر السيد المسيح [عليه السلام] . ثم

---

(١) المقصود كبار القادة والزعماء اللاتين الذين لبوا نداء البابا أوربان الثانى فى كلير مونت ، وحملوا الصليبان استعدادا للزحف . انظر :

Cafari, II, p. 48 f.

(٢) يقصد بركة ودعاء البابا أوربان الثانى .

(٣) المقصود « ليكون الجنوية فى خدمة القادة اللاتين ويقاتلون فى صفوفهم » .

(٤) المقصود « العالم المسيحى » .

جما الأمراء السابقين وكذلك المحاربين ، وحث الأسقفان هؤلاء وشجعوهم الحصول على المكافأة الأبدية .

وفى ذلك اليوم ، وبعد انتهاء عظة الأسقفين ، ومعرفة الرأى الرسولى فى هذا الموضوع ، استطاعت أعداد غفيرة من سكان مدينة جنوة الحصول على الصليبان ، وبذلك انخرط الجنوية فى سلك المحاربين لتحرير قبر المسيح [عليه السلام] . ومن هؤلاء نذكر : أنسلدوريسكيريو ، وأوبرتوماريتو ، وأوبرتوباسو من الجزيرة وأيوجوفلافيو ، ودودو دى أوفوكاتو ، وسان فرانكوروزا ، وباسكوالى اينوتشنسو ، وأستور ، وجوليلمو دى بون سينورى ، وأوبيتسو موسو ، وآخرين كثيرين ، وكانوا من الكثرة بحيث أعدوا اثنتى عشرة سفينة حربية ، وسفينة شحن ، [شحنت] برجال أقوياء من رجال الحرب .

وفى شهر يوليو (١) أبحر الجميع متجهين نحو الجهات الشرقية (٢) ، وبعد مرور عدة أيام وصلوا إلى نهر سولينو ودخلوه ، وهو ما يعرف بميناء القديس سمعان (٣) .

---

(١) شهر يوليو من عام ١٠٩٧م . انظر:

Cafari, III, p. 50 & note i.

(٢) أى أبحروا فى طريقهم إلى الأراضى المقدسة فى الشام .

(٣) يقصد ميناء القديس سيمون (السويدية) ، وحيث كان اللاتين يحاصرون مدينة أنطاكية آنذاك .

الملحق الثـــانى

استيلاء الجنوية واللاتين على بيت المقدس

ومـوقف الفـواطم منهم

نقلا عن المؤرخ الجنوى المعاصر «كفارو الكاسكيفلونى» فى مجموعـة مؤرخى الحروب الصليبية (١)

النص الأصلى باللغة اللاتينية

Et inde ad principem Babiloniae, qui Levealmeradus vocabatur, Johannem camararium legatum miserunt, ut militibus Francorum viam securitatis et mercatum juxta maritimas civitates et locos usque ad Jerusalem daret et concederet. Princeps vero Babiloniae legatum Francorum honorifice suscepit, et dona magna tribuit, et insuper nuntium suum dedit, qui omnibus civitatibus et maritimis locis praecepit ut mercatum militibus Francorum darent. Postquam vero principes Francorum legationem principis Babiloniae tam honorabilem per legatum suum audierunt, statim ad Jerosolimitanum iter inceperunt. Cum autem ad Jerusalem venerunt, obsidendo civitatem, viriliter bellando steterunt, et omnes cisternas aquae, quae deforis erant, destructas invenerunt; quapropter quotidie a Jordanis flumine aquam deferebant. Et obsidendo civitatem per mensem unum, ecce Guillermus Januensis Embriacus, et Primus, frater ejus, cum duabus galeis Jopem venerunt, et pro timore Sarracenorum Scalonae, galeas ibi tenere non

---

(١) Cafari, *R*.H.C.—H.Occ., V,IX,p. 56f.

potuerunt. Ideoque galeas destruxerunt, et totum lignamen galearum quod necessarium erat ad machina capiendae civitatis, ad Jerusalem portare fecerunt. Christiani vero, de adventu Januensium multum laetantes, honorifice eos susceperunt, et in consilio eorum capiendae civitatis omnimodo steterunt. Januenses vero machina omniaque necessaria capiendae civitatis fecerunt, infra xl dies civitatem totam, praeter turrem David, ceperunt, et Sarracenos civitatis interfecerunt...Et hoc fuit mense julii, et tunc currebant anni Domini mille LXXXXVIIII.

الترجمة العربية للنص

بعد ذلك ، أرسل الصليبيون [الفرنجة] إلى « ليفليمرادوس » (١) أمير « بابلونيا » (٢) رسلا ، على رأسهم الرسول « يوحنا » حتى يهيء للجنود الفرنجة طريقا آمنا نحو المدن البحرية التجارية وما حولها حتى مدينة بيت المقدس .

وفى الحقيقة ، استقبل أمير « بابلونيـــا » السفارة الصليبية بكل الحفاوة والترحاب، وأهداها هدايا عظيمة ، وعلاوة على ذلك أخبرها بأنه أعطى أوامره إلى كافة المـــدن والنواحى المطلة على البحر حتى تمنح التسهيلات للجنود الصليبيين (٣) . ولقد علم القادة الصليبيون ذلك عما قاله الرسل الذين قدموا من

---

(١) المقصود هنا (الأفضل شاهنشاه وزير المستعلي الفاطمي) . انظر :
Cafari, IX, note Cp. 56.

(٢) يعني بذلك « أميره أو » وزير مصر ».

(٣) تؤكد تلك الرواية ماوصلنا إليه بخصوص وجــود اتفاق مسبق بين الأفضل والصليبيين ؛ للقدوم إلى الشرق والقضاء على السلاجقة السنيين ، فى هذا الصدد وللمزيد انظر كتابي : العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الاسلامي (١١٧١-١٢٩١م/ ٥٦٧-٦٩٠هـ) ص ٨٦-٩٦ .

قبل أمير « بابلونيا » الذى أحسن استقبالهم وأكرم وفادتهم . وفى الحال بدأ [الصليبيون] الزحف تجاه بيت المقدس . وبمجرد وصولهم حاصروها حيث بدأت معركة كبيرة مدمرة وعنيفة ، ووجد الصليبيون أن خزانات المياه الموجودة خارج المدينة قد دمرت ، لذلك كانوا يذهبون يومياً إلى نهر الأردن كى يتزودوا بالمياه .

ولقد ظل الصليبيون محاصرين المدينة مدة شهر ، وفى نفس الوقت وصل وليام إمبرياكو الجنوى ، وشقيقه بريموس على ظهر سفينتين إلى ميناء يافا ، وخوفا من المسلمين المقيمين فى عسقلان لم يستطيعا الاحتفاظ بالسفينتين ، فحطماها (١) ، وحملا أخشابها إلى بيت المقدس ليصنعا منها آلة (٢) ؛ كى يدخلوا بها المدينة ، وحينئذ اجتمع اللاتين ، وبحثوا فى كيفية إحتلال المدينة بأية وسيلة .

[مهما يكن من أمر] ، صنع الجنويون الآلات ، وكل الأشياء المطلوبة لاحتلال المدينة ، وعندئذ بدأوا (٣) فى الدخول إلى المدينة واحتلوها بالفعل خلال أحد عشر يوما ، ولم يبق بأيدى المسلمين من المدينة سوى قلعة (داود) . وبدخول الجنوية [المدينة] قتلوا أعدادا غفيرة من المسلمين الذين كانوا يدافعون عنها ... تم هذا فى خلال شهر يوليو عام ١٠٩٩م (٥) .

---

(١) المعروف أن الأسطول الفاطمى هاجم السفن الجنوية آنذاك ودمرها . فى ذلك الشأن ، ولمزيد من التفاصيل انظر ماسبق : ص١٧٠ وحاشية رقم ٢ .

(٢) يقصد « ليصنعا منها برجا أو أبراجا متحركة لمهاجمة المدينة بها » .

(٣) المقصود «الجنويه» بقيادة «إمبرياكو» واللاتين بقيادة « جودفرى دى بويون» انظر ماسبق ص١٧٢ ومابعدها .

(٤) المعروف أن «افتخار الدولة » حاكم المدينة الفاطمى كان هو وبعض جنوده قد احتموا بالقلعة ، واستمهلوا ، نظير الأمان ، وسمح لهم بمغادرة المدينة فى أمان إلى عسقلان . انظر ماسبق ، ص١٧٨ .

(٥) يوم الجمعة ١٥ يوليو ١٠٩٩/٢٣ شعبان ٤٩٢ هـ .

الملحق الثالث

موقعة عسقلان ودور الجنوية فيها

نقلا عن المؤرخ الجنوى المعاصر « كفارو الكاسكيفلونى »

فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية (١)

النص الأصلى باللغة اللاتينية

Princeps Babiloniae cum magno exercitu militum et peditum, manu armata in planitias Ramulae venit. Christiani vero, qui Jerusalem erant, insimul convenerunt, et regnum Jerusalem in tutela et custodia ducis Gotofrei dederunt, et dominum regni et omnium illarum partium illum posuerunt, et cum praedicto domino in planities Ramulae ad bellum contra Sarracenos sine mora perrexerunt. Bello vero incepto, Saraceni quidem terga volventes campum dimiserunt; christiani autem eos sequentes et interficiendo campum tenuerunt, et omnia quae Sarraceni in campo dimiserant, tentoria et caetera recolligerunt, et ad Jopem omnes simul convenerunt; et Gotofreum, quem dominum regni posuerant, ibi dimiserant. Caeteri autem mare transire cupientes, alii ad portum Laurliciae venerant, alii ad portum Sancti Simeonis perrexerunt, et naves adscendentes, mare transierunt..... Januenses vero, Guillermus Embriacus et Primus, frater ejus, scilicet qui galeas duas duxerant apud Jopem, et de lignamine earum machina fecerunt, de quibus civitas Jerusalem capta fuit (praedicti enim fratres multam et immensam pecuniam auri

---

(١) Cafari, R.H.C.—H.Occ., V,X, p. 57 f.

et argenti atque gemmarum de principe Babiloniae [ceperant], quando quidem ille ab exercitu Francorum superatus et campum dimisit); isti autem fratres cum tota pecunia quam ceperant, cum galea una quam emerunt, mare transierunt, et Januae in vigilia Nativitatis Domini venerunt, et litteras de captione Jerusalem et de succursu necessario a Jerosolimitana curia, videlicet a patriarcha Damberto et a Gotofreo, regni Jerusalem domino, detulerunt.

الترجمة العربية للنص

جاء أمير « بابلونيا » (١) مع جيش ضخم من الفرسان والمشاة بكامل أسلحتهم إلى سهل الرملة ، وفى الحقيقة كان الصليبيون قد اجتمعوا سوياً فى بيت المقدس وقرروا أن يتسلم الأمير جودفرى [دى بويون] المدينة وكل النواحى المحيطة بها . ولقب باسم أمير [حاكم] بيت المقدس ونواحيها ومع هذا السيد المذكور (٢) توجه الجميع إلى سهل الرملة لمحاربة المسلمين . وبعد أن بدأت المعركة خاف المسلمون من الصليبيين وهربوا ، تاركين معسكراتهم بكل ما فيها غنيمة لهم . هذا ، ومن جهة أخرى طاردهم الصليبيون وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، كما استولوا على المعسكر وكل ما به من مخلفات المسلمين الذين كانوا قد تركوها بداخله ، فجمعوا الخيام وكل شىء .

وعند بلدة « يافا » احتشد الصليبيون جميعهم بعد أن تركوا جود فرى سيدا

---

(١) أى الأفضل الفاطمى .

(٢) يقصد جود فرى دى بويون حاكم بيت المقدس .

لتلك النواحى (١) . أما الباقون بعد ذلك ، فقد أرادوا عبور البحر ، فنهم عدد وصل إلى ميناء اللاذقية ، وعدد آخر ذهب إلى ميناء القديس سيمون ، وبعد أن استقلوا السفن عبروا بها البحر [إلى أوربا] .... أما الجنويون - أمثال «وليام إمبرياكو» وشقيقه بريموس اللذان قادا السفينتين إلى «يافا» ، واللذان استطاعا صنع الآلة التى استطاعوا بها [هما ومن معهما من الجنوية] احتلال بيت المقدس ، هؤلاء قد حصلوا على كمية كبيرة من النقود الذهبية والفضية من تلك التى غنموها من أمير « بابلونيا » .

ومن ثم ، وبكل تلك الأموال التى غنموها غادر هؤلاء الأخوة (٢) أيضاً المعسكر [الصليبى] ، واستقلوا سفينة سبق أن استولوا عليها ، وبها عبروا البحر ؛ فوصلوا جنوة فى اليوم السابق لذكرى ميلاد المسيح [عليه السلام] . وهناك رووا كيفية الاستيلاء على مدينة بيت المقدس والمصاعب التى واجهوها من حامية المدينة ، وكيف أنهم سلموا المدينة إلى البطريق دايمبرت ، وجودفرى أمير بيت المقدس ونواحيها .

---

(١) المقصود أن أغلب القادة اللاتين قد اجتمعوا فى يافا وقرروا – بعد سقوط بيت المقدس والانتصار فى موقعة عسقلان – العودة إلى بلادهم بعد أن حققت الحملة الصليبية الأولى أهدافها .

(٢) يقصد «وليام إمبرياكو» وشقيقه «بريموس» وهى جلدتهما الجند الجنوية .

الملحق الرابع

استيلاء الجنوية واللاتين على طرابلس وموقف الفواطم منهم

من مخطوطة « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » لسبط بن الجوزى (١)

« وفى عام ٥٠٢هـ (٢) ، أخذت الفرنج طرابلس ، وقيل فى السنة الآتية اجتمع ملوكهم ريموند بن صنجيل (٣) . فى ستين مركب [جنوية] فى البحر مشحونة بالمقاتلة ، وطنكرى صاحب أنطاكية ، وبغدوين صاحب القدس ؛ وشرعوا فى قتالها ، وضايقوها منذ شعبان إلى حادى عشر ذى الحجة ، وأسندوا أبراجهم إلى السور ، فلما رأى من بها من العسكر وأهل البلد ذلك ، سقط فى أيديهم وأيقنوا بالهلاك مع تأخر أسطول مصر عنهم وكان كلما سار الأسطول نحوهم ردته الريح إلى مصر ، فلما كان يوم الاثنين هاجمها الفرنج ونهبوها وأسروا (٤) رجالها ، وسبوا نساءها وأخذوا أموالها وذخايرها ما لا يحصى ولا يحصر ، واقتسموها بينهم ، وساروا (٥) إلى جبلة وبها فخر الملك بن عمار فتسلموها بالأمان فى ثانى عشر ذى الحجة ، وخرج منها ابن عمار سالما ، ووصل حينئذ الأسطول المصرى ولم يخرج فيما تقدم من مصر مثله ، فوجدوا البلد قد أخذ فعادوا إلى مصر (٦) .

---

(١) نسخة (تصوير شمسى) رقم ٥٥١ب ، ونسخة أخرى ميكروفيلم رقم ١٠٨٦٢ — دار الكتب المصرية — القاهرة — جـ١٢ — القسم الثالث عشر .

(٢) تقابل سنة ١١٠٩م .

(٣) يقصد برترام بن صنجيل

(٤) لوحة ٢٦٢ أ .

(٥) أى الجنوية واللاتين بالأسطول فى البحر والجيش فى البر .

(٦) لوحة ٢٦٢ ب .

الملحق الخامس

استيـــلاء الجنوية واللاتين على بيروت

من مخطوطة « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » لسبط بن الجوزى (١)

« وفى عام ٥٠٣ هـ (٢) . خرج طنكرى من أنطاكية فأخذ طرسوس وقرر على شيزر عشرة آلاف دينار ، وتسلم حصن الأكراد وعاد إلى أنطاكية ، ونزل بغدوين صاحب القدس وابن صنجيل على بيروت ، وسار إليهم جوسلين صاحب تل باشر لمعاونتهم . ...

....

وجاء الأسطول المصرى وفيه الرجال والميرة ، فدخلوا بيروت ، فقويت نفوس أهلها . فبعث بغدوين إلى الجنوية فجاءوا فى أربعين مركبا ، فزحفوا على بيروت براً وبحراً فدخلوها قهراً بالسيف ، فقتلوا ، ونهبوا وسبوا ، وفعلوا كما فعلوا بطرابلس ، وانتصفوا الأموال والذخائر ثم رحل بغدوين فنزل على صيدا ، وراسل أهلها بتسليم البلد فاستمهلوه مدة عينوها فأجابهم ، وأخذ منهم مالا ، وعاد إلى القدس بسبب الحج (٣) .

---

(١) نسخة « تصوير شمسى » للمخطوطة تحت رقم ٥٥١ ب . ونسخة أخرى ميكروفيلم رقم ١٠٨٦٢ - دار الكتب المصرية - جـ١٢ - القسم الثالث عشر .

(٢) تقابل سنة ١١١٠ م .

(٣) لوحة ٢٦٤ ب .

قائمة المصادر والمراجع

- بيان بالمختصرات الوارد ذكرها فى الحواشى .
- المجموعات التى تتضمن المصادر الأصلية للحروب الصليبية .
- المصادر الأصلية الأوربية .
- المخطوطات والمصورات العربية والميكروفيلم .
- المصادر الأصلية العربية .
- المراجع الثانوية الأوربية .
- المراجع الثانوية العربية والمعربة .
- دوائر المعارف والمعاجم .

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها فى الحواشى

A. O. L. — Les Archives de L'Orient Latin.

Camb. Med. Hist. — The Cambridge Medieval History.

Columb. Encyc. — The Columbia Encyclopedia.

Diction. Encyc. — Dictionaire Encyclopedique.

Encic. Mot. — Enciclopedia Mota.

Grande Dizion. Encic.—Grande Dizionario Enciclopedico.

Encyc. Brit. — Encyclopaedia Britannica.

Encyc. Inter. — Encyclopaedia International.

E. I. — Encyclopaedia of Islam.

La Grande Encyc.—La Grande Encyclopedie.

A.H.R. — American Historical Review.

J.E.H. — Journal of Econimic History.

Quart. J. of Econimics— Quartely Journal of Economies.

Speculum J. of Med. Studies – Speculum :A Journal of Medieval Studies.

R.H.C. — Doc. Arm. — *Recueil des Historiens des Croisades, Documents Arméniens.*

R.H.C.—H.Occ. – Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Oocidenteux.

(أولا)

المجموعات التى تتضمن المصادر الأصلية للحروب الصليبية

Michaud, J., Bibliothéque des Croisades, 3 Vols., New York 1881.

The Crusades— The Greek and Eastern Churches, (The Religious Tract Society, Instituted 1799) London (N.D.).

Les Archives de L'Orient Latin, publié par la Société de L'Orient Latin, 2 Vols. Paris 1881 et 1884 (Textes Inventaires, et Etudés Originales).

Recueil des Historiens de Croisades, publié par les soins des L'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, in 16 huge folio Vols., Paris, 1841—1906 :

I. Historiens Occidentaux, 5 tomes, 1844—95;

II. Historiens Orientaux, (Arabes), 5tomes, 1875—1881;

III. Historiens Grecs, 2 tomes, 1875—81;

IV. Documents Arméniens, 2 tomes, 1869—1906;

V Lois, 2tomes, 1841—1843.

Revue de L'Orient Latin, Publiée sous la direction de M. M. Le Marquis de Vogué et Ch. Schefer. Paris, 1893—1911.

(ثانيـــاً)

المصادر الأصلية الاوروبية

Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana. Ed. R.H.C.H. Occ, IV, Paris, 1879.

Anna Comnena, The Alexiad, trans. by Elizabth A. S. Dawes, London, 1928.

Cafari De Caschifelone, Liberatione Civitatum Orientis Liber, R.H.C.H. Occ., V, pp. 47—73.

Downs, N., (Ed.), Basic Documents in Medieval History, New York, 1959.

Foucher de Chartres, Greta Francorum Iherusalem Peregrinantium (ab anno 1095 usque ad annum 1127). Ed.R.H.C.-H. Occ., III, pp. 311—485.

Gesta Francorum Et Aliorum Hierosolymitanorum. R.H.C.—H.Occ., II, pp. 121—163.

ولقد اعتمدنا على الترجمة العربية للمصدر وهو تحت اسم :

« أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس » - ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور حسن حبشى - القاهرة ١٩٥٨ .

Matthiew d'Edesse,

Extraits de La chronique. Ed. R.H.C.-Doc. Arm.; I, Paris, 1869, pp. 1-150.

Matthew of Westminister,

The Flowers of History, trans. from the original by C.D.Yonge, 2 Vols., London, 1853.

Raimond d'Agiles,

Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem, Ed. R.H.C-H.Occ., III, pp. 231—309.

Roger of Wendover,

Flowers of History, trans. from the Latin by Giles J.A., 2 Vols., London, 1849.

William Archbishop of Tyre,

A History of Deeds Done Beyond the Sea, trans. and Annot. by Emily Awater Babcock and A.C.Krey, 2 Vols., New York, 1943

(ثالثاً)

المخطوطات والمصورات العربية والميكروفيلم (١)

ابن أبي السرور (ت١٠٢٨هـ/١٦١٩م) محمد بن أبي السرور زين الدين البكري:

« النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية » دار الكتب المصرية - رقم ٢٢٦٦ تاريخ - ونسخة أخرى ميكروفيلم رقم ١٧١٨ .

ابن أيبك (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) أبو بكر بن عبد الله :

١ - « دور التيجان وغرر تواريخ الأزمان » - دار الكتب المصرية - رقم ٤٤٠٩ تاريخ .

٢ - « كنز الدرر وجامع الغرر » - ٩ جـ - دار الكتب المصرية - نسخة تصوير شمسي رقم ٤٦٤٣ تاريخ .

ابن بهادر (عاش في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) محمد بن محمد بن بهادر :

« فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر » - دار الكتب المصرية - نسخة تصوير شمسي رقم ٢٢٩٩ .

ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف:

« المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي » - ٥ جـ - دار الكتب المصرية رقم ٢٣٥٥ تاريخ .

ابن الجوزي « سبط » (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م) أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي :

---

(١) أشرنا في الحواشي الى المخطوط بكلمة (ورقة) ، والمصور بكلمة (لوحة) سواء كان مصورا شمسيا أو ميكروفيلم ، والمطبوع بكلمة (صفحة) تمييزا الكل على حدة .

« مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » - جـ ١٢ (القسم الثالث من ٤٨٥ - ٥٠٧ هـ) دار الكتب المصرية - نسخة تصوير شمسى رقم ٥٥١ ت - ونسخة أخرى ميكرو فيلم رقم ١٠٨٦٢ .

ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى :

« الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » - دار الكتب المصرية رقم ١٥٢٢ تاريخ ، ونسخة أخرى ميكرو فيلم رقم ١٠٥٤٧ .

ابن رسول (ت ٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) عباس بن على بن داود بن يوسف ابن عمر :

« نزهة العيون فى تاريخ طوائف القرون » - مجلدان - دار الكتب المصرية رقم ٤٩٦٤ تاريخ .

بامخرمة (عاش فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى) أبو محمد بن عبدالله بن أحمد بن على :

« قلادة النحر فى وفيات أعيان الدهر » - ٦ مجلدات - دار الكتب المصرية رقم ٤٤١٠ تاريخ ، ونسخة أخرى ميكروفيلم رقم ٥٨٥٧ .

الأصفهانى (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد :

« البستان الجامع لتواريخ أهل زمان » - جامعة الدول العربية (معهد المخطوطات) - ميكرو فيلم رقم ٨٧ .

البغدادى (ت ١١٠٢هـ / ١٦٩٠م) أحمد بن عبد الله :

« عيون أخبار الأعيان ممن مضى من سالف العصر والأزمان » - دار الكتب المصرية - نسخة تصوير شمسى رقم ٣٨١٠ تاريخ .

الخزرجى (غير معروف تاريخ وفاته) جمال الدين على بن الحسن الأنصارى:

« العسجد المسبوك فى سيرة الخلفاء والملوك » - ١ ج - دار الكتب المصرية - رقم ٣٨٦٣ تاريخ .

السلامى (تاريخ الوفاة غير معروف) شهاب الدين أحمد :

مختصر التواريخ » - دار الكتب المصرية - رقم ١٤٣٥ تاريخ ، ونسخة أخرى ميكرو فيلم رقم ١٦٧٩ .

الشطبي (ت ٩٦٣هـ / ١٥٥٥ - ١٥٥٦م) أبو عبيد الله محمد بن على بن حسن :

« الجمان فى مختصر أخبار الزمان » - مكتبة بلدية (محافظة) الاسكندرية رقم ١٦٢٣ ب .

القرمانى (ت ١٠١٩هـ / ١٦١١م) أبو العباس أحمد جلبى بن يوسف ابن حمد :

« أخبار الدول وآثار الأول » - دار الكتب المصرية - رقم ١٩٢١ تاريخ ، ونسخة أخرى ميكرو فيلم رقم ٦٧، .

الكتبى (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) محمد بن شاكر أحمد بن عبد الرحمن فخر الدين:

« عيون التواريخ » - ١٦ مجلد ١ -(الموجود جـ ١٢ من نسخة رابعة كتبت بالنسخ عام ١٣٢٠هـ بدار الكتب المصرية رقم ١٤٩٧ ت .) . اطلعنا على جـ ١٢ (٤٨٨ - ٥٢٣هـ)- جامعة الدول العربية (معهد المخطوطات) ميكرو فيلم رقم ١٨٤٠.

مرعى المقدسى (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م) مرعى بن يوسف بن أبى بكر ابن أحمد :

« نزهة الناظرين فى تاريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين » - دار

الكتب المصريه ـ رقم ٢٢٦٩ تاريخ ، ونسخة أخرى ميكروفيلم رقم ١٧٣٩ ، ١٧٤٠ .

النويرى (٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد:
« نهاية الأرب فى فنون الأدب » ـ ٣٠ مجلدا ـ دار الكتب المصرية ـ نسخه تصوير شمسى رقم ٥٤٩ معارف عامة .

يوسف الملوانى (عاش فى القرن ١٢هـ / ١٨م) محمد بن يوسف الحلاق :
«تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب » ـ مجلدان ـ نسخة مصورة (ميكرو فيلم رقم ١٤٦) نقلا عن نسخة كتب بسوهاج عام ١١٣٦ هـ برقم ٢٨ت ـ ٢٠ ق ١٥٠ × ٢١ سم ـ جامعة الدول العربية (معهد المخطوطات)

(رابعا)

المصادر الأصلية العربيـــة

ابن الأثير الجزرى (ت ٦٢٠هـ / ١٢٢٤م) أبو الحسن عـــلى بن أبى الكرم الملقب عز الدين :

١ ـ « الكامل فى التاريخ » ـ ١٢ ج فى ٦ مجلدات ـ الطبعة الأزهرية ـ ط ١ ـ القاهرة ١٣٠١ هـ .

٢ ـ التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية » ـ تحقيق د . عبد القادر طليمات ـ القاهرة ٩٦٣ م .

ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله :
« مهذب رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ـ ج ١ ـ وقف على تهذيبه أحمد العوامرى ومحمد أحمد جاد المولى ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة ١٩٦٣م .

ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن بن يوسف :
« النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ـ ١٣ ج ـ سلسلة تراثنا ـ وزارة الثقافة والإرشاد ـ نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية ـ القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣

ابن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧) أبو الحسن محمد بن أحمد الكنانى الأندلسى :
« رحلة ابن جبير » - بيروت - ١٩٦٨ م .
ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٥ م) لسان الدين :
« أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام » - تحقيق د . أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى - القسم الثالث الدار البيضاء - ١٩٦١ م .
ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) عبد الرحمن محمد المغربى :
١ - « العبر وديوان المبتدأ والخبر » - ج - القاهرة (بولاق) ١٢٨٤ هـ .
٢ - « المقدمة » - دار إحياء التراث العربى - بيروت (بدون تاريخ) ،
ابن خلكان (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد :
« وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان » تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ٦ ج ، القاهرة ١٩٤٨ .
ابن سعيد (ت القرن السابع هـ / ١٣ م) على بن موسى المغربى :
١ - « كتاب الجغرافيا » ط ١ - بيروت ، ١٩٧٠ .
٢ - « النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة » - القسم الخاص بالقاهرة من كتاب «المغرب فى حلى المغرب» - تحقيق د . حسين نصار مطبعة دار الكتب - القاهرة ١٩٧٠ .
ابن شداد (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٦ م) أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم :
« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف بأسم سيرة صلاح الدين » تحقيق د . جمال الدين الشيال - ط ١ - القاهرة ١٩٦٤ .
ابن الصيرفى (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) أبو القاسم على بن منجب بن سليمان :
« الإشارة إلى من نال الوزارة » - تحقيق وتعليق عبد الله مخلص - مطبعة

المعهد العلمي الفرنسي - القاهرة ١٩٢٥م .

ابن ظهيره (من علماء القرن التاسع الهجرى / ١٥ م) (١)

« الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة » - تحقيق مصطفى السقا وكامل المهندس - القاهرة ١٩٦٩ .

ابن العبري (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) العلامة غريغوريوس ابو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي :

« تاريخ مختصر الدول » - المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعين - بيروت ١٨٩٠م

ابن عذاري (ت أواخر القرن السابع هـ / ١٣ م) أبو عبد الله محمد المراكشي:

« البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب » - جـ ١ - « تاريخ أفريقيا والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجرى » - نشر وتحقيق ج.س. كولان، أ . ليفى بروفنسال - ليدن ١٩٤٨ م .

ابن القطان (ت ٦٢٨هـ / ١٢٣٠م) أبو الحسن على الكتامى الفاسى :

« نظم الجمان فى أخبار الزمان » - جزء من الكتاب - تحقيق د. محمد على مكى - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس - الرباط (بدون تاريخ) .

ابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن على بن محمد :

« ذيل تاريخ دمشق » - بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٨ م .

---

(١) اختلفت الآراء فى حقيقته وهو إما ان يكون (١) ابا السعادات جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن ظهيره المخزومى (٧٩٥-٨٦١هـ) أو (٢) أبا الطيب محب الدين احمد بن محمد بن الحسين (٨٢٥- ٨٨٠هـ) أو (٣) أبا اسحاق برهان الدين ابراهيم بن على ابن محمد بن محمد بن حسين ابن على بن عطية بن ظهيرة (٨٢٥-٨٩١هـ) . فى هذا الصدد وللاستزادة انظر نفس المصدر . المقدمة (ج-ح).

ابن الوردى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر:
« تتمة المختصر فى أخبار البشر » (تاريخ ابن الوردى) - ٢ ج - القاهرة ١٨٦٨ م .

ابو الفدا (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن على :
« المختصر فى أخبار البشر » ويعرف بتاريخ أبى الفدا - ٤ ج فى مجلدين - دار الطباعة الشاهانية - الاستانة (القسطنطينية) ١٢٨٦ هـ .

أبو اليمن العليمى (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١ م) أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين :
« الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » - ٢ ج - القاهرة ١٢٨٣ هـ .

الادريسى (ت ٥٦٠ هـ / ١١٦٦م) ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن أدريس :
« صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس » - مأخوذة من نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، نشره دى غويه ودوزى - ليدن ١٨٦٢ م .

الأربلى (ت ٧١٧هـ / ١٣١٧م) عبد الرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتو بدر الدين :
« الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك » - وقف على طبعه وتحقيقه مكى السيد جاسم - مكتبة المثنى - بغداد - ١٩٦٤ م .

الاصفهانى (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد :
« الفتح القسى فى الفتح القدسى » - نشره الأستاذ محمد محمود صبح - القاهرة ١٩٦٥ م .

الذهبى (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) ابو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين :

« دول الإسلام » - تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم - ٢ ج - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة ١٩٧٤ م .

السيوطى (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ابو الفضل عبـــد الرحمن بن الكمال أبى بكر جلال الدين :

١ - « حسن المحاضره فى اخبار مصر والقاهرة » - ٢ ج - القاهره ١٣٢٧هـ .

٢ - « تاريخ الخلفا أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة » - المطبعة المنيرية - القاهرة ١٣٥١ هـ .

صالح بن يحى (عاش أواسط القرن التاسع الهجرى / ١٥ م) :

« تاريخ بيروت » - تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعى - بيروت ١٩٢٧م .

عماره اليمنى (أعدم ٥٦٩هـ / ١١٧٤م) نجم الدين أبو محمد عماره ابو الحسن الحكمى :

« النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية » - ٢ ج - تصحيح هرتويغ درنبرغ - جمع بمدينة شالون على نهر سون - ١٨٩٧م .

العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٨٣م) أبو الفلاح عبد الحى بن على :

« شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » - ٨ ج - عنيت بنشره مكتبة المقدسى - القاهرة - ١٣٥٠ هـ .

القلقشندى (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أبو العباس أحمد بن على بن أحمد عبد الله :

« صبح الأعشى فى صناعة الانشاء - ١٤ ج - القاهرة (سلسلة تراثنا - وزارة الثقافة والإرشاد - نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية) القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٢م

الكتبى (ت ٧٦٤هـ /١٣٦٣م) محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن فخر الدين :

« فوات الوفيات » ـ ٢ جـ ـ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٥١م .

الكندى (ت ٣٥٠هـ على الأرجح / ٩٦١م) عمر بن محمد بن يوسف :

« فضائل مصر » ـ تحقيق د . ابراهيم أحمد العدوى وعلى محمد عمر ـ ط . ١ ـ القاهرة ١٩٧١ م .

المقريزى (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) تقى الدين أحمد بن على :

١ ـ « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » .

أ ـ جـ ١ (نشر وتحقيق د . جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ م)

ب ـ جـ ٢ ، ٣ ـ نشر وتحقيق د . محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ١٩٧١ - ١٩٧٣ م .

٢ ـ « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ـ نشر وتحقيق د. محمد مصطفى زيادة، د . جمال الدين الشيال ـ القاهرة ١٩٥٧ م.

٣ ـ « السلوك لمعرفة دول الملوك » ـ ٢ جـ ـ نشر وتحقيق د. محمد مصطفى زيادة ـ القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٤٢ م .

٤ ـ « المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار » ـ ٤ جـ ـ مطبعة النيل ـ القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٦ هـ .

(خامسا)

المراجع الثانوية الأوربية

Adams, G.B.,

The History of England from the Norman conquest to the Death of John (1066—1216), London, 1905.

Atiya, A.S.,

Crusade, Commerce and Culture, Boolmington, 1962.

Archer, T.A. & Kingsford, Ch.,

The Crusades: The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1894.

Barker, E.,

The Crusades, London, 1923.

Baynes, N. H. & Moss, H.,

Byzantium : An Introduction to East Roman Civilization, Oxford, 1961.

Baynes, N.,

The Byzantine Empire, London, 1925.

Beazly, C. R.,

The Dawn of Modern Geography, 2 Vols.; New York, 1949.

Bell, M. I.,

A Short History of the Papacy, London, 1921.

Bent, J. Th.,

Genoa : How the Republic *Rose* & Fell, London, 1881.

Bertolini, F.,

Storia d'Italia nel Medio Evo, Illustri, Milano, 1892.

Besant, W. & Palmer, E. H.,

Jerusalem, The City of Herod & Saladin, London, 1888.

Bishop, M.,

The Penguin Book of the Middle Ages, London, 1971.

Boissonnade, P.,

Life & Work in Medieval Europe, trans. from the French by B. Eillen, London, 1937.

Boose, T S.R.,

Kingdoms & Strongholds of the Crusaders, London, 1971.

Byrne, E.H.,

Commercial Contracts of the Genoese in the Syrian Trade of the 12th. Century, Quarterly Journal of Economics, XXXI, 1916 – 1927, pp. 128—170.

Byrne, E. H.,

Genoese Trade with Syria in the 12th. Century, American Historical Review, Vol. XXV, (1919—1920); pp. 191—219.

Cambridge Medieval History, 8 Vols., Cambridge, 1930.

Campbell, G. A.,

The Crusades, London, 1935.

Cantor, N. F.,

The Medieval World : 300 – 1300, New York, 1968.

Chalandon, F.,

Histoire de Les Iere. Croisade Jusqu'a L'élection de Godefroi de Bouillon, Paris, 1925.

Chambers, W. & R,

Chambers's Twentieth Century Dictionary, revised Ed. with supplement, London, 1959.

Conder, C.R.,

The City of Jerusalem, London, 1909.

Cons, H.,

Précis d'Histoire du Commerce, Tome I Paris, 1896.

Daru, P.,

Histoire de La République de Venise, 3 eme. éd, 8Vols., Paris (S.D.).

Diehl, CH.,

History of the Byzantine Empire, New York, 1945.

Dozy, R.

Spanish Islam : A History of the Moslems in Spain, trans. by Francis Griffin Stocks, London 1913.

Grousset, R.,

Histoire des Croisades, 3Vols., Paris, 1934—35.

Haskins, CH.,

The Normans in European History, U.S.A., 1959.

Heer, F.,

The Medieval World, New York, 1962.

Heyd, G.,

Le Colonie Commerciali delgi Italiani nel Medio Evo, Dissertazioni recete in Italiano dal Prof. Giuseppe Muller, 2 Vols., Venezia E Torino, 1886.

Heyd, W.,

Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, 2Vols., Leipzig, 1885, 1886.

Hitti, Ph.,

History of Syria, 2nd. ed., London, 1957.

Hussey, J. M.,

The Byzantine World, London, 1970.

Iorga, N.,

Histoire des Croisades, Paris, 1924.

Jamison, E.M., Vernon, K.D. & Terry, C.S.,

Italy : Medieval & Modern, A History, Oxford, 1917.

Kinder, H. & Hilgemann, W.,

The Penguin Atlas of World History from the Beginning to the rose of the French Revolution. Vol. 1, London, 1974.

Lacroix, P.,

La Chevalerie et Les Croisades. Féodalité, Balson, Ordres Militaires, Paris, 1887.

Lamb, H.,

The Crusades : The Flame of Islam, London, 1931.

LaMonte, J.,

The World of the Middle Ages, New York, 1949.

LaMonte, J.,

Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem (1100 to 1291), Cambridge, 1932.

Lane-poole, St.,

A History of Egypt in the Middle Ages, 2nd. Ed., London, 1914.

Lavisc, E. & Rambaud, A.,

Histoire Générale de L'Europe Feodale, Les Croisades (1095—1270), 2Vols., Paris, 1893.

Lopez, R.S. & Raymond, I.W., (eds. & trans.),

Medieval Trade in the Mediterranean World, London, 1955.

Lopez, R. S.,

Market Eypansion : The Case of Genoa, Journal of Ecomomic History, XXIV, 1964, pp. 445-464.

Lot, F.,

L'Art Militaire et Les Armées au Moyen Age En Europe et dans le Proche Orient, 2Vols., Paris, 1964.

Mambourg, P. L.,

Histoire des Croisades pour La Delivrance de La Terre Sainte, 4 Vols, Paris (S.D.).

Mas Latrie, L.,

Traites de paix et de Commerce Et Documents Divers Concernant Les Relations des Chrétiens Avec les Arabes de L'Afrique Septentrionale au Moyen Age, Paris, 1866.

Michaud, J. F.,

History of the Crusades, trans. by W. Robson, 3Vols., New York, 1881.

de Michel, M.,

Precis de L'Histoire du Moyen Age, 5eme. ed., Paris, 1836.

Muiller, W.,

Castles of the Crusaders, London, 1966.

Myers, Ph. V.,

General History, 2nd. Revised Ed., Boston, 1927.

Myers, Ph. V.,

Medieval & Modern History, 2nd. Revised Ed., Boston, 1923.

Oldenbourg, Z.,

Les Croisades, U.R.S.S., 1965.

O'Leary, De S.,

A Short History of the Fatimid Khalifate, London, 1923.

Ostrogorsky, G.,

History of the Byzantine State, trans. by J. Hussey, Oxford, 1956.

Patterson, R. E.,

The Early Existence of the Funda & Catena in the 12th, Century, Latin Kingdom of Jerusalem, CF. Speculum, A Journal of Medieval Studies, Vol. XXXIX, No. 3, July 1964, pp. 474—477.

Petit, M.,

Le Siéges Célébres de L'Antiquité, du Moyen Age et des Temps Modernes, 2eme. Ed., Illustrée de 32 Gravures dessinées sur Bois par C. Gilbert, Paris, 1885.

Pirenne, H.,

Economic & Social History of Medieval Europe, trans. from the French by I.E. Clegg, New York, 1937.

Pirenne, H.,

Medieval Cities : Their Origins & the Revival of Trade, trans. from the French by Frank D.Halsey, Garden City, N.Y., 1956.

Plumb, J. H.,

The Penguin Book of the Renaissance, London, 1972.

Ranson, C.,

History of England from the Earliest times to the Peace of Versaille 1919, London 1934.

Riant, P.,

Les Archives de L'Orient Latin, I, pp. 1 – 224, Paris, 1881

Runciman, S.,

A History of the Crusades, 3Vols., London, 1971.

Saint-Laurant, Ch.,

Dictionnaire Encyclopedique, 2Vols., Paris, 1858.

Salvatorelli, L.,

A Concise History of Italy from prehistoric Times to our own Day, trans. by Bernard Miall, London, 1940.

de Sauley, F.,

Numismatique des Croisades, Paris, 1847.

de Sommerad, L.,

Deux Princesses d'Orient au XII siécle, Anna Comnéne Temoin des Croisades, Agnés de France, Paris, 1907.

Schulmberger, G.,

Réeits de Byzance et des Croisades, 2 Vols., Paris, 1917—22.

Setton, K.,

A History of the Crusades, Vol. 1, Philadelphia, 1958.

Smail, R. C.,

The Crusaders in Syria & the Holy Land, London, 1973.

Stephenson, C.,

Medieval History, New York, 1943.

Stevenson, W. B,

The Crusaders in the East, Cambridge, 1968.

Thatcher, O.J. & Schvill, F.,

A General History of Europe, part I, (350—1500), London, 1935.

The Crusades, The Greek & Eastern Churches, The Religious Tract Society, Instituted 1799, London, (N.D.).

Thompsoon, J. W.,

History of the Middle Ages (300—1500 A.D.), London, 1931.

Thomposon, J.W.,

Economic & Social History of the Middle Ages (300—1300), 2Vols., New York, 1959.

Tout, T. F.,

The Empire & the Papacy, London, 1909.

Treece, H.,

The Crusades, New York, 1964.

Ulmann, W.,

A Short History of the Papacy in the Middle Ages, London, 1974.

Vasilieve, A.A.,

Histoire de L'Empire Byzantin. Traduit du Russe par P. Brodin et A. Bourguina, 2Vols., Paris, 1932.

Watson, C.M.,

The Story of Jerusalem, London, 1929.

Watts, H.E.,

The Story of the Nations: SPain, London, 1893.

Wiel, A.,

Venice, New York, 1894.

Williams, J.,

Knights of The Crusades, New York, 1962.

Wilson, Ch.,

Picturesque Palestine, 4Vols, London, 1882.

(سادسا)

المراجع العربية والمعربة

ابراهيم على طرخان (الدكتور) :

المسلمون فى أوربـــا فى العصور الوسطى - (الألف كتاب - ٥٩٦) القاهرة ١٩٦٦ م .

أحمد مختار العبادى (الدكتور) والسيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام - بيروت ١٩٧٢ م .

أحمد مختار العبادى (الدكتور) :

فى التاريخ العباسى والفاطمى - بيروت ١٩٧١ م .

إسماعيل سرهنك :

حقائق الأخبار عن دول البحار - ٣ ج - القاهرة بولاق ١٣١٢ هـ .

أمارى (ميشيل) :

المكتبة الصقلية - ليبسك - ١٨٥٧ م .

أومـــان :

الامبراطورية البيزنطية - تعريب د . مصطفى طه بدر ، القاهرة ١٩٥٣م.

أومبرتوريتزيتانــــو :

صفحة من تاريخ العلاقات بين غليالم الثانى النورماندى وصلاح الدين الايوبى (٢٨ ذى الحجة ٥٦٩ هـ / ٢٨ يوليو ١١٧٤ م) مقاله بمجلة كلية الآداب -جامعة الاسكندرية - المجلد ٥ - ص ٤٧-٥٨ ، ١٩٤٩ م .

توفيق اسكندر :

بحوث فى التاريخ الاقتصادى -كتاب يحتوى على خمسة بحوث مترجمة ،

القاهرة ١٩٦١ .

جمال الدين الشيال (الدكتور) :

١ - مجموعة الوثائق الفاطمية - المجلد الأول - القاهرة ١٩٥٨ م .

٢ - مجمل تاريخ دمياط سياسيا واقتصاديا - الاسكندرية ١٩٤٩ م .

جوزيف نسيم يوسف (الدكتور) :

١ - الدافع الشخصى لقيام الحركة الصليبية - مقالة بمجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية - المجلد ١٦ - ١٩٦٢ م . ص ١٨٣ - ٢١٣ .

٢ - العدوان الصليبى على مصر - هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور - ط ١ - الاسكندرية ١٩٦٩ م .

٣ - العدوان الصليبى على بلاد الشام - الاسكندرية ١٩٧١ م .

٤ - العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى - ط ١ - الاسكندرية ١٩٦٣ م (وكذلك ط ٢ - الاسكندرية ١٩٦٧م) .

٥ - علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية فى ضوء وثائق صبح الأعشى مطبوعات جمعية الآثار المصرية - الاسكندرية ١٩٧١ م .

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) :

تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب - القاهرة ١٩٥٨ م .

حسن ابراهيم حسن (الدكتور) وطه شرف (الدكتور) :

المعز لدين الله - القاهرة ١٩٤٨ م .

حسن حبشى (الدكتور) :

١ - نور الدين والصليبيون - القاهرة ١٩٤٨ م .

٢ ـ الحرب الصليبية الأولى ـ ط ٢ ـ القاهرة ١٩٥٨ م .

خـــير الدين الزركلى :

الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ١٠ ج ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٧ م .

ديفــز (هـ . و .) :

أوروبا فى العصور الوسطى ـ ترجمة د . عبد الحميد حمدى محمـــود ، الاسكندرية ١٩٥٨ م .

درويش النخيلى (الدكتور) :

السفن الإسلامية على حروف المعجم ـ (مطبعة الأهـــرام التجارية) ، القاهرة ١٩٧٤ م .

ديـــل (شارل) :

البندقية جمهورية ارستوقراطية ـ ترجمة د . أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ـ القاهرة ١٩٤٨ م .

زكى محمد حسن (الدكتور) :

كنوز الفاطميين ـ القاهرة ١٩٢٧ م .

راشد البراوى (الدكتور) :

حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين ـ القاهرة ١٩٤٨ م .

رانسمان (ستيفن) :

الحضارة البيزنطية ـ ترجمة عبد العزيز جاويد ـ (الألف كتاب ٣٧٩) القاهرة ١٩٦١ م .

سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) :

١ ـ الحركة الصليبية صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور

الوسطى - ٢ جـ - ط ٢ - القاهرة ١٩٧١ م .

٢ - أوروبا العصور الوسطى - ٢ جـ - ط ٥ - القاهرة ١٩٧٢ م .

٣ - أضواء جديدة على الحروب الصليبية - المكتبة الثقافية ١١٨ - القاهرة ١٩٦٤ م .

٤ - الناصر صلاح الدين - أعلام العرب ٤١ - القاهرة ١٩٦٥ م .

٥ - شخصية الدولة الفاطمية فى الحركة الصليبية مقالة بمجلة الجمعية التاريخية المصرية - المجلد ١٦ - ص ١٥ - ٦١ - القاهرة ١٩٦٩ م .

السيد الباز العرينى (الدكتور) :

مصر فى عصر الأيوبيين - الألف كتاب ٢٦٩ - القاهرة ١٩٦٠ م

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

١ - تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى جـ ١ - الاسكندرية ١٩٦١ م .

٢ - المغرب الكبير - العصر الإسلامى - جـ ٢ - الاسكندرية ١٩٦٦ م .

٣ - البحرية المصرية فى العصر الفاطمى - فصل من كتاب تاريخ البحرية المصرية - ص ٤٥٩ - ٥٢٠ - القاهرة ١٩٧٤ م .

عبد المنعم ماجد (الدكتور) :

١ - العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى - بيروت ١٩٦٦ م .

٢ - ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر - الاسكندرية ١٩٦٨ م .

عبد النعيم حسنين (الدكتور) :

- سلاجقة إيران والعراق - ط ٢ - القاهرة ١٩٧٠ م .

على ابراهيم حسن (الدكتور) :

١ - تاريخ جوهر الصقلي - ط ٢ - القاهرة ١٩٦٣م .
٢ - مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني - ط ٥ - القاهرة ١٩٦٤م .

عمر كمال توفيق (الدكتور) :

١ - مملكة بيت المقدس الصليبية - ١٩٥٨م .
٢ - المؤرخ وليام الصوري - مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية ، المجلد ٢١ - ص ١٨١ - ٢٠٠ - الاسكندرية ١٩٦٧ .
٣ - الجاليات الأوروبية في الاسكندرية في العصور الوسطى - فصلة من مجتمع الاسكندريه عبر العصور - جامعة الاسكندرية - عام ١٩٧٥م .

كرامب (ج. ك.) وجاكوب (أ) :

تراث العصور الوسطى ، مجموعة بحوث ترجمة ومراجعة عدد من أساتذة الجامعات المصرية بالاشتراك مع د. محمد مصطفى زيادة - ٢ ج - القاهرة ١٩٦٧م .

كولتون (ج. ج.) :

عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة - ترجمة د. جوزيف نسيم يوسف - الاسكندرية ١٩٦٤م .

لويس (أرشيبالد) :

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠م) - ترجمة أحمد محمد عيسى . القاهرة ١٩٦٠ .

محمد جمال الدين سرور (الدكتور) :

١ - مصر في عصر الدولة الفاطمية - الألف كتاب ٢٧٤ -

القاهرة ١٩٦٠م .
٢ - سياسة الفاطميين الخارجية - ط ٤ - القاهرة ١٩٧٤م .
محمد كرد على :
١ - خطط الشام - ٦ جـ - دمشق ١٩٢٥ م .
٢ - الإسلام والحضارة العربية - ٢ جـ - القاهرة ١٩٦٨ .
محمد محمد مرسى الشيخ (الدكتور) :
١ - الجهاد المقدس - الاسكندرية ١٩٧٤م .
٢ - الممالك الجرمانية فى أوروبا فى العصور الوسطى - الاسكندرية ١٩٧٥ .
محمد مختار باشا :
كتاب التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية
والقبطية ، القاهرة (بولاق) ١٣١١ هـ .
مصطفى حسن محمد الكنانى (الدكتور) :
العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامى ١١٧١ - ١٢٩١م /
٥٦٧ - ٦٩٠هـ ، ٢ - أضواء جديدة على الحركة الصليبية - الهيئة المصرية
العامة للكتاب - الاسكندرية ١٩٨١م .
هاو (سونيا) :
فى طلب التوابل - ترجمة محمد عزيز رفعت (الألف كتاب ٩٨) -
القاهرة ١٩٥٧ م .

(سابعاً)

دوائر المعارف والمعاجم

— Encyclopaedia (The) Britannica, 23Vols., London, 1968.

— Encyclopaedia (The) of Islam 5Vols., 1913—65.

— Enciclopedia Motta, Fascicolo 57, Febbraio 1962.

— Encyclopaedia International, 20Vols., New York, 1970.

— Grande Dizionario Enciclopedico, 10Vols., Torino, 1935.

— La Grande Encyclopédie, 31Vols, Paris, (S.D.).

— Larousse Encyclopedia of Byzantine & Medieval Art, trans from the French by Emily E., Dennis G. & others, London, 1974.

— The Columbia Encyclopaedia, New York, 1944.

دائرة المعارف الإسلامية ـ الترجمة العربية المجلد الخامس (كتاب الشعب)، القاهرة ١٩٧١ م .

وقعت أخطاء مطبعية ، أعتذر للقارىء الكريم عنها ، وأصوب ما دق منها ، وأدع غيرها إلى فطنة القارىء .

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣	١٠	يهديه	بهديه
٤	٦	صليبو	صايبيو
٥	١٤	يحـــد	بحـــد
١٠	١٧	خصم	خضم
١١	٣	الغربيين	الغربيون
١٢	١٢	والاسهام	والإسهام
١٣	١٠	١٠٩	١٠٩٩
١٤	٧	آثارا	آثـــار
١٤	١٣	على على	على
١٥	٨	زيانا	ذيانـــا
١٦	ح١	هـــور	هـــود
١٩	١٦	صادره	بمصادره
٢٠	١٤	أعتمدنا	اعتمدنا
٢٢	ح١	الصوالى	الصورى
٢٣	١	Hstory	History
٢٤	٤	وحلفائم	وحلفاؤهم
٢٧	١	ماتقدم ما تقدم	ما تقدم
٢٨	٥	إذ أن	إذ إن
٢٨	٦	اســـطر	أسطرآ
٢٩	٦	تشجعيع	تشجيع
٢٩	٢٠	وأن	وإن
٣١	٥	إلا انها	إلا أنهـا
٣٢	٧	عام ٥٥ هـ	عام ٥٥٥ هـ
٣٢	ح١	أم شيعى	أو شيعى
٣٤	٩	ابى	أبى

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧	٤	وكتابى	ولكتاب
٣٧	١٠	أفدنا	أفدنا منه
٣٧	ح١	زاعت	ذاعت
٣٨	٢٠	لازال	لايزال
٣٩	١١	أم أنه	أو أنه
٤٧	١٣	علهيا	عليها
٥٠	١٠	٦ ٣-	٣٨٩ -
٥٠	ح٣	الأعمال	الأعلام
٥١	٦	القادمين	القادمون
٥١	٧	المنشئات	المنشآت
٥٥	٩	وأن	أن
٥٦	١٠	ووقويها	ووقوفها
٥٨	١١	وتغبلت	وتغلبت
٦١	٣	بإسم	باسم
٦٤	١	تقاتلو	تقاتلوا
٦٥	١١	تستطيع	ولاتستطيع
٦٥	١٣	ما انفلت	ما انفلت زمامها
٦٧	٩	سيظهرت	سيظهر
٦٩	٢	إحقيته	أحقيته
٧١	٥	وأمرائه	وأمراءه
٧٢	٣	إنهارت	انهارت
٧٤	ح١	Age	Ages
٧٥	ح١	ملاذ كرت	ملاذكرد
٧٩	٩	— ١٣٤	-٣٣٤
٨١	٦	الاقدار	الأقدار
٨١	٨	الاحقاد	الأحقاد
٨٣	١١	الرمو	بالرمو
٨٤	٥	المسيحيتين	المسيحيتان
٨٤	٩	مهيئة	مهيأة!

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٥	ح٣	Ilber, P.	Ilber, R.
٨٧	٥	–١٠٠٠م	–١١٠٠م
٩٢	١٤	ملازكرد	ملاذكرد
٩٢	١٦	٧٠٩ م	١٠٧٩ م
٩٣	١٠	–١٨٠١	–١٠٨١
٩٧	٢	أعتقادهم	اعتقادهم
١٠١	الأخير	يوليو ٠٩٨م	يوليو ١٠٩٨ م
١٠٣	٨	بإسم	باسم
١٠٥	٧	ولابد	لابد
١٠٧	١٢	وصل	وعلى
١٠٨	١٢	الخططر	الخطر
١٠٨	١٣	الغربين	الغربيين
١١١	ح٣	اثنتى	اثنتين
١١٥	٤	مبعوثين	مبعوثين
١١٦	٤	كفاور	كفارو
١١٧	٨	قوّاتا	قوات
١٢٢	٢	الصلى	الصليبي
١٢٥	١٢	الفاطي	الفاطمي
١٢٥	ح١	شخصيه	شخصية
١٣١	١٠	طوقو	طوقوا
١٣٧	٦	فزع	أفزع
١٣٧	٦	أو	أم
١٣٧	٩	المحاصرون	المحاصرين
١٣٩	٥	ومواشى	ومواش
١٤١	١٠	ثبات	سبات
١٤٥	١	بين بين	بين
١٥٢	٩	الموجورة	الموجودة
١٥٥	٣	المؤمن	المؤن
١٥٧	٥	كلما اتضح	اتضح

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٥٧	١٢	١٩ مايو ١٠٩٩م	١٩ مايو ١٠٩٩م
١٥٧	١٢	(٥ جماد ثانى	٢٥ جماد ثان
١٥٨	٢	القاطنون	القاطنين
١٦١	٥	أم طوعا	أو طوعا
١٧٢	٧	لإحداها	لأحدها
١٧٥	٩	الاستبسال	الاستبسال
١٧٥	١٠	وراعيم	وراعيهم
١٧٥	١٢	هللين	مهللين
١٧٥	١٢	نحية	تحية
١٧٨	١	لازالت	ما زالت
١٨٩	٢	يا أيتها	ياأيتها
١٩١	١٣	عام ١٠٥م	عام ١١٠٥م
١٩٧	٧	إمبرياكورا	إمبرياكو
١٩٨	١٣	وست وعشرين	وستة وعشرين
١٩٩	٥،٤	المندوب المندوب	المندوب
١٩٩	٨	تساعدونن	تساعدونى
١٩٩	ح٢	يقال أن	يقال إن
٢٠٠	١	بيرت	بيروت
٢٠٠	١٠	تويع	توسيع
٢٠٣	ح٣	ثلاث	ثلاثة
٢٠٥	١٥	تتبعونى	اتبعونى
٢٠٦	١٦	وما أن أصل	وما أن وصل
٢١١	٥	للطوارىء	للطوارئ
٢١٣	١٢	شغلاه	شغلاه
٢١٥	٣	برأ وبحر	براً وبحراً
٢١٥	١٥	كان الهزيمة	فإن الهزيمة
٢١٧	٤	خطير	خطيراً
٢٢١	٧	فما كان عليه	فما كان منه
٢٢٣	١٤	منفذاً آمناً	منفذ آمن

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٢٤	١٣	وثنتا عشر	واثنا عشر
٢٢٥	ح١	بآزالة	بإزالة
٢٢٧	١٢	ولازالت	مازالت
٢٢٩	٦	ويأسوا	ويئسوا
٢٣٣	١٧	crusades	Crusades
٢٣٤	١٠	اثنى عشر	اثنى عشر
٢٣٧	١٣	الفاطيمة	الفاطمية
٢٣٩	٩	بيرت	بيروت
٢٣٩	ح١	ضبط بن الجوزى	سبط بن الجوزى
٢٤١	١٣	وتوجهو	وتوجهوا
٢٤٢	١٢	موانى	موان
٢٤٢	٨	المهتمين	المهتمون
٢٤٥	١٠	لازالت	مازالت
٢٥٢	٧	عنصرى	عنصرا
٢٥٣	١١	بالقرضه	بالقرصنة
٢٥٥	ح٢	Hoyd	Heyd
٢٦١	٧	الجنوبين	الجنويون
٢٦١	٩	سواقها	أسواقها
٢٦٢	٤	الإيطاليين	الإيطاليون
٢٦٣	٣	اقدم	أقدام
٢٦٣	١٠	المنخمة	الضخمة
٢٦٣	١٠	وافران	وأفراناً
٢٦٣	١١	وأبار	وآباراً
٢٦٥	٥	الاسكندية	الاسكندرية
٢٦٥	٦	إذ أن	إذ إن
٢٦٧	٦	جله	جمله
٢٦٩	٥	منحم	منحوم
٢٧٠	١	طمه	طممه
٢٧٠	١٠	لازال	مازال

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٧١	ح١	يقال أن	يقال إن
٢٧٢	ح٢	وصفا	وصفاً
٢٧٣	١١	الفراطم	الفواطم
٣١٦	٧	دور	درر
٣١٨	١٧	١٣٠٠	١٣٣٠
٣١٩	٨	كتب	كتبت
٣١٩	١٨، ٢٢	أبن	ابن
٣٢٠	١٨	١٠٣٦	١٢٣٦
٣٢٠	١٨	أبو	أبو

محتويات الكتاب

المحتـــوى رقم الصفحة

تم بعون الرحمن وتوفيقه

I have divided the book into Five chapters with an introduction and a scientific analysis of the different foreign and Arabic sources and references whether manuscript or printed. The conclusion includes the most important thoughts we could attain. I included some maps and plates for illustration that are related closly to the subject, with three latin appendices, after translating them into Arabic and two other Arabic appendices from "Mirat El zaman Fi Tarikh El Ayan" Sabet ibn Al Jawzi.

In conculsion, I owe gratitude to Professor Dr. Joseph Neseem Yousef on one hand and Professors Drs. Omar Kamal Tawfik and Ahmed Mokhtar El Abbadi on the other for their guidance, help and kindness.

"Allah will guide me. In him I have put my trust and to him I have turned my repentance" (Hud : 88)

MUSTAFA H. M. EL-KINANY

Alexandria { Ramadan 1901 A. H.
July 1981 A. D.

IN THE NAME OF ALLAH
THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Praise be to Allah and may he bless his Prophet.

This book tackles a very important Chapter in the Grusade movement. I intend the wars waged by the Franks on the Islamic Near East, with the cross as a mask Concealing the real goal, to lay hands on the Islamic Ner East and Catholicise it.

The outstanding theme of this book is to throw lights on the relations between Genoa and the Fatimids. I have Chosen This subject because both ancient and modern historians treated it inadequatly. The narrative Can not always be Simple. I can safly say that what has been written in this respect in various references, whether foreign or Arabic is no more than hints or pages that Could not quench the needs of the reaserchers. It is clear that the Genoese in their relations with the Fatimids and the Franks fellowed a double faced policy.

Their goal was to benfit at the Expense of both sides, regardless of any other factor.

It is obvious that the Crusades were the corner stoene in the economic Genoese's leadership. We have come to the realization that the serious role of the Genoese in the first Crusade paved the way for the Crusaders to establish their kingdom and States in the East. We have also Concluded that the economic relation between Genoa and the Fatimids remained strong till the collapse of their State in 1171 A. D. / 567 A. H.

IN THE NAME OF ALLAH

THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

" Say : 'We believe in Allah and that which is revealed to us; we believe in what was revealed to Abraham, Ismael, Isaac, Jacob, and the tribes, to Moses and Jesus and the other prophets. We make no distinction between any of them, and to Allah we surrendered ourselves". (El-Baqara : 136).

PREFACE

The Relations Between Genoa And The Fatimids in The Near East

(1095 - 1171 A. D. / 488 - 567 A. H.)

1

New Lights on The Crusade Movement

By

Dr. Mustafa H. M. EL - Kinany

Lecturer Of Medieval History

Faculty Of Arts - Asiut University

General Egyptian Book Organization

1981

